

الزواج

من العقد الى الزفاف

(ما يجب أن يعرف الزوجان المسلمان)



الدكتور رضا پاك نجاد



دار الكاتب

الزواج من العقد الى الزفاف

(ما يجب ان يعرف الزوجان المسلمان)

المؤلف: الشهيد الدكتور رضا پاك نژاد



بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م



دار الكاتب العربي للطباعة والنشر والتوزيع

هاتف: ٠٣/٢٥٧٩٨٤ - فاكس: ٠١/٥٥٣٤٥٦ - ص.ب: ٢٥/٣٥٥ - غبيري - بيروت

Daralkatebalarabi@hotmail.com

الكتاب الذي بين يديكم قراءنا الأعزاء

شرح

لرسالة الدكتوراه التي نالها المؤلف بدرجة الامتياز

تحت عنوان

«أول جامعة بشرية وآخر رسول إلهي»

بسم الله الرحمن الرحيم

أقدم كتابي لمن لا يعد من العلماء الملحدين أو من جهلة المؤمنين، علماء ملحدين أضفوا الغرور على علاقة الإنسان بالطبيعة والعتمة على علاقته بغيره من بني البشر، وجهلة المؤمنين الذين حرموا من هذا الغرور وأسهموا في تلك العتمة. وقد شبه الإسلام كلا الصنفين بالحمار[1]. والأعتى ظلماً منهما هو المشرك الذي يحط من شأن معبوده فيتخذ إنساناً مثله أو مصنوعاً من مصنوعات يده رباً بينما يريد الله للإنسان الرفعة تأسياً بذاته المقدسة. تمعنوا في ضلال فريق من عباد الله، المشرك يحط من شأن الله والله يرفع مقام الإنسان، بعبارة أخرى إن الإنسان في حروبه الثلاث (صراع الإنسان مع الطبيعة، صراع الإنسان مع الإنسان وصراع الإنسان مع ذاته) قد حقق الإنتصار في الأولى وما زال يعاني الثانية وتقهقر في الثالثة[2].

---

١ ـ شُبّه العالم الملحد في سورة الجمعة بحمار يحمل كتبه (أسفاره)، وآلَ أمر المتعبد بلا علم ليشبهه أمير البلغاء والفصحاء الإمام علي (ع) بحمار طاحونة ما يزال يدور ويدور حتى يصل النقطة التي بدأ الحركة منها.

٢ ـ تقتصر الحرب الرابعة (حرب الإنسان مع الله) على من أظهر المودة للأجانب وتجسس لهم بما أضر المسلمين به. وممن اتخذوا موقف الحرب مع الله المرابون إذ نسبوا إلى زمرة عملاء الأجانب (وقد تم التطرق للحديث عنهم في مطلع المجلد ٢٢).

ثناء

أحمد الله وأُسبحه وهو الذي جعل التوحيد النقي الذي تتطلبه الأفكار العصرية الواعية مقتصراً على ما تكتنفه عقول المسلمين[١] الذين يؤمنون بوحدانية الله على صعيد العقيدة وكذلك في طور الأداء على حد سواء[٢].

تحية

تحية لخلفائه الإثني عشر لا سيما مؤسس الحكومة العالمية الموحدة، إمام العصر والزمان الحجة ابن الحسن العسكري (أرواحنا فداه)[٢].

---

١ ـ و ٢ ـ جاء شرح مسهب حول هذا المَوضوع في المجلد الأول، الطبعة الرابعة نلخصه هنا بأنه: لو توجهنا إلى أي كائن بالسؤال عمن خلقه، سيجيب: «الله»، إلّا أنه قد يتجه في مرحلة الأداء والأعمال إلى عبادة المحسوسات والاحتفاء بها من قبيل: الصنم، النار، البقرة و.. أي أن الإنسان يقر بوجود الله في طور العقيدة ويتجه لعبادة سواه في مرحلة التنفيذ إلاّ المسلمين الذين يؤمنون بالغيب ويتوجهون في صلاتهم وسائر عباداتهم أيضاً صَوب صاحب أمر الغيب (الله سبحانه وتعالى).

٢ ـ جاء شرح هذا الموضوع في بداية المجلد الثامن.

عندما أُبلغ الإمام علي عليه السلام نبأ وفاة مالك الأشتر (رض) وكان حينئذ يخطب على المنبر، بكاه وطلب المغفرة له من الباري تعالى فتحدث عنه مؤكداً أن الدنيا لن تثمر بسهولة أمثال مالك..

وتنشئة الجيل الذي رغب الإمام عليه السلام فيها تتطلب ما ينص عليه شعارنا الدائمي:

«التنشئة الصالحة تستلزم أباً وأماً طيبين قبل انعقاد النطفة ثم أباً وأماً طيبين في فترة الحمل (منذ انعقاد النطفة وحتى الولادة)، ومعلماً وأبوين طيبين منذ الميلاد وحتى الوفاة».

إن أعظم خدمة نسديها للأبناء هو انتقاء الزوج المناسب والمعلم الصالح لهم.

إن حلية الزفاف هي الوصال وزينة الميلاد هي الانسجام، وأما مستلزمات تسامي الروح الإنسانية وتمردها على الحيوانية فإن مسؤولية إعدادها تلقى على عاتق الأبوين، لا سيما الأم ليتعهد المعلم بعدئذ بمهام إتمام التنشئة.

الأسلاف أبتلوا بتبعات أعمالهم وسيبتلى القادمون (الجيل القادم) بنتائج أفعالنا. إذن مسؤولية كل امرئ إزاء النسل واضحة جلية.

العلم ينطق دوماً بأحاديث الأنبياء(ع) على لسان الناس.

تنويه

أيها القارئ الكريم

نرجو قبل الشروع بمطالعة الكتاب الالتفات إلى ملاحظة دوّنها المؤلف الشهيد في بداية المجلد الثالث حيث ذكر أنه استهدف من تأليف هذا الكتاب تنشئة جيل سوي مؤمن.

لقد نوه المؤلف في الصفحة (٤٣) من الكتاب إلى أنه إلى جانب ما يصيب الإنسان من ثواب أو عقاب كل عمل خير يؤديه أو مفسدة يدل إليها أو يعين الآخرين على المبادرة إليها، تواضع الإسلام على تثبيت أصل عام يأخذ ديمومة أثر صالح الأعمال أو طالحها بنظر الاعتبار ألا وهو مساهمة الإنسان حتى بعد مماته في كل ما تفرزه استمرارية فاعلية مبادراته من أعمال صالحة أو مفاسد؛ أي أنه يشارك فاعله الثواب أو الإثم. فلو أقام المرء مثلاً بناء أصبح فيما بعد مركزاً للحفاظ على حياة الناس أو ترقية مستواهم روحاً وجسماً فإنه سينال ثواب صوابه.وإن أصبح خلافاً لهذا مدعاة إيلام الناس وتعذيبهم أو تدنيسهم فإنه سيذوق وبال عاقبة فعله وعقابه متى ما بقي هذا البناء قائماً.

وأؤكد هنا انه لو تمت الاستفادة مما أتيت به في المجلدات السابقة واللاحقة وكذلك المجلد الحالي لأداء المباغي وعاد عليّ مستقبلاً بنصيب من الآثام، فإنني أعلن منذ اللحظة عن سخطي وتذمري لذلك.

العزوبية

ذكرت مراراً أن الوصال حلية الزفاف والانسجام زينة المولِد. وقد حان الأوان للعودة إلى البيت بعد دفع مستحقات مستشفى الولادة، يعود الأبوان إلى دارهما الذي تركاه منفردين وبصحبتهما شخص آخر يقوي علاقات كل منهما بالآخر، إنهما عندما يريان نموذج حياتهما المشتركة، نتاجها، ثمرة إنجابهما يزدادان اهتماماً بالحياة. وهذا ما يدعونا لذكر مقومتي الزواج الأساسيتين إستنباطاً من الآية ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾[1] التي تشير إلى أن الله سبحانه وتعالى يشتري من عباده شيئين (النفس والاقتصاد) ليدفع لهما الفردوس الأعلى ـ وفيها الحياة الرغيدة البعيدة عن الآلام والمصاعب ـ ثمناً لذلك.

وعلى كل من الزوج والزوجة أن يرسخا بالانجاب دعائم حياتهما الزوجية التي يهديهما الإسلام إليها وتتمثل بما يشري الله من عباده (النفس والاقتصاد)، فنفس الزوج تنساق في الحياة نحو الزوجة التي

---

١ ـ سورة التوبة، الآية ١١١.

تعيش بدورها من أجل الرجل وهذا ما يخلص إليه التعبير القرآني بالمودة والرحمة المتأتية من الزواج، وأما عن الاقتصاد فذلك ما يلخصه الاسلام في أحكام المهر والنفقة و...

عجيب ما آلَ إليه أمر المرأة في الإسلام وهي كانت على ما كانت عليه قبل ظهوره، أنها منحت التساوي مع الرجل الذي اعتبرت لباساً له وهو لباساً لها، ويتطرق القرآن لذكرهما سوية دون تأخر أو تقدم أحدهما على الآخر في سياق كلمة «الأبوين» الى جانب إسم الجلالة المقدس واشترط قبول كليهما عند عقد القران دون ان يمنح أرجحية لأحدهما على الآخر، وأقر للمرأة حق الدخول في معاملات أو مقايضات مع الرجل أو أن تعمل في دارها أو ترضع ولدها إزاء أجر تتقاضاه من الرجل إن جوبهت برفضه لعملها خارج الدار. والأهم من ذلك أن القرآن رفع شأن المرأة ـ تلك المرأة التي كانوا يقايضونها بدلاً من الحيوانات يوماً ما ـ لتعد أساس استقامة حياة الرجل (التي لا تستقيم إلّا بإمرأة).

وإذا عرجنا على الآية ﴿**الرجال قوامون على النساءِ بما فضلَ اللهُ بعضهم على بعضٍ**﴾[1] نجدها تطرح الحالة لتخلص منها النتيجة. إنها تصرح في البداية أن قوام حياة كل من المرأة والرجل يتأثر بالآخر وأن الرجل القوام على حياة المرأة هو عقدة وعروة الحياة الزوجية، فبعض الرجال يتقدمون على النساء وبعضهن يأخذ قصب السبق مع الرجال فجاء تمجيد الإسلام لهن في أجمل حليّه عندما قال أن المرأة شرط

---

١ ـ سورة النساء، الآية ٣٤.

انتصاب الرجل على أريكة «القوام» وأن النساء يحرمن من القوامين لولا الرجال.

أجل إن الله الذي نبذ هيمنة سواه على عباده وعبادتهم لغيره ووهب الحرية للجميع، كسر طوق الرجال حول رقاب النساء وجعل قوام بـنية كل منهما ضعيفاً دون الآخر.

وسائر الآيات القرآنية توضح معلم نقص الرجال دون النساء ونقص النساء دون الرجال: ﴿هنَّ لباس لكم وأنتم لباس لهن﴾[1]، إن اللـباس الذي تقصده هذه الآية التي آليت على تكرارها، هو أعلى شأناً من لباس يعده الخياط. شأناً يتلخص في عبارة واحدة وهي كون كل منهما سهل المنال بالنسبة للآخر وبهذا تعتبر العزوبية نقصاً ينبغي التغلب عليه ونبذه والتخلص منه ليـحل الكـمال مـحله. قـال خـاتم الانـبياء والمـرسلين محمد ﷺ: «أرذال موتاكم العزاب»[2] وهذا ما يجعل النـبذ المـصير اللائق بكل نقص لو لم يتم تلافيه عن طريق الدين.

وليس ثمة كائن حي يألف ويختار العزوبية من أدنى الكائنات الحية (حسب تسلسلها النوعي) حتى الإنسان وهو الكائن الوحـيد المـخول جبراً في اختياره إذ فُوضت إليه مسؤولية الخيار بين العزوبية والنكـاح وهذا (الخيار) هو ما يميزه عن الحيوان، وفيما يخص بحثنا هذا فإنه يمتاز بزواجه المشروط التابع للموازين الديـنية. ومـن العـجب أن الشـعوب

---

١ ـ سورة البقرة، الآية ١٨٧.

٢ ـ كتاب الوسائل، ابواب مقدمات النكاح، الجزء ٣٩، باب ٢.

صنفت إلى نوعين: بربرية ومتحضرة، وموضوعنا هذا خير مصداق للتمييز بين هاتين الفئتين فالشعوب البربرية لا تسن قوانين وآداباً خاصة بالزواج والاختيار خلافاً للمتمدنين الذين يلتزم حتى أدناهم تمسكاً بالدين وأبعدهم عنه بالموازين الدينية عند الزواج ويسهم الدين في شؤونه أثناء مراسيم النكاح والوفاة. إذن السمة المميزة للإنسان عن الحيوان في الزواج أيضاً هي تمتع الإنسان بالخيار.

وقد أسهبنا الحديث عما نعنيه بالاختيار مسبقاً بأن الانسان إما يكون أسيراً ومكبلاً أو حراً طليقاً، وقد تنامت الرؤى لدى المتمدنين من بني الانسان حتى وصلت بهم إلى عيون الحرية بينما أبى الإسلام الاكتفاء بذلك وواصل المسيرة حتى بلوغ مناهل الاختيار. والاختيار، هو طلب الخير، أي أن الإنسان مطلق العنان حسب رؤى الإسلام ليختار الخير الذي تهديه المناسك والموازين الدينية السبيل إليه، وأكبر ما ذهب إليه الاسلام هو اعتباره نكاح الأعزب المنقاد ـ جراء عزوبيته ـ للإثم واجباً، وإن لم يكن المرء هكذا فإنه مخول لاختيار العزوبية دون الزواج.

ان الرهبة من التبعات الاقتصادية التي تعقب الزواج هي أهم عامل يبعد الشباب عن التفكير بهذا الموضوع، وقد أجاب جل جلاله على هذه القضية في الآية ﴿.. إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله..﴾[1]، إنه يقدم وعوده للشباب بإغنائهم من فضل المعيشة ببركة الزواج ويذم من ناحية انكباب بعض الشباب على طلب الكماليات ويعلن عن نفوره من البطالة

---

١ ـ سورة النور، الآية ٣٢.

كذلك، ويثني من ناحية أخرى على العمل والاسترزاق (وقد تطرقنا إلى هذا الموضوع في المجلد الثاني) حتى نص الاسلام على أن من يتوفى أثناء انهماكه بعمل يسترزق به بغية توفير مستلزمات المعيشة فإنه يتوفى شهيداً. وبهذا يقطع الاسلام الطريق أمام ظهور أي اضطراب إقتصادي مادي في هذا المجال.

إن الألفة والمحبة المتبلورة خلال الحياة الزوجية تأبى على الرجل التمتع بهذا الجو الأسري المفعم بالمحبة بعيداً عن الرفاه مما يدفعه للعمل كيفما يستسيغ لينظم حياته وفق برنامج متسق إلى جانب ما يناله من أجر إسلامي وأخروي.

وثاني القضايا التي تؤثر على حياة فريق من الشباب وتؤدي إلى امتناع الشباب ـ الذين يخصون صداقاتهم بالأقدمية في الحياة ـ عن الزواج، يكمن في أنهم يرون أن الزواج يفقدهم حريتهم واستقلالهم ويجدون الحل في العزوف عن الزواج والركون إلى العزوبية التي تثقل كاهلهم، بينا لا يكون هاجس فقدان الحرية سوى خيال واه يلقي بظلاله الثقيلة والمخيفة على حياتهم المستقبلية ويشعرهم بالرغبة في استعاضة هياج غراميات فترة العزوبة التي تمنح في كل يوم لفتاة ما، بالسكينة التي يهبها له العش الزوجي فيرنو لتبادل مشاعره مع فتاة واحدة يفترض أن تكون شريكة حياته وتساهم معه في تكوين الأسرة وإنجاب الأطفال ورفد المجتمع بهم بصفتهما أبوين.

إن ما أفضى به خالق الكون على المخلوقات إما أن حاز تقرير المجتمعات وجميع أبنائها في شتى الأطوار كالقضايا المتعلقة بالزواج

والشهوة الجنسية أو أنه نال تأييد المجتمعات وجميع أعضائها عقائدياً في مرحلة الإيمان إلّا أنه أُهمل عملياً في مرحلة الأداء كالصدق والأمانة والشجاعة و... أن الجميع يؤيدون سلبية القتل والكذب ولعب القمار وتعاطي المشروبات وضرورة تجنب هذه الأمور من قبل الآخرين إلّا أن الواقع ينافي ذلك عندما يصل الدور إلى أحوالهم أنفسهم.

ولم يجبل الزواج الذي أقره نظام الخلق وأيده كذلك النظام الاجتماعي، للسير بمقتضى مسيرة معينة لا يمكن الإنصراف عنها. فقد تتعرض الحياة الزوجية بعد فترة من الزمن عقائدياً للنهب والزعزعة من قبل أحد الزوجين حينما يتحول العش الزوجي ـ بفعل تصرفات الزوج الشاب الذي كان يرسم في مخيلته قبل الزواج قصراً من قصور الجنة يسكن فيها عائلته ـ بعد أمد قصير إلى وكر للعناد فتلقى الوشائج الأسرية في شراك المشاكل الناجمة عن هذه الحالة.

ان مرد الحديث النبوي «أكثر أهل النار العزاب» يعود إلى الصراع القائم بين الأعزب والعقل، لأن الأعزب ينزع للركون إلى الخيالات المالخولية دون الفكر والعقل، وإيلاء مصير كل من يبتعد عن رسوله الثاني (العقل) إلى النار حتمي بالطبع.

ان الأعزب إما أن يتجه إلى البغاء وإشباع غرائزه بأسلوب خاطئ وإما أنه يخادع غرائزه ويكبح جماحها بالزواج المدغم. إنني اخترت اصطلاح «المتزوج المدغم» لأطلقه لمن يكون فاعلاً ومفعولاً به في نفس الوقت وهو خاص بالمستمنين المعرضين لابتلاءات تطرقت في المجلدات السابقة بالتفصيل إليها. أو أنهم يكبتون حسب تصورهم غريزتهم الجنسية

ويلبون حاجتهم النفسية إليها عن طريق التخيلات الشاعرية والأحاسيس الجوفاء، لا ينكر ان التخيلات الشاعرية تتسم بالحلاوة ولكنها كالحلاوة التي يستذوقها اللص من مسروقاته.

ان هذه المشاعر البعيدة كل البعد عما فطر عليه الإنسان لا تتعدى حدود الطمأنينة الواهية والثقة الخاوية، هذا إذا تورع الأعزب عن استغلال عزوبيته لاصطياد الفتيات وأفلح في الحفاظ على نفسه من الوقوع في مصيدة النساء أيضاً، فالتخلص من تبعات هذه الورطة لا يتيسر إلّا لفئة قليلة منهم. ان الإحصائيات تشير بشكل رهيب إلى تفشي الرزايا لا سيما تلك الناجمة عن الأمراض التناسلية بين الكثير من المجتمعات.

قد يتصور الأعزب أن بإمكانه العيش مع باغية يعتبرها مؤنساً له وهو تصور خاطئ قد ينجم عن خطئه في فهم دور الزوجة الأنيسة، وقد تطرقت في المجلد الحادي والعشرين حيث شرحت الفارق بين زواج المتعة والبغاء، إلى هذا الموضوع أيضاً.

ان علاقة الأعزب بالمجتمع تمر بمرحلتين، مرحلة يتمتع فيها بوجود الأب والأم والأخت والأخ إلى جواره وبقوته وعنفوانه الجنسي فيجتنب المؤمنون من أقاربه معاشرته ومد جسور الارتباط معه أو أنهم يكونون على حذر عند الاختلاط به. والمرحلة الثانية تكون مرحلة شعوره بالوحدة عندما يلتفت فلا يرى أباه أو أخاه أو أُمّه أو أخته أو من يسمون أبناؤه (وهم عامل ديمومة حياته) إلى جانبه، وما أعسر الشعور بالوحدة.

فكرة الانتقاء

إن أهم الملاحظات البارزة التي يمكننا أن نخلص إليها من خلال الآية الشريفة: ﴿وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم، إن يكونوا فقراء يغنِهم الله من فضله﴾ هو:

ان حق الاختيار لم يمنح إلّا للزوج دون الزوجة وقد ذكر نص الأمر (وأنكحوا) قبل عبارة «إن يكونوا فقراء» في الآية السالفة، أي أن حق الاختيار قد منح للزوج شرط أن يتعهد بتوفير مستلزمات الراحة والمتطلبات المادية للأسرة ويغنيها من هذه الناحية عن الحاجة إلى غيره. وسيتحقق له ذلك بعد اجتياز المراحل والأمور المتعلقة بالزواج (طاعة لله) بمقتضى الوعد الالهي ﴿يُغنِهم الله من فضله﴾.

اننا نجهل حقيقة التضارب القائم بين العلم والعقل لدى بعض المثقفين، إنهم مثلاً يأخذون على بعض الشؤون الإسلامية دون مبرر كأن يتساءلون: لماذا يقال أن عقل المرأة أدنى مستوىً من عقل الرجل؟ هل الدافع من سؤالهم هذا هو أنهم لا يفقهون ما ذهب إليه علم التشريح الذي أثبت قوة مكونات الفص الجبهوي لدى الرجل مقارنة معه لدى المرأة

وأن قوة تحكم العواطف بالرجل أضعف من قوة عواطف المرأة لأن المهاد (وهو مركز المشاعر العاطفية) في دماغ المرأة قد مر بمراحل نمائية أكثر منه في الرجل. بناء على هذا نقول أن الاختيار من حق الرجل والرفض من حق المرأة، خاصة إن لاحظت فيه نزوعه إلى البطالة وتحمل المرض دون محاولته علاجها.

يسرد لنا القرآن الكريم قصة إمراة فرعون وقد أرهقها الجو المفروض على القصر والذي يتنافى مع الطبيعة النسائية، وكانت ممن لا يرغبون في الملك والحكومة والسلطة بل يشدها الشوق لبيت يكون مستقرها ومحل بيتوتتها فدعت ربّها بما عكسه على لسانها في القرآن الكريم ﴿رب ابن لي بيتاً عندك في الجنة﴾[١]، ذلك البيت الذي حرمت منه في الدنيا، فتمنت أن يهبها الله هذا المستقر في الآخرة عندما تلتحق بذاته القدسية. وقد شرحتُ ذلك في المجلدات ١٩، ٢٠، ٢١، وما أود التطرق إليه ها هنا هو شرح المقصود من الآية ﴿وفرعون ذي الأوتاد﴾ إذ فُسرت بأن فرعون قد أهلك زوجته الموحدة بمسامير أربعة شدّ بها كفي يديها وقدميها إلى الأرض. ويتحتم علينا أن نفهم من الآية أنها تقصد فرعون الذي تفنن في أساليب التعذيب وإعداد الجلاوزة المعذبين.

لقد ذكرتُ في المجلدات الآنفة أن المرأة تطمح لتستلم زمام الشؤون المنزلية برمتها لا غير، وأن تتعهد بمسؤولية المفاتيح، تعيين الأماكن المناسبة للطهي والنوم ولعب الأطفال وأن تكون هي سيدة الدار وزوجها

---

١ ـ سورة التحريم، الآية ١١.

رب الأسرة في الشؤون الخارجة عن نطاق البيت فتمتزج المهمتان لتثمرا حياة رغيدة آمنة. على أية حال يكون الاختيار حقاً للرجل والرفض من حقوق المرأة لأن الصواب يتحدد بصحة الخيار العقلي والرفض أو التأييد العاطفي، فمن بديهيات الحياة تدخل كل من الفؤاد والدماغ بتقرير الأوضاع.

قد تتحسس أحياناً مشاعر المودة دون مبرر إزاء شخص رأيته وقد يسرك نبأ تسلم شخص ما زمام مهام رئاسة الجمهورية في بلد من البلدان دون أن تراه وقد تغرم بمن سمعت صوته ولم تره، ربما يؤلمك فراق أبنائك وقد تشعر بمواقف أخرى تنتهجها دون معرفة الأسباب التي تبعث لديك هذا السلوك. أجل إنها قوة مبهمة تتحكم باتجاهاتك ألا وهي قوة القلب وقد جاء بحث مسهب حولها في المجلدات السابقة.

وهنا ألفت انتباه القارئ الكريم لعنوان المجلد القادم وهو «الغيرة» وأضيف أن رغبة المرأة في حيازة سيادة البيت تتسق تماماً مع حمية الرجل؛ فالرجل الغيور لا يحبذ تدخل المؤثرات الخارجة على الدار في أسس إدارة شؤون المنزل خلافاً لعديم الغيرة والحمية فانه يشق نفقاً ليسرب منه سيادة الدار خلافاً لما تحكم به الفطرة إلى خارجه فتفلت هذه الزعامة لتتلوث عندئذ في البيئة الخارجية وتؤول على الأسرة بما لا يحمد عقباه.

لا يخفى أن هنالك من يذهب في الدين إلى ما لم يحكم به الله على عباده فيجعل البيت قفصاً واسعاً يسجن فيه المرأة بدواعي الحمية خلافاً

لما صرح به الاسلام حول حقوقهن ﴿.. ولهن مثل الذي عليهنَّ بالمعروف..﴾[١] وإعراضاً عما ينبغي مراعاته في حقهن فتغدو كالحمام تذبل في قعر بيتها وهي تؤثِر القبر عليه، حتى تتخلص منه بالموت حين يستضيفها قبر ربما يكون أوسع رحمة عليها من دارها.

إنني أعرف رجلاً متعبداً دون علم حسب تعبير الإمام علي عليه السلام يتصرف مع زوجته بمنتهى الرأفة ويوفر لها ما يفيض عن الحاجة من مستلزمات العيش إلّا أنه يشوب سلوكه هذا بتصرفات يزعم أنها تنبع من روح حميته وهي في الواقع مجانفة للعدالة. وعلى سبيل المثال يضع مقداراً كبيراً من السكر في متناول يد زوجته وأطفاله يومياً قبل خروجه من الدار ويحرص على وضع مقدار من السكر في وعاء جميل خاص يوضع في غرفة استقبال الضيوف ثم يلقي ذبابة فيه قبل غلقه ويعود فور دخوله الدار مساءً ليتفحص الوعاء ويكسب علماً هل يا ترى زار المنزل أحد فلو حدث مثل هذا الأمر واستدعي الضيف لتناول قدح من الشاي، تكون الذبابة قد طارت بمحض رفع غطاء الوعاء.

يجب أن لا ننسى أن الآثام الصغيرة والأفعال الحمقاء المستصغرة تلذع القلوب وتحزّ فيها الآلام كثيراً. إن هذا الرجل كان يصل أحياناً إلى حد الجنون في فصل يندر فيه انتشار الذباب ويغفل أن زوجته الوفية قد وعت القضية وتعرف منذ البداية سر وجود الذباب في وعاء السكر إلّا أن دينها منعها من الافصاح عن ذلك لئلا تزعج زوجها.

---

١ ـ سورة البقرة، الآية ٢٢٨.

فكرة الزواج

يتوجب على كل من عقد العزم على الاقتران دون الاهتمام بأمـرين معينين أن يعلم أنه ضاع في متاهات الحياة وغـفل عـن الصـواب ولم يتصرف بأسلوب حكيم وسيثبت له الزمن فداحة خطئه، وهذان الأمران هما: ضرورة إلتزام الزوج بالشؤون الدينية وعدم التمادي في التوقعات أو التطبع بالغرور عند انتقاء الزوج.

لقد تدارست موضوع الدين وأهميته خلال مواضيع متنوعة في هذا الكتاب، وسأتطرق إلى تطبع الشباب أو الشابات ممن عزموا على الزواج بالغرور. لقد تحدثت بإسهاب في المـجلدات الخـاصة بـالاستفسارات وإجاباتها (٢٢، ٢٣ و٢٤) عن خطأ من يذهب إلى القول بأصالة صفاء القلوب، صحيح أن النية هي مقدمة الأداء إلّا أنها تقتصر على ما يعتلج القلب وقد تغرق في متاهات أمور تبعدها كل البعد عما كانت عليه. فالنية والعزم لا تتكامل إلّا عندما تتحول هذه الطاقة الكامنة إلى فاعلية واضحة وتتجلى هذه القوة في مبادرة تبديها الأعضاء أو اللسان، وقد تزامن ذكر عبارة «ان الذين آمنوا» مع «وعملوا الصالحات» في القـرآن، فـالنوايـا الحسنة شمس تشرق في النفوس و «عملوا الصـالحات» تـعني تـبلور النوايا الحسنة في أعمال واضحة وجلية.

ان الشابة أو الشاب الذي تأبى أفكاره ويرفض ذوقه الاقتران بمن لا يعتبر وسيماً وذا ثروة وكمال دون العودة إلى ذاته وأخذ مستوى جماله أو

وضعه المادي أو الكمالي بنظر الاعتبار، يفشل في هذا المضمار فيقضي سنين عدة من حياته غارقاً في بحر خيالاته الشاعرية ليفهم بعد فوات الأوان أية صفعة تلقاها من الغرور وأية ضربة سددها إليه التمادي في التطلع والتمني!

إن تمادي من يعاني الفقر أو حرم من الجمال في تطلعه وتوقعه بسبب فضيلة اكتسبها يؤدي به إلى إحدى حالتين، إما أن يقترن بزوجة يرغبها من عائلة مؤمنة أو بفتاة من أسرة تتبع دنياها في دينها. وفي الحالة الثانية يكون النزاع والجدال حول الأعراق النسبية أو العراقة القومية ومكانة الآباء والأجداد، الشغل الشاغل للعروس والعريس خاصة لو امتازت إحدى الأسرتين بتفوقها المادي فسينصب هم الأسرة الثانية في بذل المساعي الحثيثة للتكافؤ مع عائلة العريس أو العروس ويؤول هذا الوضع عليها بالشجار والتشاحن المستمر.

فلو كانت المرأة أسيرة أفكارها ينفد صبرها عاجلاً فتعلن عن ثورتها، وإن كانت بخيلة تمنع عطاءها حتى عن زوجها يصبح النزاع نصيبهما في الحياة، أما عن رغبة الزوج بالتدخل في شؤون أموال زوجته الثرية فإنها الطامة الكبرى، وما يزيد الطين بلة تمتع الرجال بضعف نصيب النساء من الإرث إزاء إلقاء مسؤولية التعهد بتكاليف المعيشة على عاتق الرجال إذ قد تعتبره الزوجة انحيازاً والزوج ظلماً في حالة تجاهلهما الحكمة من هذا الحكم الإسلامي.

وتوجه الزوجة إن كانت تنتسب إلى عائلة ثرية، اللوم إلى زوجها بشكل متواصل، وقد يتسم الزوج بمثل هذه الميزة ودعاه جمال الزوجة

للاقتران بها، وفي كلا الحالتين يعم النقاش حول الاختلاف الطبقي بين الأسرتين على حياة الشابين ويكمن الحل الوحيد لهذه المشكلة في التمسك بالأحكام الدينية لا غير.

والخلاف الآخر الذي لا يسعنا فضّه إلّا بوساطة الدين هو جمال الزوجة الخارق الذي يذيق الزوج المرارة أحياناً عندما تستبدل المرأة وظائفها الاسرية المتمثلة بالوفاء، الألفة، المودة، تربية الاطفال ورضاعتهم وإدارة شؤون البيت بمهمة عرض جمالها. إن الجمال يستوجب التحصن خاصة في الأجواء الاجتماعية التي يعمها الفساد.

والتباين الآخر الذي يخلق النزاع في الاسرة هو الاختلاف الشاسع بين عمر الزوجين كأن يتزوج كهل فتاة شابة أو أن تقترن عجوز بشاب إذ يركن الأصغر سناً عند الجماع إلى روح الفظاظة بينما يمتنع الآخر عنها ويمتلك الأول زمام بلوغه النشوة أثناء الجماع مما يشعر الآخر بالانزعاج والانقباض النفسي، وفي غيرها من الظروف يشعر المتقدم في العمر دوماً وهو صاحب تجارب أكبر في الحياة بأنه يعجز عن أداء الأعمال بشكل صحيح وهذا ما يجرح مشاعره ويثير أعصابه ويؤول إلى وقوع النزاع بين الزوجين.

ان تهيؤ الزوجين مع الجو الأسري هو مفتاح سعادة العائلة، ولهذا نجد أن مفعول الدين ساري لحل جميع المشاكل العائلية إلّا في حالة واحدة يفقد الدين فيها أثره وقد أكد ائمتنا الأطهار عليهم السلام ضرورة التحفظ منها وهي الاقتران بالزوجة الحمقاء والأسوأ منها المرأة المختالة بعلمها.

لا ننسىٰ هنا أن ننوه إلى أن زواج الرجل من ذوي المؤهلات العلمية

والمعلومات العليا بفتاة بسيطة قليلة الزاد من العلم، وشعور الزوج بالهوة الشاسعة بينهما يبلور لديه فكرة بأن الزوجة حمقاء ويدفعه لتبني سلوك لا يليق حتى بالمرأة الحمقاء. وهنالك الأزواج الحمقىٰ السيئو الأدب من ذوي المؤهلات الدراسية المتدنية، الذين لا تردعهم أخلاقهم حتى عن إساءة الأدب لآبائهم.

ولو وقع اختيار الشاب على فتاة شعثاء مهملة الهيئة والمظهر قبل الزواج فليعلم أن الله سبحانه وتعالى لا يحب مثل هؤلاء الأشخاص إذ قال نبينا الكريم ﷺ: «**إن الله يبغض الوسخ الأشعث**»، وسيسود الإهمال حياته مع هذه الفتاة ففي دور أمثالها تجد الأحذية في قعر الدار والملابس عند مدخله وهكذا. أما إن اختار فتاة متصابية لا يهمها إلّا ان تختار جلد كذا حيوان لفستانها أو هذا الحيوان لردائها فلا يكون ثمرة حياتها سوى مشجب مزدحم بالملابس الثمينة لا غير، ففي هذه الحالة أيضاً لا يختلف وضعه عمن سلف ذكره أبداً.

ومن شأن الدين التحكم بعصبية النساء وعلى الرجل العصبي المزاج الامتناع عن الاقتران بفتاة مثله لأنهما سيبدلان البيت إلى مصح للمجانين، سوى في حالة واحدة وهي أن يكون إيمانهما أو إيمان أحدهما راسخاً إلى درجة يعينهما أو يعينه على التجلد فيكون نصيبه عند الوفاة بعد عمر قضاه معسوراً تحقق الوعد الالهي في الآية ﴿يا أيتها النفسُ المطمئنة إرجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي عبادي وادخلي جنتي﴾.

ونلخص من حديثنا المجمل هذا أمرين مهمين هما:

١ ـ أردف على دراستي في المجلد (٢١) حول الاقتران بالأقارب أو الأجانب، بالقول:

إن الزواج من الأقارب يحمل في ثناياه حسناً هو ما يتأتىٰ من تعرف الزوجين على أخلاقيات وسلوكيات بعضهما.

٢ ـ الدين كما لاحظنا دواء لمختلف أنواع معاناة الانسان (إلّا في حالة تكون فيها الزوجة حمقاء) ولهذا يجب التأكيد على التزام الزوج بالدين فالمعلومات وحدها لاتكفي للنجاح في الحياة الزوجية، فقد تطالع مجلداتي الـ (٣٥) السابقة وكذلك مجلداتي اللاحقة وتلتزم الحيطة بجميع أبعادها عند اختيار الزوجة ومع هذا لا يحالفك الحظ، وهو احتمال قوي. وهنا أيضاً يبرز دور الدين الذي يضفي التهيؤ والتواضع والاستئناس على الحياة الزوجية من كل منفذ وبأي وسيلة كانت متى ما تطبع الجو الاسري به (الدين).

الزفاف

الزفاف منعطف يعرج عنده الفتى والفتاة السابقان أو بتعبير آخر الزوجان المستقبليان على الحياة الأسرية التي تقام على خط نصف نهار العمر إذ تغرب في غرفة العروس شمس الزوجين المسميين فتى وفتاة لتطل عليهما ثانية وقد غديا رجلاً وامرأة.

وغرفة العروس محل يتجسد فيه الذوق الشخصي والآراء المتميزة ولهذا يجب إعدادها بشكل يوحي بالأمل والارتياح من كل جانب، وتزود الغرفة بسرير أو فراش جميل ونظيف في أفضل وضع، ويجب الاهتمام بلون طلاء الحائط والسقف لأنه أمر يمتاز بأثره البالغ في نفسية العريسين، وقد تطرقنا إلى أثر اللون في النفس في المجلد الخامس. وكذلك النور، درجة الحرارة، التهوية، الأصوات النافذة، الروائح وعدد الوسائد كلها أمور ذات أهمية في هذا السياق. ولإستحمام كلا العريسين بالماء الدافئ قبل دخول غرفة العروس دور مؤثر جداً لأن تنشيط أحاسيس كل من المرأة والرجل تحت طائل الرائحة الطبيعية لجسم الآخر أكثر فاعلية من سائر المهيجات الأخرىٰ (هنا نذكر أن استحمام المرأة يجب ان يسبق مرحلة تزينها وتصفيف شعرها).

وعلى كل منهما التمرن على ما يجب التعبير عنه في اللقاء الأول. الشاب يدخل الغرفة فيلقي السلام بجد لا أن يظهر الميوعة، يلقي التحية بصوت هادئ لا منخفض ولا عال، دون أن يردف بالعبارات المتداولة الأخرى وأن يركز نظرته على الفتاة وهو يرد الغرفة ويقطع المسافة متوئداً حتى يصل إلى جانبها، وأن لا ترفع الفتاة بصرها من الأرض وترد التحية بصوت لا يبلغ مسامع أحد غير الزوج، وأن تظهر التواضع بقدر ما أظهر الزوج من الجد في الإجابة على تحية زوجها، ثم يطلب الزوج الرخصة ليجلس إلى جوارها فتلتزم الصمت ولا تجيب لأن (السكوت علامة الرضا)، وبمحض جلوسه إلى جانبها يغدو هذا رجلاً وتلك امرأة لأنها انطلاقة المشاعر الرجالية والنسائية وهو خط نصف النهار الحياتي على مدار تبني المسؤوليات وتشكل حياة أسرية هانئة وجديدة ينبغي افتتاحها باسم الله.

هنا يجب على الزوج أن يقترح على زوجته إقامة ركعتي صلاة استحبابية بالقرب من الفراش ليقترح في أعقابها على الزوجة اللجوء إلى الفراش فإن رفضت أي التزمت الصمت يترك الأمر ويواصل مجالستها ومداعبتها والتحدث معها بأحاديث حلوة حول مستقبل حياتهما ويحمد الله بصوت مسموع على ما وهبه إياه من زوجة مؤمنة وجديرة ويستهدف من فعله هذا تلقين الفتاة بأن ما يهمه من أمرها هو التزامها بالدين. وأن يتجنب في حديثه عن الماضي التطرق إلى الآلام والديون والمعاناة، عليه التحرز من اختبار الفتاة كأن يسألها: عزيزتي بما أن فرعك الدراسي في الثانوية كان علمياً أخبريني كيف يمكن حل هذه المسألة الرياضية

الخاصة بدرس المثلثات؟ أو أن يقول لها: بما أنك فتاة مؤمنة اجيبيني أيهما أهم التولي أم التبرؤ؟.

وبعد هنيهة يعاود الكرة فيسأل زوجته: ألا تريدين اللجوء إلى الفراش يا زوجتي العزيزة؟. ولا ضير إن رفضت ثانية أو جوبه الاقتراح عدة مرات بالرفض فسينهك الإرهاق قواها في النهاية وتضطر للجوء إلى الفراش دون ريب ما دامت غير قادرة على ترك الغرفة.

ومن الأفضل أن يخلع الزوج في الكرة الأولى فقط جوراب الزوجة لأنهما سيفهمان في الكرات التالية كيف يخلعان ملابسهما وأي الملابس يرتديان، ولم تتحدث الكتب العصرية عن أقدمية ولوج الفراش من قبل اي من الزوجين ولكن الرسول الكريم ﷺ أمر الزوجة أن لا تستلقي على فراش زوجها قبل أن تخلع ملابسها وأن لا تخلد إلى النوم إلّا وقد ألصقت جسمها بجسم زوجها[1].

لابد أنكم لاحظتم أن الإسلام يؤكد دوماً على مبادرة المرأة وأن تعمل ما من شأنها ليضمها الزوج إليه، وسنطالع معاً أن الإسلام في كثير من الحالات يطالب المرأة بالتمكين، وقد أكد رسول الله ﷺ أن من حق الزوج على زوجته أن لا تبعده عن نفسها وإن كانا راكبين على جمل[2] ـ كما جاء في الأحاديث المروية عنه(ص) ـ وأن على المرأة استعمال أزكى العطور وأجمل الملابس وأن تعرض نفسها على زوجها ليل نهار

---

١ ـ وسائل الشيعة، أبواب مقدمات النكاح، باب ٩١.

٢ ـ المصدر السابق، باب ٩٧.

فإن فعلت فلتعلم أن حقه عليها أكثر من ذلك أيضا[١].

ووصف الإمام الصادق عليه السلام أفضل النساء بأنها تلك التي عندما ترى زوجها ثائراً أو حزيناً تخبره أنها سوف لن تستسلم للرقاد قبل أن يرضىٰ عنها[٢]. وتذكر رواية أخرى ان على المرأة ان لا تنام قبل أن يدخل زوجها عليها في الفراش. ان التأكيد على كل هذا الطلب من الرجل يعود لأسباب متنوعة، أحدها كون النشاط الجنسي في الرجل متتالياً ولدى المرأة متناوباً وعلى المتناوب أن يلبي طلبات المتتالي وسأشرح ذلك لاحقاً.

ونظراً لأهمية الجماع الأول يتحتم على الزوج أن يعتمد الذوق في كل ما يقوله أو ينساق على لسانه من حديث ليلة عرسه.

ويتوجب على العروس أن تهتم في هذه الليلة بشعرها وما علقت به من وسائل الزينة لئلا تخدش يد العريس وأن يهتم العريس بغطاء العروس، أن لا ينحسر عنها وبإغلاق الشبابيك عند انخفاض درجة الحرارة أو تشغيل المبرد في حالة ارتفاع هذه الدرجة وأن يتعرف على أسلوب العزل (الامتناع عن صب السائل المنوي في جوف المرأة لمنع الحمل) أو أساليب المنع الأخرىٰ التي تم شرحها في المجلد السابق.

ينبغي للعريس أن يعرف أن الفتاة تخشىٰ ما تخشىٰ في ليلة عرسها أمرين تواجههما وعليه أن لا يضيف عليهما ثالثاً يتمثل بشخصه هو.

---

١ ـ المصدر السابق، باب ٩٧.

٢ ـ مكارم الأخلاق، ص ٢٢٩.

والأمران هما: الرهبة من مسؤولية الحياة وتضم إليها الواعيات من الفتيات الخشية ما اذا كان الزوج سيستحسن سلوكها أم لا؟ والأمر الثاني هو غشاء البكارة. إذن على الزوج أن لا يتحدث إلّا بما يبث الأمل في النفوس وأن لا يتفوه بما يخيف به الفتاة. وسأتناول هذا الموضوع (إزالة غشاء البكارة وما يسببه الجهل فيما يخص هذه الحالة من متاعب).

غرفة العروس منعطف الحياة الجديدة

علينا أن نذعن أن سيرة الرسول صلى الله عليه وآله وأحاديثه إنما هي سجل يضم بين كنفيه مذهباً ومدرسة فكرية يجب أن يترعرع فيها أتباعه، ولو خالف تصورنا هذا الواقع إذن لكان من واجبنا أن نعترف أننا لم نتعلم من الإسلام شيئاً وأننا نفتقد قواسم مشتركة أو انسجاماً مطلوباً بين تعاليم ديننا ومدركاتنا وسنظل على هذه الحال ما دامت أفكارنا على هذا المنوال.

يريد الإسلام الكشف عن نقاط الضعف في أتباعه ليستبدلوها بالحقيقة، ولهذا تتلخص المفاهيم الاسلامية في عبارة: لا إله (الكشف عن نقاط الضعف)، إلّا الله (صقل نقاط الضعف والتعويض عنها بالحق والحقيقة).

مع أنني برهنت في عدة مجلدات، خاصة المجلد الثاني أن الدين لا يسعه أن يكون في معزل عن السياسة، أضيف هنا: بما أن الاسلام يهتم بجميع جوانب الحياة في المجتمع ولا يكون في معزل عن أي من هذه

الجوانب، والسياسة هي أحد هذه الجوانب، إذن لا يمكن بناء مجتمع إسلامي يكون الدين فيه بمعزل عن السياسة.

ان المجتمعات العصرية التي تعزل في أجوائها الكنيسة عن الحكومة، إنما تبغي بذلك الحفاظ على المميزات التي استحصلها الإنسان العصري إثر توازن قوتين متعارضتين وأحدثها الاتجاهان الشيوعي والرأسمالي*، وإلّا فإن الكنيسة والحكومة لا تستطيع أي منهما منفردة عن الأخرىٰ تهيئة ما يرغب الإنسان في التضحية به توفيراً لمستلزمات كماله. يطمح الإنسان أن يرى تضحية الإمبراطور في أوان تفرغه من سلطاته الحكومية أو المؤامرات الاستعمارية، بما تشتهيه نفسه تطبيقاً للقوانين التي تدفع مجتمعه نحو الكمال، وفي هذه الحالة بالذات يتحسس المرء مشاعر الحاجة ولو إلى لبنة واحدة من لبنات الكنيسة لتتحكم ولو بفاعلية بسيطة في مسيرة حياة المجتمع.

أنظر إلى الإسلام، إنه يداعب مشام أتباعه برائحة الجنة في جميع الحالات التي تتفاعل فيها نفسيته مع مؤثرات بعيدة عن الدين، إنه يلقي بظلال من الجنة على رؤوس العريسين في طليعة تأهبهما لتنشئة جيل المستقبل وهما زاخران بالميول والشهوات النفسانية ويثبت أقدامهما على بقعة من أرض الجنة التي تبذل تحت أقدام كل فتاة تزكت بعطور من الجنة وتناولت من ثمارها لتترعرع وتساهم في انعقاد نطفة يتحول جنيناً فمولوداً تنال به تلك الفتاة وسام الأمومة الفذ ويتحقق لها ما وعدت

---

* ـ تم تأليف هذا الكتاب عندما كان الاتجاه الشيوعي في ذروة نشاطه.

(الجنة تحت أقدام الأمهات).

فالجنة إذن ترافق الانسان منذ بداية تأهبه للإنجاب وكذلك بعد بلوغه مرحلة الإنجاب، والأعظم من هاتين المرحلتين أن رسول الله ﷺ اعتبر الولد الصالح أفضل خيرات وموروثات بني الانسان. ولا ينتهي دور الجنة بهذا بل تكون الجنة مستهدفة في خاتمة المطاف أيضاً حيث ترفع الأرواح الطيبة إلى الجنة. أية مسيرة هذه التي تنتهي من كل حدب وصوب بالجنة وتقسم الوجود بدرجة من الدقة والاهتمام إلى المادة والمفهوم بحيث يؤدي تلقائياً إلى انقسام نظام الخلق كذلك إلى عالم الشهود والغيب.

ويؤكد الاسلام العظيم الذي يعنىٰ حتى بستر العورة في ظل نظام قانوني، أن الدور عندما بلغ نبياً إلهياً أوحي إليه بستر عورته بأوراق من الجنة ﴿وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة﴾[1].

إذن النكاح يبدأ مسيرته مع الجنة ويرافقها في شتى المراحل وغايته الوصول إليها في نهاية المطاف، وغرفة العروس محطة طيبة على قارعة هذه المسيرة.

يولد المولود مجبولاً على الفطرة فيترعرع ويشب ثم يفترش تحت قدميه بساطاً من الجنة فتحمل المرأة جنيناً ويصبح شأنها شأن مجاهد أشهر سيفه في سبيل الله، ثم هي مرضع لها من الثواب ما يكسبه من يقضي الليل ساهراً متعبداً وقد أتم نهاره صائماً، ثم تغدو أماً لطفل

---

١ ـ سورة الأعراف، الآية ٢٢.

وتنهمك بإعداد مستلزمات أسرتها، المادية والمعنوية، فتفترش الجنة تحت قدميها وعندما تتوسد التراب وتترك خلفاً صالحاً يكون ذلك مدعاة لترسيخ مكانتها في الجنة. إن حيازة هذه المكانة في الجنة أجر تثاب به على نجاحها في تنشئة جيل إسلامي سليم.

يا ترى أي الشعوب والمذاهب منحت المرأة مثل هذه المكانة والفضائل ورفعتها حتى الملكوت، إن ما نطقت به من عبارات إنما كانت مدلول آيات أو أحاديث رويت عن الأئمة المعصومين عليهم السلام : مائدة من الجنة، امرأة حامل من الجنة، مرضعة من الجنة، وليد من الجنة، الجنة تحت أقدام الامهات، ستر العورة في الجنة، خلف من دواعي الجنة، إنها مكتسبات هبطت من الملكوت الأعلى ويجب ان تعود إلى حيث أتت. إن ما يوهب لنا من التراب يستعيده التراب منا بل بالأحرى يستقصي طريقه باحثاً عن التراب ليعود إليه اذ تقول الآية الشريفة ﴿**منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى**﴾[1].

تحدثنا حتى الآن عن احتفاء الإسلام بالمرأة وأنها على ارتباط دائم بالجنة في مسيرة حياتها الإلهية. وسنتطرق إلى الحياة المشتركة للمرأة والرجل والاحتفاء بهما سوية في زمان من أزمنة الجنة ومكان من أمكنتها.

ذكرت لكرات عديدة أن الله سبحانه وتعالى بلغ في التساوي بين المرأة والرجل حداً جعله يذكر اسمهما (المتلخص في كلمة أبوين) إلى

---

١ ـ سورة طه، الآية ٥٥.

جانب اسمه القدسي. وقد حان الأوان لهذين الشخصين (العروس والعريس) ليختارا محلاً ما يلتقيان فيه في ساعة ما فيتم ادغامهما معاً سعياً لاكتساب الجدارة اللائقة والمطلوبة لذكر اسمهما مع اسم الذات المقدسة.

وباندماج لفظتي الزوج والزوجة في كلمة واحدة وهي «الأبوان» تبرز في حياتهما مصطلحات وشؤون بناءة ومهمة أخرى مثل: المودة، الرأفة، التفاهم، الانسجام، التعرف على الأقارب، والأهم من كل ذلك العلاقات الاجتماعية والإنجاب بل الإبداع. إن هذه المفاهيم هي التي تشد الزوجين إلى بعضهما بل تسوق أحدهما نحو الآخر وتخلق منهما مفرداً. وبهذا الاتحاد ينالان الجدارة لتقلّد وسام «الأبوين» والوقوف إزاء اسم أصل الوجود والتوحيد الباري عز وجل:

﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلّا إياه وبالوالدين إحسانا﴾[1]، ﴿أن اشكر لي ولوالديك...﴾[2].

إن اتحاد بل اندماج ووحدة هذين الشخصين يشق طريقه في الدوافع والميول لا في الايديولوجيات النفعية أو التكيفات المصطنعة بل يتلخص الأمر كله في أنه لباس لها وهي لباس له، يستر كل منهما الآخر ويحفظه. وقضية الكفء تتطلب أن لا يكون هذا اللباس قصيراً أو نجساً أو... إنها ملحمة الحياة التي تشرع بطلب كل منهما الخير للآخر.

---

١ ـ سورة الإسراء، الآية ٢٣.

٢ ـ سورة لقمان، الآية ١٤.

يقف العريسان على عتبة الحياة الزوجية كما وقفا عند ولادتهما على عتبة الحياة وكما أنهما ولدا مجبولين على الفطرة وهي القانون السماوي المنساق إلى الجنة فإن استيعابهما وتفهمهما لطابع الجنة في المكان الذي يجتمعان فيه ليلة الزفاف يتيسر بالتفاتة صغيرة من كليهما لقداسة موضوع الزواج.

قرأنا معاً في المجلد السابق أن الرسول ﷺ أمر في ليلة زفاف بضعته الفريدة: «هيئوا لابنتي وابن عمي في حجري بيتاً»[1].

إن كل كلمة من كلمات هذا الحديث النبوي إنما تنطق بمفاهيم وتعاليم يجمل في سياقها قانون إلهي يهدي لما هو ضروري من الإجراءات التي ينبغي اتخاذها ليلة زفاف أي عريسين.

تتضمن كلمة هيئوا هيكلية ذات مفاهيم ينبغي ترسيخها في أعماق أجسام وأرواح سكنتها بل كل من يكون على صلة بها. إن زليخا وجهت بقولها «هيت لك» الدعوة ليوسف النبي ليأتيها في عرسها الكاذب إلّا أن خاتم الأنبياء والمرسلين استخدم الكلمة (هيئوا) عندما أمر بإعداد الحجرة لعرس صادق، عرس علي المظلوم وابنته المحرومة، أو عرس كافة الشباب والشابات الكريمات من أتباعه الصادقين، وعلى مثل هذا العرس تترتب فاعلية الآية ﴿صدقاتهن نحلة﴾ لا غير. وفي مثل هذا الزفاف يتحتم على الرجل دخول الحياة الزوجية بمروءة والخروج منها بشهامة الرجال وان يتطبع بالرجولة في كل حين وحال لا أن تقتصر على

---

١ ـ بحار الأنوار، ج ٤٣، ص ٩٥.

لحظات لقب فيها بهذا اللقب البهيج (العريس). لقد فر يوسف الصديق من عرس كاذب نادت فيه الفتاة «هيت لك»، فأجابها: ﴿معاذ الله﴾. وقد يأمر الرجل الفتاة في عرس كاذب: «تأهبي» فتعرض عنه قائلة: أستعيد بالله.

وهنالك أعراس مخيبة على نوعين: العلني والخفي.

عرس كاذب علني تدخل فيه العروس الحجرة وقد أزيلت بكارتها في جماع سابق.

وعرس كاذب خفي تكون الفتاة فيه قد ذاقت طعم الجماع سابقاً دون أن تفقد بكارتها، وسأشرح جميع هذه الحالات في بحث الزفاف.

ان أهم ما يعنينا هو التهيؤ واتخاذ الهيئة الصحيحة واجتناب الطريقة المنحرفة والهيئة الخاطئة دوماً، هيئة لا يعرف الغبار سبيلاً للتراكم عليها، لا كتلك الهيئة الكاذبة التي تحاول الإيقاع بأمثال يوسف الصديق عليه السلام بل التي يخصها الله دوماً برحمته ويسودها الرقي وتعمها النعمة ﴿... ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا﴾[1] أو ﴿ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشداً﴾[2].

إذن اللفظة (هيئ) ذكرت في كلا الآيتين فيما يخص المأوى فالحالة الأولى تسرد أحداث استقرار هذه الثلة المؤمنة في الكهف ﴿إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من...﴾ وتضرعهم إلى الله مستهلين الدعاء بكلمة (هيئ). وتكرر الموضوع في الحالة الثانية عندما أمرهم

---

١ ـ سورة الكهف، الآية ١٦.

٢ ـ سورة الكهف، الآية ١٠.

كبيرهم باللجوء إلى الكهف: ﴿فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته﴾. إذن لا تستخدم لفظة «الهيئة» إلّا عندما يدور الحديث عن صالح الفعال وفي المواقف الصادقة، سواء كانت هذه الهيئة كهفاً وغاراً أو منطلقاً للحفاظ على أنسال عباد الله الصالحين سواء عندما يقضي أمثال دقيانوس عليهم ولا يبقي منهم سوى سبعة يلجأون إلى الكهف أو في غرفة عرس زوجين افترشا بقعة من أرض الجنة تحت قدميهما وستطأها قدما الأم غداً وخطوات أسرة هانئة انبثقت من الجنة بعد غد.

عدد أصحاب الكهف

أود التطرق هنا باختصار إلى موضوع أصحاب الكهف والسبب الذي دعاني لأستصوب العدد سبعة بشأنهم، رغم خروج هذا الموضوع عن نطاق بحثنا الراهن.

بالاستناد إلى الفعل (فقالوا) الذي جاء في الآية (١٠) من سورة الكهف وصيغة الجمع المأخوذة بنظر الاعتبار فيه، يتضح لنا أن عددهم أكثر من إثنين وإلّا لكان الفعل يأتي بصيغة المفرد أو المثنى، وصيغة الجمع يؤخذ بها لثلاثة اشخاص على الأقل.

تذكر الآية ١٩ أنه عندما ﴿قال قائل منهم كم لبثتم...﴾ أجابوه ﴿قالوا لبثنا﴾ وهنا تدل صيغة الجمع على أن المجيبين كانوا ثلاثة أشخاص على الأقل فيصبح مجموعهم أربعة. وعندما قال المجيبون منهم (لبثنا) أردف البقية ﴿قالوا ربكم أعلم بما لبثتم﴾ أي أن المعقبين على كلام

الفريق الأول كانوا أيضاً ثلاثة اشخاص على أقل تقدير فيكون المجموع سبعة أشخاص أو أكثر، وبما أن القرآن لم يتعد العدد سبعة في الآيات التي تطرقت لذكر عدد أصحاب الكهف فإن عددهم كان سبعة لا أكثر.

نعود إلى حديثنا:

وثاني الألفاظ التي استخدمها رسول الله ﷺ هي: «لابنتي». اننا نعثر على هذه الكلمة في عدة آيات من القرآن الكريم حيث جاءت على لسان النبي شعيب عليه السلام في نفس هذه الحالة (الزواج): ﴿قال إني أريد أن انكحك إحدى ابنتي هاتين﴾[1]. وكان نبي الله شعيب عليه السلام يقصد ابنتيه هو، وفي الآية ﴿ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها..﴾[2]. لقد عاود رسول الله ﷺ مراراً التحدث عن كليهما معاً (فاطمة ومريم «س») وأثنى عليهما سوية وبنفس الدرجة من الاحترام. والأكثر إثارة للاهتمام هو استخدام هذا المصطلح عند الزواج في جميع هذه الحالات وفي الزواج يقترن كل شخص بكفئه، إذن الاقتران ينبغي ان يتم مع من يتمتع بمزايا مماثلة، ونبي الله شعيب عليه السلام زوج ابنته بابن عمران وهكذا رسول الله ﷺ.

والكلمة الثالثة: ابن عمي، عمد رسول الله ﷺ إلى استخدامها بينما كان يسعه أن يسميه كما في أكثر الحالات الأخرى: خليفتي، وصيي، الولي، الإمام، الوارث، النقيب و... لكنه كان يتحدث عن إعداد حجرة

---

١ ـ سورة القصص، الآية ٢٧.

٢ ـ سورة التحريم، الآية ١٢.

العروس وإجراء مراسيم العرس ولكل مقام مقال. وقد نوهنا أن الرسول العظيم صلى الله عليه وآله كان يقصد بكل فعل وقول الإرشاد وإستبانة تعاليم الدين فيذكر أن هذا النكاح تم لابن عمه وهو اقتران بين الأقارب وأنه باعتباره رسول الله يستصوب مثل هذا الزواج.. وبما أن الزوجين طيبان فستكون ثمرة اقترانهما جيلاً فائق الطيبة، جيلاً يبدأه الحسنان وسيواصل مسيرته حتى ينال ما وعد وحيث وعد ﴿إنا اعطيناك الكوثر﴾. وقد تطرقت للحديث عن زواج الأقارب والاقتران بالغرباء في المجلد (٢١). إضافة إلى هذا، لايفترض أن يقترن ذكر ومصير ابنة الرسول الكريم إلّا بابن عمه.

الكلمة التالية «حجرة»، هنالك الحجرة، الدار، البيت، المنزل والمسكن و...، وهنا لا نتحدث عن الدار لأن أصلها من أصل الدائرة أو الإدارة وهي مقام يحوي كل شيء فمحل لاستقبال الضيوف ومحل... كما نمتنع عن شرح لفظة مسكن فإنها من السكن والسكينة تبرز أينما يظهر التزعزع والمسكين نجده حيثما يقبض الفقر على الرقاب و...، إننا نتناول هنا كلمتين بالبحث والتمحيص وهما كلمتا حجرة وبيت اللتان ذكرتا في هذا الحديث.

الحجرة من الحَجَر وهو ذلك الجانب من البيت الذي يتعلق برصانة علاقة الإنسان بالحجر، وقد شرحت نمط علاقة الانسان بالأحجار في جميع المذاهب والأديان ولدى كافة الشعوب في المجلدات السابقة. إن قدسية الجو الأسري في البيت مرده يعود إلى هذا الجانب بالذات من البيت الذي قال عنه علي بن أبي طالب عليه السلام «المقربون في حجرات

القدس». وأبى الله عز وجل أن يجعل حجر اسماعيل داخل دائرة الطواف ليمتنع الناس عن دخوله. ومن حسن الحظ أن أكثرية الناس يلتزمون بهذه الأخلاقية حتى الآن ويتجنبون دخول الحجرات على أحد قبل الاستئذان، ويسمي تجار ايران محال عملهم «حجرة» تطبيقاً للحديث النبوي الشريف «الكاسب حبيب الله» والأحاديث المروية في مجال فضيلة العمل واكتساب الخبرات والتجارب والتي أكدت ضرورة استقرار أحباء الله في أماكن حصينة وأمينة وقدسية يمنع دخولها كما منع الطواف حول حجر اسماعيل أو ولوجه.

إن الحجرات مقدسة الأجواء كما يقول الإمام علي عليه السلام وإلى الحد الذي يجعل مناداة أحد من وراء جدرانها وأدنى تعكير لأجوائها أمراً مذموماً من قبل الباري تعالى: ﴿إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون﴾[1]. وكان الهدف من نزول هذه الآية توضيح شأن أولئك الذين كانوا ينادون الرسول بصوت مرتفع من وراء جدران بيته «يا محمد، يا محمد». ان معنى كلمة حجر يرتبط بالكلمات حجر (بفتح الحاء والجيم)، الحجر (بفتح الحاء) أي المنع والحِجر (بكسر الحاء) أي التحريم ـ مع فارق ضئيل في معانيها ـ وتدل معاً على تحريم ومنع دخول الحجرات والتصرف بأدنى شيء فيها إلّا بإذن من صاحبها.

وحسبك أن تعرف أن الحجرات قد منع دخولها وتقدست أجواؤها حتى أصبحت لائقة لأن تكون مكاناً لتربية الفتيات ﴿.. وربائبكم اللاتي

---

١ ـ سورة الحجرات، الآية ٤.

في حجوركم..﴾[1]. لقد أمر رسول الله ﷺ على أية حال أن تهيأ وتزدان حجرة من ذلك المكان المقدس الذي نال شرف ملكية شخصية قدسية كرسول الله، ذلك البيت الذي نشأت فيه عزيزة قلبه فاطمة، إستعداداً لزفاف العريسين، إنه يعني ما نسميها غرفة العروس.

وهنا أقول أن كلمة البيت تخالف «الدار» في معناها. فالدار من الدوران والبيت من البيتوتة والسكينة. هناك الحركة والدورة وهنا الوقار والهدوء. الدار عامة والبيت خاص. إذن الحجرة مطمح الرجل، يرغب في امتلاكها لينشئ الأبناء فيها ﴿وربائبكم اللاتي في حجوركم﴾، والبيت مطمح المرأة تتمناه لتتحصن فيه من مضايقات الرجال ورواح ومجيء الغرباء وهذا مدعاة ثناء ربنا الكريم على آسية، إنها لم تطلب من ربها أكثر من بيت في الجنة تدنو فيه من ربها ﴿رب ابنِ لي عندك بيتاً في الجنة﴾[2]. أجل لقد أرهقتها أجواء قصر فرعون وهمهمات أصوات ودبدبات أقدام الأجانب والغرباء، كانت تحلم بالعيش في مكان لا يضم أحداً سواها وزوجها، يندمجان فيه فيصبحان فرداً مفرداً تتحد فيه أفكارهما ويتوحدان في إطار كلمة «الأبوين»، يهتم كل منهما بالآخر ويعرفه حق المعرفة ويحيا حياته من أجله، وبما أن الدهر حرمها من تحقق أمانيها تضرعت إلى الله عند احتضارها تطلب إليه تحقيق أملها عندما تلتحق به.

---

١ ـ سورة النساء، الآية ٢٣.

٢ ـ سورة التحريم، الآية ١١.

وجاءت تسمية بيت المال بسبب كونه مكاناً خاصاً لا عاماً، وكذلك بيت الله الحرام فهو غرفة خصها الباري له، وبيوت الشيطان أقيمت في ثلاثة أمكنة ينبغي رجمها، وأولاها (بيت الشيطان الأكبر) يرجم مرتين كما هو مألوف وكذلك مرتبة قبل الطواف، إنه بيت يجب رجمه بأحجار أتي بها من الصحراء خلافاً للحجر المنصوب في بيت الله يقبل عليه الحجاج فيقبلونه بلهفة و...

وكل محل يستشعر فيه الكائن الحي الاستقرار والسكينة يسمى بيتاً، مثل بيت العنكبوت (سورة العنكبوت، الآية ٤١)، بيت النحل (سورة النحل، الآية ٦٨). والأكثر إثارة للانتباه هي الكلمات التي ترافق كلمة بيت في القرآن الكريم: ﴿بيوتكم قبلة﴾[١]، و﴿.. إنَّ بيوتنا عورة﴾[٢]، وكل ذلك يؤيد ما ذهبت إليه من آراء. البيت هو ذاك المكان الذي يصنع سكنته قافية تنظم شعورهم فيما بينهم، والشعور من «الشِّعر» الذي تنتظم الكلمات فيه حسب القافية الشعرية أو من «الشَّعْر» وهو يدل على منتهى الرقة والدقة والشعور كذلك يقضي بتتبع أوضاع البيت وأحواله بمنتهى الدقة والرقة وهذا ما دعاني للقول بأن البيت مكان خاص، إنه مكان مؤهل للبيتوتة يقضي فيه المرء ليلته بهناء وينال فيه وطره من الراحة ليلاً والليل خلاف النهار.

على أية حال أمر الرسول ﷺ بإعداد وتهيئة حجرة لابنته الكريمة

---

١ ـ سورة يونس، الآية ٨٧.

٢ ـ سورة الاحزاب، الآية ١٣.

وابن عمه المعزز يزفان إليه في أعظم زفاف صادق بورك فيه إلى يوم القيامة. وتطرقنا في المجلد السابق إلى إقامته ﷺ الوليمة بهذه المناسبة وإطعامه الضيوف، وهنا أتمم حديثي بأن الرسول ﷺ استدعىٰ إبنته فاطمة عليها السلام وابتهل إلى الله أن يحفظها من العثرات في الدنيا والآخرة، فلنرَ ما هو مكنون معنى كلمة «العثر» التي ذكرت في هذا الدعاء.

قال الإمام علي عليه السلام: «من جرىٰ في عنان أَمَلِهِ عُثِر بأَجَله». وقال في رواية أخرى: «أقيلوا ذوي المروءات عثراتهم فما يعثر منهم عاثر إلّا ويده بيد الله يرفعه».

العثر أي اضطراب المشي والسقوط على الأرض، وجاءت كلمة العثر في القرآن الكريم بمعنى الفعل أو الطلب اللاإرادي ﴿فإن عثر على إنهما استحقا إثماً فآخران يقومان مقامهما﴾[1]. وكذلك ﴿أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق﴾[2]. وقد ذكرت هذه الكلمة ثمان مرات على لسان الإمام زين العابدين السجاد عليه السلام في الصحيفة السجادية وجميعها في مقام التضرع وطلب المغفرة من الله. وعليه أقول: بما أن الفعل «عثر» قد ذكر إلى جانب «زل» وتستخدم كلمة «زلة» في الحالات الأخرىٰ بمعنى الإنزلاق نحو السوء بعد الثبوت في الوضع الحسن: ﴿فتزل قدم بعد ثبوتها﴾[3]. ﴿فان زللتم من بعد ما جاءتكم

---

١ ـ سورة المائدة، الآية ١٠٧.

٢ ـ سورة الكهف، الآية ٢١.

٣ ـ سورة النحل، الآية ٩٤.

البينات..﴾[1] و... وبما أن نبي الرحمة ﷺ واثق من أن فاطمة بصفتها أحد أعضاء أهل بيت النبوة وأنها لن تبتعد عن أنفاس هذه النبوة. إذن تكون الغاية المرجوة من دعائه هذا أنه يهدف إلى إنشاء الرؤية الدينية للإسلام وتوعية أتباعه بطلبه إلى الله أن لا تتهيأ ظروف العثرة لابنته الراسخة الإيمان.

وقد تستخدم كلمة «العثر» أحياناً في الأطر والقضايا والأمور المستجدة كالحياة المشتركة بين العريسين.

ثم يقدم ﷺ تهانيه للعروس ويبتهل إلى الله أن يشملها برعايته وأن يبارك لها في أعمالها ويفيض عليها ببركته بكل ما يوفر لها الراحة ويدر عليها النعمة فيوصي كلاً من علي وفاطمة بالآخر ويصرح بأن كليهما زوج كفوء للآخر. نلاحظ أن الرسول ﷺ تلا ذكر كلمة «نعمة» بقوله «بارك» أي أنه يدعو لهما بزيادة الفضل توفيراً لراحتهما وينعم كل منهما بوجود الآخر إلى جانبه.

لقد حان الأوان ليتجه العريسان خلال مراسيم خاصة إلى بيت الزوجية، إلى غرفة العروس وتطبيق الآداب الخاصة بذلك. إلّا أننا يجب أن لا ننسى تأكيد الرسول ﷺ على قضية رعاية حقوق المرأة التي كانت تتمثل في شخصية ابنته فاطمة فكان يطلب ما يطالب به من حقوق للمرأة في ظل طلبه ذلك لفاطمة فهي بحق أسوة النساء أجمعين وسيدتهم وسأشرح ذلك فيما بعد.

---

١ ـ سورة البقرة، الآية ٢٠٩.

آداب الزفاف

يقال في تعريف المسلم: بأنه من أقر أصول الدين إيماناً منه بـها لا تقليداً وأنه يلقي بزمام تقصي الحقائق في فروع الدين إلى ما يستنبط من الأوامر والدساتير التي وضعها الرسول الكريم ﷺ فيأخذ بها دون نقاش أو ريب (إلّا اذا تيقن في بعض الحالات من كون الحديث مجعولاً نسب إلى الرسول ﷺ)، إذ ان الرسول ﷺ والائمة الأطهار عليهم السلام من بعده لم يتركوا جانباً من جوانب الحياة إلّا وقد سنّوا له من القوانين ما ينير درب المسلمين فرداً فرداً، أخذوها عن القرآن الكريم أو استلهموها من علمهم الذي وهبه الله لهم. خلافاً لغير المسلم، إذ أنه في حيرة من أمره فيما يفعل ليلة زفافه فإما يأخذ ما يراه صواباً بنظر الاعـتبار أو يـقلد سـنة آبـائه وأجداده في ذلك وينحو كل امرئ مـنحاه الذي يـحدده طـابع تـعامله وعلاقته بالعروس فليس هنالك من أحكام وافية تهديه في هذا المضمار. فانظر إلى شـرح أي مـن الجـزئيات ذهب اليـها الإسـلام حـتى قـال النبي ﷺ لصهره وعزيزه الإمام علي المرتضى عليه السلام يوصيه:

«يا علي إذا أدخلت العروس بيتك فاخلع خفها حين تـجلس واغسـل رجليها وصب الماء من باب دارك إلى أقصى دارك فإنك إذا فعلت ذلك أخرج الله من دارك سبعين ألف لون من الفقر وأدخل فيها سبعين ألف لون من الغنىٰ وسبعين لوناً من البركة وأنزل عليك سبعين رحمة ترفرف على رأس عروسك حتى تنال بركتها كل زاوية في بيتك وتأمن العروس مـن

الجنون والجذام والبرص أن يصيبها ما دامت في تلك الدار. وامنع العروس في أسبوعها من الألبان والخل والكزبرة والتفاح الحامض»[1].

إن أدنى آثار هذه المبادرة تترتب على الأثر النفسي الذي ينبثق من احترام الزوج لزوجته وهي الخطوة الأولى على سبيل إسعاد العائلة وتثبيت أُسس الكيان الأسري. وأما عن غسل القدمين فهو دليل الاحتفاء بالعروس، ورش الدار بما يتبقى من الماء فإنه تفعيل لحوافزها نحو إدارة شؤون البيت وترصين مركزها القيادي في الأسرة وتعزيز نفسيتها ومعنوياتها بأسلوب جذاب يكمن فيه ضرب من الإعلام المشوب بالاحترام بغية شد أواصرها بحصنها لأنها (المرأة) منذ تلك اللحظة تشعر بنوع من الهدوء والتعلق ببيتها وأسرتها نظراً لما تلقته من الزوج من إحسان واحتفاء يمنحها بل ويعم عليها بالشعور بالارتياح العصبي وهذا ما يردعها أبداً أن تتصور أنها مصابة بالهيستيريا مثلاً وتأمن الجذام والبرص والجنون، وقد نستلهم من الحديث النبوي الشريف هذه الحقيقة العلمية وهي أن منشأ الحالات الآنفة الذكر (الجذام والبرص وصرب من الجنون) هو عصبي إذ تسببها الإنفعالات النفسية العارمة التي تسود في العوائل ذات الطابع العصبي. يجدر بالذكر أن الأسر الملتزمة بالتعاليم الاسلامية تستند دوماً إلى قانون نظام إلهي موحد لن تشهد أبداً الإنفعالات النفسية والاضطرابات المرضية.

أوصى الرسول صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام : «فاخلع خفها» بينما أُمر النبي

---

١ ـ مكارم الأخلاق، ص ٢٠٩.

موسى عليه السلام عندما أتى جبل طور «فاخلع نعليك»، وبما أن احتذاء النعلين لا يقتصر على عهد النبي موسى عليه السلام كما شرحت ذلك في المجلد (١٨) فالخف إذن هو ما تحتذيه العروس وهذا يعني أن الرسول أوصى الأزواج بخلع حذاء الزوجة في ليلة الزفاف فقط.

والمنع من تناول الحليب والكزبرة والخل والتفاح الحامض موضوع تم إستبانته في المجلدات السابقة إذ وضحنا ما للكزبرة والخل من دور في انخفاض معدل سكر الدم ودور الحليب ومشتقاته أو الخل في إصابة النساء بالبرود الجنسي. عجباً عجباً من اعتناء الرسول صلى الله عليه وآله بالقضايا الطبية، العضوية (الفسيولوجية) والنفسية (السيكولوجية) منها على حد سواء عندما يحث العريس لبذل مساعيه في سبيل الإعراب عن الاحتفاء بالعروس بهدف اشعارها بمودته ورأفته عليها من ناحية، ومن ناحية اخرى يحدد المأكولات والمشروبات التي من شأنها أن تدفع المرأة لصد الرجل عن نفسها أو بروز أدنى انزعاج في هذا المجال.

ونلخص من هذا الحديث أن النبي الكريم صلى الله عليه وآله يوصي العريس بالتزود بسلاح الحفاوة والرفق والمجاراة والاحترام إزاء العروس ويأمر العروس بالتمكين والاستسلام للرجل، ومفتاح هذه المتطلبات معدنه العوامل النفسية والغذائية التي يتحَكم بها الزوج. ولترسيخ أسس هذه القاعدة أجاب رسول الله عليه السلام على سؤال أحدهم حول المؤمن والمنافق قائلاً: «**المنافق يأكل أهله بميله والمؤمن يأكل بميل أهله**».

تمعن أيها القارئ إلى الوضع الذي آلت إليه حياة المرأة في الاسلام وقد ذاقت ما ذاقتهَ قبل بزوغ فجره، إنها نالت من الاهتمام ما جعل رسول

الله يأبى على الرجل أن يحدد نوع الطعام الذي ستتناوله الأسرة في ذلك اليوم كما يشتهيه هو عندما يخرج صباحاً من الدار، وينسب هذا السلوك إلى المنافق. وهنا يعني منع الزوجة من تناول الخل والكـزبرة والتـفاح الحامض امتناع الزوج نفسه عن تناولها وهي ما ينجم عن تناولها إصابته بالعجز والبرود أثناء الانتصاب وفي قوة الباه عنده وإثارة إنزعاج الزوجة بأسلوب غير مـباشر، وكـم هـي الدروس التـي يـتعلمها أتـباع الديـن الإسلامي الحنيف بشكل إيحائي من حديث واحد من أحاديث رسـول الله ﷺ. لقد تناولنا الأغذية وما ينبغي معرفته في سـياق التـغذية فـي المجلد العاشر بالبحث بنحو مثير للإهتمام.

وعند دخول العروس غرفتها يتحتم على العريس أن يتبعها على الفور لأن استطالة انتظار العروس يثير هواجسها في احتمال عدم ارتياح الزوج لها وأن تأخره ربما يعود لندمه على اختياره لها، ويعرضها لضغوط نفسية محرجة وتقيس العروس حب الزوج لها أو نفوره منها بمدى تأخره في الالتحاق بها.

يتوجب على العريس أن يلقي التحية والسلام على العروس، سلاماً يضمن لها السلم والسلامة وحـتى إسـلامية التـناسل. ولهـذا الاحـتفاء السمعي دور تقييمي خارق لدى العروس بالضبط كما تتمتع قراءة الأذان والإقامة في أذني الوليد بأهمية كبيرة.

إن العروس تبحث عمن يشغل مكانة أبيها في حياتها الجديدة فيطرق سمعها صوت لم تألف سماعه في بيتها السابق، فقد اعتادت أن تبادر هي لإلقاء التحية على أبيها.

هنا نرىٰ أنه ليس من الإنصاف والتقدير أن نهمل ونحن نتحدث عن موضوع السلام ذكر هذه القضية وهي أن رسول الله ﷺ هو أول من بادر إلى إلقاء التحية على ابنته وأنه كان يقبل يديها إعلاناً عن حبه لها. أجل لقد أثبت رسول الله ﷺ احترامه لابنته عملياً بهذا النمط بعدما أشار علمياً إلى ذلك بتسميتها (أم أبيها) ومن الطبيعي أن يقبّل المرء يدي امه، فيتحد الجانبان في نظرة الاسلام التقديرية للمرأة.

على أية حال يبدأ العريس حياته الزوجية بكلمة تستخدمها الملائكة لاستقبال أهل الجنة عند قدومهم إليها ﴿.. سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين﴾[1]، وهي كلمة تثبت السكينة والهدوء في القلوب وفيها جانب تلقيني يوحي باحترام العروس والاحتفاء بها.

وبعد دنو العريس من العروس وتلو الارتباط الاحتفائي السمعي ينبغي أن يركن العريسان إلى الاحتفاء البصري وأن يلخص كل منهما الحياة والإنسال والمستقبل برمته بما يقرأه في عيني الآخر، عليهما أن يتحادثا بنواظرهما ويفصحا لبعضهما بما يعجز اللسان عن التعبير عنه وما تقصر الكلمات عن أدائه من معانٍ، وأن يعتادا على تفويض مسؤولية التعبير عما يعجزان عن النطق به إلى العيون. وفي خضم هذه الارتباطات السمعية والبصرية يجب أن يبادر الزوجان إلى إعداد الأرضية لتساميهما عليها بأن يسبغا الوضوء (بل يردا الغرفة متوضئين) كي يوجها وجهيهما صوب القبلة مقيمَيْن الصلاة.

---

١ ـ سورة الزمر، الآية ٧٣.

الصلاة في غرفة العروس

إنها ركعتان تقام في ذروة تفاعل المودة وهياج العواطف الغرامية وإن كانت الصلاة معراج المؤمن دوماً فـإن هـذه الصـلاة مـعراج سـعادتهما المستقبلية والضمان الكفيل بتوفرها، فما الغـاية مـن الصـلاة فـي هـذه الظروف؟

يسلب الانسان اختياره وإرادته في مواضع ثلاثة يكون فـيها مكـبل الإرادة وكأنه كائن ملقن الحركة حسب نظام الخلق، وهذه المواضع هي: يوم ميلاده ويوم وفاته ويوم بعثه ثانية حياً. وبما أنـه يكـتسب فـاعلية مباشرة من ربه في هذه المواضع إذن فـهو أحـوج إلى إمـداده بـالسلم والسلامة والعون من قبل الباري تعالى.

ويوضح لنا القرآن الكريم أن الله عز وجل قد وهب السلم والسلامة كلاً من النبيين يحيى وعيسى في هذه الحالات التي تتبدل فيها الآفـاق ويجب أن تثبت فيها الأنفس دون تغيير ﴿والسلام عليّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أُبعث حياً﴾[1] و ﴿سلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويـوم يبعث حياً﴾[2]. وتطرأ على حياة الإنسان ظروف لا يكون فيها مـجبلاً مسلوب الإرادة من قبل نظام الخلق ولكنه يغالي في انشغاله بـقضية أو بموضوع يبدو وكأنه ضاع فيها من شدة انهماكه بها وعندها يكون بحاجة

---

١ ـ سورة مريم، الآية ٣٣.

٢ ـ سورة مريم، الآية ١٥.

لمن يمده بيد العون فينتشله من هذا المأزق الذي أغرق نفسه في ملماته وينقذه من معتقل الماديات الذي رمىٰ بنفسه ثانية وراء قضبانه.

إن البكاء على سيد الشهداء عليه السلام أمر حسن يثاب المرء عليه ويتضاعف هذا الأجر والثواب في يوم عاشوراء حيث الذكرى السنوية لاستشهاد هذا الإمام الهمام، ولكننا نرى إلى جانب ذلك استحباب قراءة سورة التوحيد ألف مرة في هذا اليوم، فما الحكمة يا ترىٰ من هذا الاستحباب؟ ان روائع أفعال هذا المجاهد الإسلامي العظيم قد تشد المرء إليها بنحو يفقد فيه ولو للحظة واحدة ارتباطه مع الحقيقة المطلقة فيذوب الشخص في عظمة تضحيات وبسالة الإمام الحسين عليه السلام بينما لم يقدم إمامنا الشهيد على هذا الأمر إلّا حفاظاً على ارتباط العباد بالله وترسيخ هذا الارتباط.

إن تعاظم الاهتمام والالتفات إلى حادثة كربلاء في ذكراها (رغم استحقاقها المثوبة) يجب أن لا يصل مرحلة الانقطاع عن ذكر الله ولو لدقائق، فتدبر الإسلام حال أتباعه في مثل هذه الظروف ليجعل من استحباب قراءة سورة التوحيد وسيلة لتحطيم العوائق وإعادة ارتباط الانسان بالحقيقة المطلقة، واختار سورة التوحيد بالذات لتفطينه بأقدمية التوحيد على أي أمر آخر.

ويغرق العريسان في لحظة الوصال في نار الحب وولع التطلع إلى المستقبل وتتناسى الفتاة نفسها وهي تلخص كل شيء في وجود الفتىٰ والفتىٰ كذلك عند وقوفه على أعتاب تحقق أمله في الارتباط بنحو خاص بالفتاة فيطوق كل منهما الآخر بطوق لا يحطمه إلّا الصلاة وهي

مدعاة العودة إلى أصل الوجود الأزلي اللامتناهي، والاتكال عليه في طليعة الحياة الزوجية فإنه مأمن نجاحهما وسداد خطاهما وحافظ سلامتهما فيها.

العروس تجلس في غرفتها مستغرقة بملء وجودها بالتفكير في كافة آمالها وذروة أمانيها، تبحث عن أخلاقيات أبيها في شخصية زوجها وتستعد لتقبل قيمومته عليها في شتى مجالات حياتها ولا يوحشها إلّا هواجس تتبلور لديها عن عسر هذه القيمومة جراء رهبتها من وداعها حياة العذارى لحظة جماعها الأول مع زوجها وهي ما ستمر به بعد لحظات أو أيام. إنها قلقة من: ماذا سيحل بي؟ ماذا سيحدث؟ وهل سيصيبني مكروه؟ وفجأة ترى العريس قد يمم وجهه نحو القبلة يصلي لربه مستهلاً عبادته ودعاءه بعبارة «الرحمن الرحيم» وهل يحتمل تطبع مثل هذا العبد من عباد الله بالوحشية والترهيب؟.

تستلهم الفتاة انطباعاتها عن الرجال بسابق عهدها بهم وبحسب نمط قيمومة أبيها عليها وهو إما يكون عصبي المزاج سيئ الخلق أو رؤوفاً ورحيماً أو ما بين ذلك. والفتى كذلك قد نشأ في رعاية أُم إما أن تكون دائمة الثورة والإنفعال سيئة الأخلاق أو رؤوفة رحيمة أو ما بين ذلك.

وعندما تستبدل الفتاة قيّمها وتراه يشرع حياته بالإيمان، بالارتباط بالله وبإطاعته، تستبعد منه السلوك غير الالهي، البربرة والاساءة، والتخبط في الحياة وإنجاب أطفال شريرين. إن هذه الصلاة تبشر بحياة هانئة وربما يكون أبوها دائم الثورة والإنفعالية ولكن الله وهبها زوجاً يبتدئ أفعاله بذكر «الرحمن الرحيم» وقد ألفت وآنست هذه الكلمات مسامعه،

وإذا كان أبوها رؤوفاً رحيماً فقد حالفها الحظ مرة أخرى وها هو زوجها يواصل الدرب. إن هذه الصلاة تمثل حلقة وصل بين حياة العزوبية والحياة الزوجية للموحدين.

تنشأ الفتاة في عهد الصبا وهي أقرب ما تكون لأبيها ثم تترعرع وتنحسر العلاقات بينهما فلم يعد يحتضنها، وتتبلور بينهما هوة تزداد سعة يوماً بعد يوم. وتعيد الكرة في حياتها الزوجية فتدنو من زوجها وتدعه يحتضنها لتبتعد عنه بعد مرور فترة من الزمن شيئاً فشيئاً تحت طائل قلقها من أخلاقيات زوجها المستقبلي وقيّمها الجديد في ليلة العرس وتوجسها منه خيفة لا يكبح جماحها إلّا بهذه الصلاة.

وتندلع مشاعر السكينة وبواعث الأمل في قلب الفتى عندما ينظر إلى زوجته وهي تقف مؤدية الصلاة في مثل هذه الظروف وسيأمل خيراً في حياة يسلم زمامها إلى ربة بيته الجديدة.

الصلاة تعني تمثل الرجل بالملائكة في نواظر المرأة وتدل على انسجام المرأة وتطبعها الخاص لدى الرجل. أجل ينساق العريسان في سياق ارتباطهما بالله وتقربهما من باريهما لانسجامهما مع بعض وشعور كل منهما بالرأفة إزاء الآخر وبالأمل في الحياة.

إنها ركعتان لا غير، تفضل على الغراميات الجنسية وتدل على أقدمية عبادة الله لدى الفرد على العبوديات الإنسانية، إنها مظهر من مظاهر تضرع جليل وابتهال كائن ضعيف إلى القادر الأزلي في مسيرته نحو نيل الكمال في مدرسة الفضائل، والانطلاق من غرفة العروس نحو أقاصي الأزل تعبيراً عن الحب والطاعة لله طلباً لترصيع مقاليد حياتهما المشتركة

الجديدة بوافر النعمة ورغيد العيش من خالق السموات والأرضين. لقد عرج العريسان إلى آفاق الخلود وتساميا حتى بلغا ذروة السموات فأخذا يتطلعان إلى العظمة اللامتناهية وإن كانت قدماهما مستقرتين على هذه البقعة الحجرية المتحركة المسماة «الأرض». إنهما جسمان منفصلان يتلظيان من ظمأ السكينة ما داما غير مقترنين ويندمجان في روح واحدة عند التحاقهما بالأفلاك.

إنها لعظيمة صلاة ليلة العرس، إنها تزيح حجباً مادية عسيرة تبلغ في عسرها عسر فراق محبين، والماديات كما هو معروف عنها تحكمها قاعدة الأخذ والعطاء، إنها تأخذ ما تمنح، أبواك أنجباك وعليك أن تنجب بدورك، منحك أبوك فعليك ان تعتلي منصة الأبوة فتمنح ما مُنحت، وهبت الروح لتنقلها عبر الإنسال، فعالم المادة يطلب ما يعطي ويستحصل المنفعة مما يعطي ويكسب من المزايا بقدر ما يبذل منها خلافاً لما وراء الطبيعة (العالم الميتافزيقي) فإنه لا يأخذ ما يعطي، لا يستعيده، بل يهب ما يهب كمالاً منه، إنه يتبرع ويمضي في سبيله إذ لا يعتني إلّا بما يؤول إليه أمر المستقبل استناداً إلى «كل شيء هالك إلاّ وجهه» الذي يرفع الحاجز بين المحب ومحبوبه، حاجز الهجر، دونما أخذ فيحل الوصال محله وهو امتياز يمنح للعريسين للسير قدماً نحو الكمال والتكامل وليتزين عرسهما بما هو أسمىٰ من الماديات والمزايا التي تعمه، بالسمو والتكامل جراء اقتران الفاعل والمفعول في خضم عالم مادي منبثق من حمأ مسنون، ومعنوي نابع من ﴿فنفخت فيه من روحي﴾ وأصبح المفردان مفرداً متألفاً من المزايا المادية والتكامل والحب والروح الالهية.

كان مظهر كل منهما قبل هذا يتجسد في الجانب المتفوق من خلقتهما المادية والمعنوية، وعندما يمتزج المفردان في مفرد واحد يلتقي جانباهما المادي وكذلك الجانبان المعنويان في خلقهما ليثمرا اتحادين يتمثل أحدهما بالعرس والجماع والآخر في الصلاة. إن صلاة ليلة العرس تعني بالضبط ضخ ذروة الحب وعنفوان الشهوة في قوة معينة تتسامىٰ حتى بلوغ العرش وتحول الشهوة الجنسية العارمة الى رؤية كونية واسعة ترتكز على العفة والطهر وتنتهي بتنفيذ الوعد الإلهي **«الجنة تحت أقدام الأمهات»**، وقد بدأ عهد التآلف مع الجنة في لحظة إقامة الصلاة في ليلة العرس.

إن هذه الصلاة أذان ببداية حياة جديدة، وسيلة اختارها الإنسان لتميز اقترانه ومن ثم نكاحه عن سائر الحيوانات الثديية (اللبائن)، لا بل هي ينبوع الإخلاص والطهر والسعادة ينبع من ليلة العرس ليستمر سيلانه مدى الحياة.

لقد عقد الفتى في أحلامه والفتاة في أفكارها، آلاف الأمنيات والآمال على لحظات اقترانهما ببعض. إنهما ينتظران بفارغ الصبر زفافهما وها هما قد بلغا ما يرنوان إليه بشغف، لقد حان أوان تحقق آمالهما وتلاقحها في هذه الساعات ولو تناسيا ربهما فالصلاة تردعهما عن ذلك وتقيهما الانهيار عند بروز أي طارئ مفاجئ كأن يصطدم الشاب بخواء أمله في الاقتران بفتاة باكر (مع أن الاسلام قد احتفظ بحق الشاب في مطالبته ببكارة الفتاة).

ان الصلاة تأبى على العاشقين المقترنين اللذين تناكحا ليعيشا حتى

نهاية حياتهما معاً، أن يلخصا مؤشرات السعادة وضمانها في مجريات ليلة العرس ومراسيم الزفاف، بل أن يستسيغا حلاوة صنعاها بأنفسهما ويفضلانها على حلاوة مصطنعة. فالاستسلام للباري تعالى يعني على وجه الدقة مد يد العوز إليه ليشملهما برعايته وبقدرته على إسعادهما. فعبارة «إياك نستعين» تدل على حصر الاستغاثة وطلب السعادة برمتها من لدنه.

ألا ترى ان المسلم يتابع نزاعات المسلمين مع أعدائهم في أقاصي بقاع الأرض متأملاً متربصاً بالأحداث يلهبه الشوق لسماع نبأ انتصار أبناء عقيدته، إنه يصك أسنانه ويشد قبضته أسى وتلهث أنفاسه غيظاً وهو يتتبع في الشرق ما يحل بالمسلمين من رزايا في الغرب. وهذا ما يفترض الإفصاح عنه في نطاق مادي أقل سعة وفي معان وأطر أوسع ليلة الزفاف.

فصلاة الزوج في نظرة الزوجة وصلاة الزوجة حسب رؤى الزوج إنما تشير إلى ارتياح المصلي لما آلَ إليه اختياره وإلى توحد أفكارهما ودينهما وبالتالي إضفاء الهيبة والوقار أكثر فأكثر على هذا العقد المقترن وعلى هذه الأواصر الودية المبرمة بين العريس والعروس المتجسدة في اتحادهما معنوياً إثر إقامة الصلاة التي تبلور لديهما الشعور بانسجام أفكارهما وعقليهما لأن تباين العقليات يتأتى من اختلاف العقائد والأديان وهو ما لا يحمد عقباه أبداً.

إن أداء الصلاة في هذا المكان الضيق يحطم طوق شتى الأجواء المختلفة. فالآمال المنعقدة تضيق ذرعاً بهذا المأزق النفساني. والصلاة

هنا مدعاة لِطرد الشيطان ـ متأوهاً يجر أذيال الخيبة من تحقق جميع مطامعه وراءه ـ ونبذه وهو يتذوق مرارة اليأس من الهيمنة على حياة هذه الاسرة الحديثة التأسيس، وهي فائدة عظمى نتوخاها من إقامة الصلاة في أولى ساعات الحياة المشتركة.

لقد اندفع الانسان البدائي جراء شعوره بالخوف وهو المساق فطرياً نحو العبادة ليختار ملجأ وليبحث عن مأوى يغدق عليه بالرأفة حتى واتته الفرصة والظروف المناسبة لتبلور مواهبه ومكنونات قلبه فاتجه نحو العبادة الصحيحة التي تمنحه الأمان. فالمعبود تحدد بمن تتركز فيه الآمال في لحظات الخيفة والراحة على حد سواء. والعريسان وهما يقفان على أعتاب تبني المسؤوليات العائلية في لحظات امتزاج هواجس الخيفة والشعور بالارتياح هذه لا يمكنهما استحصال السكينة والشعور بالطمأنينة إلّا بالإستغاثة بالله عز وجل.

إنها ركعتان تحفظ كلّاً من الرجل والمرأة من الانهيار أمام الشهوات الجنسية الحيوانية وتهبهما الثبات والاستقرار وتلقنهما أن الزواج لا يقتصر على ما يوفره من لذائذ جنسية بل يترتب منه وترافقه شؤون معنوية أيضاً، خاصة ما يتعلق منها بالعلوم الروحية والإنسانية.

إنها ركعتان يكتسب الرجل بهما هدوءاً واطمئناناً خاصاً وتستجلب منهما المرأة ضرباً معيناً من الراحة وهذا ما يحفظ الجيل الناجم عن مثل هذا الزواج من الإصابة بالحالات العصبية.

إنها ركعتان تدل على طاعة العباد لله، إنها إعلان موجه من قبل كل من الزوج والزوجة للآخر ينبهه إلى إخلاصه في طاعته للمعبود وتنزهه عن

عبادة الخلق ـوإن كان روحه ـ تنزهاً لا يـؤدي إلى الخـيانة بـل يـبث مشاعر الطمأنينة والثقة في النفس وفي الآخرين لما له من دور خارق في إضفاء الوقار على صاحبه عندما يقف مؤدياً الصلاة في هذه الليلة الفريدة من حياته.

لقد انخدع آدم وحواء بأحابيل الشيطان وعوقبا بالهبوط إلى الأرض ودخول عالم الماديات، وبتوبتهما أُنقذا من غضب الله رغم أنهما لم ينجحا في العودة إلى الجنة، وهكذا نسل آدم يخدع بالشيطان وينجو من عواقب فعاله بالتوبة، يغرقون في عالم الماديات ولا يبقى لهم من سبيل للتخلص من شراكها إلّا بتحطيم قضبان معتقل الماديات بسـلاح التـوبة والإنـابة والتضرع إلى الله الذي يتجسد في أرقى مظاهره في الصلاة.

العريسان يكبلان بسلاسل الماديات في مراسيم الزفاف بين مجموعة من أهل الأرض ولابد لهما من امتطاء صهوة التسامي عن طريق الصلاة التي تفك قيود الماديات ـالمتمثلة بسلاسل هياج الاقتران ـ بمفتاح «إياك نعبد وإياك نستعين» عندما يطهر كل منهما (العريسين) قلبه وروحه ولو لفترة وجيزة مما علق بها من أدران واستسلامها برمتها للـخالق الأزلي الذي تتلخص في وجوده الحياة وما فيها، فكل شيء نابع في وجوده من الله دون سواه.

لا يمكن تناسي ليلة عرس تستهل بالصلاة، بصلاة تمتد جسورها إلى الحقيقة اللامتناهية، بصلاة لها من اللذة المعنوية ما للـجماع الأول مـن لذائذ مادية، ولكن ماذا عن سائر الليالي؟! تتلخص الصلاة في غيرها من الليالي في عبارة «بسم الله الرحمن الرحيم»، وهي صلاة مجملة صغيرة

في كلمة عليا ينطق بها كل من الزوج والزوجة قبل الجماع لتطبيع الأجواء النفسية بآثارها واستحصال السكينة والهدوء والاتصال بعالم ما وراء الطبيعة عن طريقها، وهذا ما يعتبر منتهى المتطلبات التي يتوجب توفرها فيما لو انعقدت نطفة جراء هذه العملية. وحتى لو اكتفي بجانب التمتع فيها فإنها (البسملة) تمنح انطباعات ملذة للإنسان عن وحدة العقيدة، وحدة الأفكار والانسجام في الكثير من شؤون الحياة الدنيوية والاخروية.

إذن تتلخص الصلاة في هذه العبارة التي ينطق بها الزوجان تعبيراً عن وحدة العقائد ووحدة الدرب ووحدة الاسرة ووحدة الإله المعبود ألا وهو الله الواحد والركون إليه إبتعاداً عن هذا الهياج الملهب الذي ذقناه ليلة العرس أيضاً. ولهذه العبارة الصغيرة من القدرة ما تبعد الشيطان بها عن نفس الإنسان وتفصح عن الارتياح التام لكلا الزوجين من هذا الزواج والاقتران. إنها مشاعر لا تقتصر على الإنسان المسلم بل أن الإنسان البدائي كذلك كان يبحث بجد عن «الرحمن الرحيم» الذي ينجيه من مخاوفه برأفته ورحمته وهذا ما يعاود الكرة ها هنا عند ذكر اسم الرحمن الرحيم وهو الأول والآخر والظاهر والباطن الذي يدعو المخلوقات برأفته الواسعة ليأووا إليه.

إنها ركعتان تنفض غبار الماديات عن نفس الإنسان وتؤهله للتجلد إزاء ما يظهر من مؤثرات وظروف مؤلمة إذ يصبح انفعاله تأثراً بها مستحيلاً. ان كلاً من الشاب الذي اختار ركناً يصلي فيه والشابة التي وقفت تستشعر أحاسيس ﴿الرجال قوامون على النساء﴾ أثناء صلاتها

تتأكد لهما هذه القاعدة:

(صلاة ليلة الزفاف وسيلة يستلهم منها ضرب من التفاهم العام).

إنها ركعتا صلاة يؤديهما شابان يتلظيان بنار هياج أنهك قواهما، وهي وسيلة لتحطيم طوق هذه المشاعر الجنسية وتحرر الأجسام منها ولتخليص هذين العبدين من لهيبها باختراق الحجب والعروج إلى ما لا نهاية له.

لقد تواضعت الحكمة في التعاليم الإسلامية على سن قانون هذه الصلاة، وقد أثبتت الصلاة جدارتها في أداء المهام المفوضة إليها عندما حولت الإنسان من عبادة الأصنام إلى عبادة الله وأضفت السعة على أجواء مكة حتى انضمت إلى السماوات. وتنزلت آيات حول السماوات فمزقت الشرنقة التي لفها المسلمون حول أفكارهم في ذلك المكان الضيق الذي يعيشون فيه لتنطلق متطبعة بالطابع العلمي وبرؤية كونية موحدة تسبح في فسيح السماوات فيأخذ القرآن بيد المسلم ليجول في الغمام ثم يتركها ليمتطي عنان البحار حتى يعود إلى عصور عاد وثمود ويقوم بزيارة قصور مصر في عهد النبي يوسف عليه السلام ثم يعتلي قمم الجبال، وها هي الآيات القرآنية تسلم النبي العظيم عيسىٰ بن مريم عليه السلام طائراً لينفخ فيه فيعود إلى الحياة وتطل هذه الآيات من بعد ذلك على جنة تكتظ بثمار العنب وصاحبها ينكر كل هذا الإحسان فيفيق صباح غده ليجد كل تلك النعمة قد أصبحت هشيماً تذروه الرياح، وعلى حين غرة تلج الأجرام السماوية ثم تتطرق إلى نمو وتطور النباتات الأولية التي افتقدت السيقان والجذور والأوراق والثمار، كل ذلك بغية توسيع نطاق

الرؤى.

وهكذا صلاة ليلة العرس تطلق عنان البصر للعريسين ليدركا الكائنات جميعاً بنظرتهما وإن كانت أبدانهما الملتهبة محاطة بجدران أربعة لكن روحيهما تتطايران في عالم الخلق بأسره وتكتسبان من السعة ما تضاهي سعة هذا العالم الشاسع فيسجدان اعترافاً منهما بعظمة خالق هذا الكون على أرض ستكون إبان أمومة الفتاة في مستقبل قريب قطعة من الجنة. إنها البقعة ذاتها التي اختاراها ليتحدثا عندها مع ربهما الذي شاء لهما الإسلام الدنو منه دونما حجب تعيق هذا الاقتراب، نعم لا تحجبهما حدود البلدان ولا حتى القارات أو الأجرام السماوية من ذلك وهذا ما أقرته الآية ﴿سخر لكم الشمس والقمر﴾، وهل يمكن عزل هذين المحبين ـ الهائجين المستغرقين في أحلام تضاهي في وسعها سعة السماوات ـ عن سائر الكائنات بحدود وأطر؟ كلا، لن يكون ذلك أبداً.

تعتبر صلاة ليلة الزفاف تحليقاً ثورياً وطفرة معنوية تثبت تفوق قدرتها على أعتى الغرائز الشهوانية وتؤكد عدم انقياد العروس تماماً للشهوات وأن معتقل الغرائز لم يفلح في تكبيل العريس أيضاً.

لقد اختار العريسان أداء الصلاة سوية وعقدا آمالهما وطموحاتهما حول نقطة الهدف المتسامي وتوحيد دربهما وهو درب الايمان بالله قبل أن يتجها لتلبية مطالبهما الشهوانية.

وأريد أن أوضح هذه الحقيقة عن الصلاة قبل أن تثار المشاعر لدى البعض لنردع هذه الثلة عن تعريض أنفسهم إلى الصعاب.

إن الصلة بين الجسم والروح تماثل الصلة بين الدنيا والآخرة فكما أن

كل عمل دنيوي يؤثر لا محالة في كلا الجانبين وكذلك الأفعال الأُخروية تترك بصماتها على مدى الحياتين لأن الدنيا مزرعة الآخرة والآخرة مستودع الدنيا. وكما أن كل ذرة من ذرات الخلق لا تنفرد في مسيرتها عن سائر المخلوقات بل تؤثر بعضها في بعض، كذلك الدنيا والآخرة أو كل ما يتعلق بالأبدان والأرواح تتصل ببعضها ويؤثر كل منهما في الآخر. إن الصلاة التي يدعي معتوه ما بأنها تمارين رياضية وضعها محمد لأتباعه (رياضة تستهل بالوضوء وتتضمن حركات بسيطة ظاهرياً وكلمات معينة و...!) يجب الحكم بشأنها بمقتضى العدالة والإنصاف وأن لا نتناسى أثر الصلاة على الجسم أيضاً.

أجل ان الصلاة تتفاعل مع الروح بفاعلية الآخرة وتترك في الأبدان من الأثر ما للدنيا الفسيحة من الشمولية والكلية. إذن كما يتأثر الجسم بالصوم فإن الصلاة كذلك تؤثر في الأبدان أيضاً إلى جانب تأثيراتها المعنوية.

أثبتت التحقيقات كما جاء في بعض المؤلفات ومنها الكتب التي يسعى مؤلفوها لتعليم أسلوب تركيز الذهن أن التزام الصمت في جو هادئ تماماً لمدة قصيرة عدة مرات (مرتين أو ثلاث مرات أو...) يؤدي إلى انحسار العمليات الأيضية والأكسدة في خلايا الجسم إلى الحد الأدنى وهي طريقة يعالج بها ارتفاع ضغط الدم بسبب التغيرات الفيزيولوجية الناجمة عن انخفاض استهلاك الأوكسجين إلى حد يبلغ ١٠٪ ويتقلص كذلك معدل إنتاج غاز ثاني أوكسيد الكاربون نتيجة انحسار عمليات الأكسدة فتهدأ الأنفاس ويتصبب المرء عرقاً إثر ظهور

أمواج ألفا في المخ والتي يرافقها استرخاء الجسم.

إن هذه الطريقة المتبعة في مذهبي يوكو ـ زم العلاجيين وتسمى التنويم أو إغفال النفس استلهمت الكثير من تعاليمها من مناسك الأديان السماوية مثل أداء هذه النشاطات في جو مفعم إلى أبعد الحدود بالهدوء والسكينة، تركيز الرؤية في نقطة واحدة، تناسي الذات، التأكيد على اصطلاحات وكلمات سامية من قبيل: الله، المودة ومعاودة النطق ببعض الكلمات وأداء بعض الحركات...

ولا تعجب إذ تقف على حقيقة ذكرها القرآن الكريم وهي أن الصلاة من المناسك الأساسية في الأديان حيث تتضمن في جميع هذه الأديان ركوعاً وسجوداً وهذا ما يستوحى من الآية التي خوطب بها ابراهيم الخليل ونجله النبي اسماعيل عليهما السلام ﴿طهرا بيتي للطائفينَ والعاكفينَ والركع السجود﴾[1] وآية أخرىٰ تخاطب مريم عليها السلام: ﴿يا مريمُ اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين﴾[2]، وجاء على لسان جميع الأنبياء ﴿أوصاني بالصلاة﴾ كما قالها الائمة عليهم السلام.

ومما يثير الدهشة ان صلاة الجميع كانت تتضمن أقساماً ثلاثة: النية القلبية، إفصاح اللسان، والعمل بالأركان وهي أمور يعتمد عليها العلم الحديث لتوفير الهدوء النفسي ومعالجة بعض الأمراض، وقد عرضها الإسلام من قبل كعلاج حتمي للاختلالات الروحية «إن الصلاة تنهىٰ عن

---

١ ـ سورة البقرة، الآية ١٢٥.

٢ ـ سورة آل عمران، الآية ٤٣.

الفحشاء والمنكر». والأكثر عجباً هو ذكر كلمة «الله» العليا بعلو لا يسمو عليه شيء في عبارة «الله أكبر» الناطقة. إذن الصلاة تمنح الروح سعة الآخرة وتهب الجسم سعة الدنيا.

ما أجمل تسمية القرآن، وكم من السلاسة والخفة والبساطة تنطوي عليها هذه التسمية، إنه حقاً إسم على مسمىٰ، القرآن اسم كتاب أنزل للانسان ليقرأه بتمعن، كتاب قرأه جبرائيل على نبينا محمد صلى الله عليه وآله وتلاه خاتم الأنبياء والمرسلين على الناس ويطالعه الناس دوماً لنيل السعادة وتحقيق الكمال، القرآن كلام الله ومن يقرأه ينطق بكلام الله، أجل إن الله يتحدث للإنسان عند قراءته القرآن على لسانه هو. ولكن الصلاة تشمل ما هو أسمىٰ من هذا كله بين طياتها وهو وجوب قراءة سورة الفاتحة فيها ويطلق عليها اسم «المثاني» أو «سبع المثاني» أيضاً. أما كلمة سبع فلأنها تضم سبع آيات وأما «المثاني» فلأنها كلام الله يأتي بأمر من الله على عباده، كلام ينطوي على كل ما تعتبر معرفته واجباً وعرفانه ضرورياً، إنها سورة تجمل فيها كافة الخيرات وتتلخص فيها الهداية الإلهية، هداية العبد إلى الصراط المستقيم في مساره نحو الله، والمثاني حسب ما ذكرنا إنما تعني أن الله يتحدث إلى عبده المصلي أو قارئ القرآن بحديث يصدر عن ذاته القدسية في ذات الوقت الذي يعتبر إذعان العبد وسؤاله ربه بعبارات ناطقة من لدنه (حديث العبد مع ربه).

ما هو السر الذي يحفز المسلم ليلة زفافه ـ سواء بالأمس عندما كان ينقل عروسه إلى حيث يبيت ليلة زفافه على ظهر ناقة أو اليوم وهو يترجل أرقىٰ وسائل النقل ـ ليقف مؤدياً صلاة تكون معراجه إلى أقاصي

الكون؟ لأن وسائل الدنو إلى الله هي في شتى المواقف والأوضاع واحدة لا تبلى وستظل هكذا دون أن يعتريها تغيير.

فالمسلمون الأوائل وكذلك المسلمون العصريون يعلمون أن القوانين الدينية والتعاليم الإلهية هي الخالدة في حياة الإنسان حسب قاعدة فطرية بعيدة عن التأثيرات التي تتحكم بعلاقات الإنسان مع الطبيعة والتي يتغير نمطها فيما لو استغني عن وسائل الحصاد الأولية فيه بالآلات الحديثة. فعلاقة الإنسان بربه ثابتة راسخة تتضح معالمها في عبارة بسيطة وهي لو اعترى التغيير والتذبذب علاقات الآباء بالأبناء إثر تطور التقنية فعندئذ يحتمل تغير علاقات الإنسان بالله. فكما أن توقعات الآباء من أبنائهم والأبناء من آبائهم ثابتة عبر عنها الرسول الكريم ﷺ في حديث نبوي قائلاً «وقروا كباركم وارحموا صغاركم» فإن صلة الله بعباده كذلك ثابتة وستظل هكذا أبد الدهر.

ان وجوب توجه العباد إلى الله بطلب الإرشاد والهداية والسعادة قاعدة ثابتة لا تتغير، وقد شرحت مفاد هذا الكلام في المجلدات السابقة ونوهت عند حديثي عن السمات التي تميز الإنسان عن الحيوان أن جميع الكائنات يؤدون دور المتفرج في ساحة الوجود بينما يتحتم على الإنسان أن يؤدي دوري المتفرج والممثل على حد سواء، يستلهم أفكاره تلقائياً وبأسلوب منتظم من مشاهداته للكون بأسره ثم يخول لتطبيق مدركاته بشكل تلقائي منظم. وفي ليلة زفافه يملك عنان نفسه ليؤدي دور الممثل وينبغي له أن يسلم عنان هذه النفس الهائجة لله عبر الصلاة لينظم شؤونه ويضمن نجاحه في تنسيق حياته تلقائياً.

ويفترض على الإنسان إذا همَّ بتناول طعام أو تلبية شهوته الجنسية بالجماع وهو ما يملك زمامه أكثر من أي أمر آخر، أن يبادر للقيام بهذه الأمور كما أراد له الله لتعتبر عبادة منه.

والإنسان عندما يكب على الصلاة في أجواء هياج مشاعره الودية، خيالاته وتصوراته وما إليها إنما يرنو لإضفاء طابع العبودية على هذا الأمر وهو يتذكر الحديث النبوي الشريف «**أفضل الأعمال أحمزها**». فالعروس تلتهب بنار الدنو من العريس والزوج يكتوي بلهيب انتظار لحظة الدنو من زوجته، فما أعظم مساعيهما لتبديل هذه القوة العارمة إلى قدرة تدنيهما من ربهما وهذا ما يميز فضيلة هذه الصلاة عن بقية الصلوات المستحبة.

إن وجوب أداء الصلاة في طليعة وقتها وفي بداية الحياة الزوجية ترسخ لدى الفرد طابع تنظيم الوقت وعدم إهداره.

إن قيمة مثل هذه الصلاة التي تؤدىٰ ليلة الزفاف ـ والتي يسارع فيها العريسان كما تدل كلمة الزفاف إلى الإقتران ـ بينة للجميع فغايتها الله والدنو منه وثمرتها إنجاب جيل لائق بالانسان المسلم.

ان صلاة العرس تلقن الزوجَيْن بأن حياتهما الدنيوية القادمة هي مقدمة للحياة الأُخروية التالية وكل شيء فيها منوط برضا الله، ويتبين للعروس من خلالها أن زوجها حرّ من العبوديات الزائفة. ويفهم العريس أن زوجته تكافئه من هذه الناحية إذ أن الصلاة مفتاح لدخول حصن «لا إله إلّا الله» الحصين ونبذ العبوديات المزيفة والاستسلام لعبادة المعبود الواقعي.

إن وقوف الزوجَيْن يؤديان الصلاة مبتدئين تضرعهما إلى الله بعبارة «الله أكبر» لأكبر دليل على عظمة الإسلام والدين الإسلامي الإلهي مقارنة مع سائر المذاهب الفكرية الأخرى لأنه مؤشر على تمسك المسلمين بعقيدة التوكل على الله وتسليم شؤون مستقبلهم إليه ليكون سبحانه وتعالى عالم الغيب إلى جانبهم دوماً. وأخيراً أقول أن الصلاة تقضي على النوايا الخائنة والأعمال المشينة التي تعرقل زواج الفتيات ممن يعانين الفاقة وتحول كذلك دون تفكير المستضعفين من الفتيان بالزواج، وبوسع من يستزيد المعلومات حول الصلاة أن يراجع المجلدات السابقة، لا سيما المجلدين الثاني والحادي عشر (موضوع المسجد).

ذكرنا قبل هذا أن نظام الخلق يحتم التضحية بالعناصر الأدنى بغية إيجاد العناصر الأسمىٰ، فالهيدروجين يتحول عند التعرض لدرجات الحرارة والضغط العاليتين إلى الهليوم وهكذا دواليك، يتحول الهليوم إلى ما هو أقوى منه في ظروف خاصة. إن هذه القاعدة تتحكم بالمخلوقات علىٰ نطاق أوسع، فالأرض تحرث وتقلب أتربتها وتُزرع فتسقى و... بغية الحصول على النبات، والنبات يفقد ثماره خلال الحصاد ثم تتعرض الثمار للدق أو الطحن أو... ليتغذى عليها الحيوان وبذلك يحافظ على استمرار حياته، ثم يذبح الحيوان بهدف إطعام الإنسان والإبقاء على حياته.

والعكس غير صحيح إذ لا يقتل الإنسان أو يذبح حفاظاً على حياة الحيوان أو يضحىٰ بالحيوان لضمان بقاء النبات، ولا تشذ هذه القاعدة إلّا في عالم الماديات إذ يستفاد فيه من الأسمىٰ لإيجاد الأدنى، لأن

الماديات ـ كما قلنا ـ مجبلة لتعيد إلى عالم الخلق ما كسبته منه فقد تستبدل العناصر العليا بعناصر أقل قيمة من أجل الحصول على الطاقة منها ولكن فيما عدا الجماد فإن الاشياء تعيد إلى عالم الخلق ما منحها وتحتفظ في الوقت ذاته بحياتها، وبما أن الأرض لا تقوى على استلام كل هذه المعطيات المستعادة، يحكم النظام المهيمن على المخلوقات جمعاء بتحريرها في عالم آخر كما تذكر الآية ﴿.. وان الدار الآخرة لهي الحيوان..﴾[١]، وهذا ما دعا الاسلام لتحريم استئصال جذور أي نبات حي دون مبرر من أعماق التربة ومنع قتل أي حيوان لا يسبب وجوده ضرراً للإنسان، وهذا أيضاً ما يوضح دواعي تشديد حرمة قتل النفس الإنسانية نظراً لتمتع الإنسان بقيمة وجودية عليا.

ويعاقب القتلة في عالم آخر بعذاب أُعد لهم من النار (تتأتىٰ من الحرارة والطاقة المتحررة جراء عمليات التحول هذه) وقد يكون هذا الأمر هو مغزى الآية ﴿.. واتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين﴾[٢]، وتقديس الجمادات من قبل الكفرة إهانة تستحق عذاباً آخر لمن يأتي بمثل هذه المعصية.

لو تمعنا في آلاف من أشجار الرمان أو غيرها من الأشجار لا يلفت انتباهنا تباين كيفي ونوعي خاص بينها وهكذا مجاميع الذباب أو الفيلة أو قطعان الخراف لا تمتاز عن بعضها بنحو يذكر خلافاً لبني البشر الذين

---

١ ـ سورة العنكبوت، الآية ٦٤.

٢ ـ سورة البقرة، الآية ٢٤.

يمتاز أحدهم عن الآخر حتى يغدو أحدهم حسيناً سيد الشهداء عليه السلام والآخر يزيد زعيم الأشرار، وتقتضي الحكمة ويرى العقل هنا أيضاً أن يفتدى السامي المتعالي الشريف بالوضيع الذي بذل حياءه وشرفه جانباً. لقد شدد الإسلام على ضرورة مراعاة هذه الملاحظة حتى في أحرج الظروف، فلو شاءت الأقدار أن يبادر المرء لإنقاذ غريقين وأصبح على يقين من أن أحدهما سيفارق الحياة أثناء انشغاله بإنقاذ الآخر، عليه أن يؤثر الأسمى. والعقل كما هو عليه في سائر الأحوال الأخرى، يؤيد حكم الإسلام في تقديم الأسمىٰ على الأدنىٰ.

والناس فئات ثلاث، وفئة تستسلم لمشيئة القدر وآثار الطبيعة أو تغدو آلة في يد طغاة العصر لا تنتسب إلى هذه المجاميع الثلاث وتضم من يلخص وجوده في بهيميته. اما الأصناف الثلاثة فهي:

الصنف الأول: وهم القانعون بموقعهم وثقلهم الراهن يتناولون الطعام ويمارسون الجماع ويمتلك أرقاهم مستوى سيارة ثمينة، دون أن تكون لديهم معرفة ووعي بما يميز الإنسان عن غيره إلّا أنهم يختلفون عن اولئك المتأطرين بإطار الجانب المادي في وجودهم، لأنهم يتمتعون بنشاط ويعانون آلاماً نفسية مستقلة وخاصة بهم، أي أنهم ليسوا من ذوي النوايا الوضيعة البالغة الانحطاط التي يفترض التضحية بها بصفتها دنيئة فداء للحقائق الأسمىٰ في عالم ذاتهم.

والصنف الثاني استحصل معرفة عن السمات المميزة للإنسان ويرىٰ أن الإنسان يتصف بمميزات لا تتحدد بالأطر البشرية، أي أنهم لا يحددون معالم روح الانسان ونفسه في ردود الفعل المشروطة والغرائز

الطبيعية والسلوك المبرر والنشاطات الواضحة وحفنة من اللحم والعظام و... بل يقرون بامكانية التعرف على القضايا البشرية العامة والتمحص فيها خارج نطاق المختبر أيضاً.

والمنتمون للصنف الثالث لا يحددون أي بعد من الأبعاد الباطنية والخارجية في وجود الإنسان بما يوافق رأيهم فيتابعون خطواتهم نحو نيل الكمال في مسيرة هذه التحولات ويحافظون على استمرارية انفعالاتهم النفسية الباطنية (الإيمان) ليقدموا ثمرتها عن طريق اللسان أو أعضاء الجسم إلى العالم الخارجي الذي يحيط بهم (وعملوا الصالحات).

ويتضح لنا من هذا أن الجماد منقاد للنباتات والنباتات للحيوانات وكذلك الحيوانات للإنسان، ولكن بني الإنسان لا تتحدد حرياتهم إلّا إزاء بعضهم البعض، فمنهم من تأسره مشيئة القدر أو يتخذه الطغاة وسيلة وبهذا تفرض عليهم قيود وضيعة ودنيئة للغاية دون وعي منهم لأنهم حسب تعبير القرآن الكريم لم يفقدوا أعينهم وآذانهم بل يفتقدون نعمة البصر والسمع، وفريق آخر تضيق الظروف النطاق عليه وفئة أخرى حطمت قضبان معتقل النفوس فتعقد أواصرها مع عالم الوجود لتنال منه ما يمكنها من مزايا علمية وفنية وصناعية،... وهنالك من يحطم هذه السلاسل النفسية ويعقد أواصره مع عالم الوجود ولكنه يعلم أن المقومات البناءة في عالم الوجود سلبت مزية الإطلاق مما يؤدي إلى الحيلولة دون مواصلة مسيرتهم نحو التكامل ويدفعهم لعقد أواصرهم مع خالق الوجود المطلق اللامتناهي ضماناً لاستمرارية تكاملهم، وهل هنالك وسيلة أكثر نجاحاً من الصلاة في عقد أواصر الانسان وارتباطه

بالله، تلك الصلاة التي أوصت بها جميع الأديان أتباعها وجعلت الركوع والسجود و... من أركانها الأصيلة كما جاء في الآيات القرآنية التي سبقت الإشارة إليها فيما يخاطب به الله عز وجل ابراهيم النبي عليه السلام ومريم العذراء عليها السلام.

لا يخفىٰ على أحد أن جسمه مجبل لمواصلة مسيرة الحياة الطبيعية والاجتماعية على درب الفناء والموت وهذا ما يدعو الإنسان للحفاظ على نفسه من الأخطار التي تهدده فيتقي شر الآلام والأمراض والعجز. وكلنا يعي هذه الحقيقة تقريباً وهي أن الإنسان إلى جانب مزاياه الجسمية المحددة يسمو على الحيوان بسبب تمتعه بأمور من قبيل: المودة، المنطق، الضمير و... فهل يسعى الإنسان للحفاظ على سموه اللامتناهي؟ والإجابة تفرض علينا أن نقرّ أن الناس فريقان متسام ومتدن فمستسلم للأقدار أو الطغاة ممن يخطو بإرادته قدماً نحو الفناء ومستسلم لمشيئة الله وأوامره ونواهيه، وبينهما من التباين ما نجده بين الطغاة والله.

ويكفي المصلي اعتزازاً أنه يسمو خمس مرات في اليوم سمواً من نوع آخر، سمواً أعلم علم اليقين بصفتي إنساناً يدرك وضعه أنه خارج عن نطاق تحمل الجانب الحيواني في وجودي، سمواً لا يكبله أو يعرقله وضعه الجسماني وعلواً يؤهله للارتباط بخالق الكون بأسلوب ارتباطي فريد لا تتمكن منه أي وسيلة أخرى سوى الصلاة وبدرجة من النجاح لا يسع حتى غير المصلين إزاءها إلّا الاعتراف بمكانتها بين الناس، إنها تزيل الفواصل وتذيب ما يتكدس على الوشائج من جليد لتعلو بالفرد حتى بلوغ العرش الأعلى والاتصال بالحقيقة الأزلية اللامتناهية. فالصلاة

كما عبر عنها رسول الله ﷺ معراج المؤمن وأداؤها أسمىٰ من تركها وقد خط على جبين نظام الخلق بأحرف كبيرة أن الأدنى يفتدىٰ به في سبيل بقاء الأعلى، إنها قاعدة أكدها الوحي الإلهي المنزل أولاً على لسان الأنبياء والمذعن به أخيراً من قبل العلوم. وهل هنالك وسيلة ترفع من شأن الإنسان أفضل من الصلاة؟

إن الحيوان بطبيعة حاله لا يرغب في معرفة أسلافه وكيف عاشوا ومن سيكون اللاحقين به ومن هو زوجه الذي يقترن به خلافاً للإنسان فإنه يميل إلى معرفة ماضيه ومستقبله كحاضره ويود الارتباط بهما، ولكنه لا يكتفي بإطلاق سراح فكره في هذا السياق فقط بل يسعىٰ إلى بلوغ اللانهاية وهذا ما لا يتحقق له سوى بالاتصال بالله وأفضل طريقة إرتأتها الأديان كافة لتحقيق هذا الهدف المنشود تتمثل بإقامة الصلاة.

مؤاخذة

لاريب أن كل من اصطحبني على مدىٰ مجلداتي جميعاً إما أنهم وعوا سر اهتمامي بالصلاة في كافة الظروف التي أتطرق فيها للحديث عن هذه الفريضة الإلهية أو أنهم سأموا إسهابي في الحديث عنها ويؤاخذونني على ذلك. أجيب على الثلة الثانية بالعبارات المجملة التالية التي أجد في الإفصاح عنها الضرورة القصوى:

أكد النبي الكريم ﷺ والإمام علي بن أبي طالب وزوجته والائمة الأحد عشر من أبنائه عليهم السلام في وصاياهم ـ بعد ذكرهم ضرورة الإيمان

بأصول الدين ـ على التبليغ لما يستجلب رضا الله وعلى رأس هذه الأمور الصلاة، حتى بلغ الأمر الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) أن أوصى آخر نوابه ضمن وصاياه الأخيرة بالعناية بشأن الصلاة ومكانتها.

وأنا بدوري لو أردت أن أؤدي حق الصلاة في البحث لكان من المفترض أن أكتب عنها مجلداً كاملاً عساه يفي بالغرض ولكنني أكتفي بما ذكرت بهدف توجيه الأنظار والأذهان نحو أهمية الصلاة.

ذكرت عدة مرات أن جدار الرحم يستضيف عند الحمل منازعاً (المشيمة) يلتصق به ليمتص منه ما يكفي لنمو كائن يجاوره، لا يتناسب حجمه مع حجم الرحم كما أنه لم يخلق لغير هذه الكرة (الأرض) وهذا ما تدل عليه هيكليته الجسمية، يداه، ساقاه، عيناه، أذناه و... وعلى صعيد أرقىٰ نجد أن الإنسان قد ترسخ علىٰ هذه الأرض يأخذ منها ما يكفل ديمومته في هذه الحياة ويترعرع عليها رغم عدم تكيفها لاستيعاب منجزاته الفكرية الفياضة ومواهبه الجياشة التي لا تقف عند حد معين، إنه لم يخلق ليحيا أبداً على هذه الأرض بل ليلتحق بجنة عرضها السماوات، يحيا على هذه الأرض ليكتسب مؤهلات تضمن له تحطيم سلاسل أهوائه والتكيف للالتحاق بالحقيقة المطلقة اللامتناهية كما اكتسب من الغرائز في داخل الحيز الضيق للرحم، ما أهلته للحياة خارجها، إن عملية تأهبه وتكيفه للالتحاق بربه في جنة وعد بها لا تتم إلّا عن طريق الصلاة والدعاء.

موعد الزفاف

أتساءل هنا هل من موضوع لم يسبر القرآن أعـمق أغـواره؟ كـلا. والزفاف كذلك، فـقد جـاء فـي مـحكم آيـاته البـينات ﴿فأقـبلوا إليـه يزفّون﴾[1] أي يسرعون. حقاً ليس هنالك من زمان ومكان يعجل فيه الفتيان والفتيات كما في ليلة العرس.

إن الإسراع للانتقال إلى بيت الزوجية لا يقتصر على هذين الشخصين في ليلة الزفاف بدافع رغباتهما في تلك الليلة بل تعم الحالة المـحيطين بكلا العريسين (أقارب العروس والعريس) أيضاً.

الزفاف هو الإسراع والتعجل بدافع قوي تكويني لا يكبح، بدافع نشهد فاعليته التامة لدىٰ جميع المخلوقات: النباتات، الحيوانات والانسان كما في سائر أطوار التكامل البشري. والتفتت الشـريعة السـماوية لأهـمية سرعة الانسان في هذا المجال لأنها تعتبر التناكح كالتمتع بنعمة العـين والأذن والقلب و... ولا ضير لو حرم الإنسان من لذة التناسل إذ لا يعد ذلك نقصاً له فقد اتخذ كل من الانبياء وخلفائهم لنـفسه زوجـة ولكـن

---

١ ـ سورة الصافات، الآية ٩٤.

بعضهم لم ينعم بالإنجاب، والنبيان إبراهيم وزكريا عليهما السلام خير مثال على ما نقول حيث كانا لفترة طويلة محرومين من نعمة الأبناء حتى شملتهما العناية الربانية ووهبا هذه النعمة.

أما عن عزوبية عيسى فكان مردها أنه أولاً لم يعِشْ سوى (٣٣) عاماً وثانياً كان نصفه الذي ورد جوف والدته مريم منزلاً من السماء، والسماوي لا ينكح ولا يودع بعد وفاته التراب لأن التراب يأخذ كل ما يهب ثانية (وهذا لا يعني أننا يجب أن نتناسى الجانب البشري في وجود النبي عيسى عليه السلام فقد أتم دورته الجنينية في بطن أمه مريم).

وتتأتى هذه السرعة التكوينية في الزفاف من انجذاب الجزيئات الموجبة والسالبة للالتحاق ببعضها حسب الانجذاب التشريعي الذي يتحكم في الإنسان والذي يتمتع بدرجة من الأهمية دفعت الحكمة الإسلامية لاعتبار النكاح واجباً على المسلم فيما لو ورد احتمال تدنسه بالإثم في حالة امتناعه عن الزواج. فليس هنالك من قوة يسعها الوقوف بوجه هذه الطاقة التكوينية المتحررة في ليلة الزفاف كما لا يشهد عالم الوجود ما من شأنه تحريم حلال الله أو له شهامة الإدعاء بذلك.

وليلة الزفاف أول عشية يقضي فيها الشاب والشابة وطرهما من التحولات النوعية والكمية إذ يسميان ـ منذ لحظة دخولهما العش الزوجي المتسنن بقوانين جديدة تتطلبها الحياة المشتركة ـ زوجاً وزوجة ويغديان من الناحية النوعية رجلاً وامرأة ليضفيا على خلقهما بذلك تحولاً كمياً ونوعياً.

هناك ـأي في ليلة الزفاف ـ تمنح الأولوية للنوعية دون الكمية، وهنا ـأي إبان التناسل ـ تولى الأقدمية للكمية، فذاك انضمام ووصال وهذا انسجام واندماج وحدوي، الزفاف إتحاد والإنجاب وحدة، الزفاف نوعية تثمر عن كمية، الزفاف نية والإنسال تطبيق، هناك تتجسد مظاهر الشهوة الجنسية في طابع الإنجذاب لتعلن هنا أن الحفاظ على النوع البشري مستهدف كذلك. هناك الانفصال عن الأبوين وهنا تقلد وسام الصيرورة إلى الأبوة والأمومة.

الزفاف تأهب لأزفة لاحقة كما سبقه زفاف هيأ الظروف لحالات من النكاح تلته، في الزفاف يستعيض الفتى الدور النسائي لأمه بوجود فتاة إلى جانبه تدعى زوجته، وتبحث الفتاة عن الدور الرجالي لأبيها في حياتها مع فتى أصبح زوجها، وفي الإنسال يبحث كل من الأب والأم عن شخصيتهما المتبلورة في نسلهما القادم الذي يحفظ ذكرهما وإنه لطموح نحو ديمومة الحياة جبلت عليه الفكرة الإنسانية إثباتاً لحقانية المعاد.

في ليلة الزفاف تسجل مجريات الأحداث في سجل الذكريات بينما يدون تاريخ الميلاد في السجلات الحكومية الرسمية. لقد اعتاد آباؤنا وأمهاتنا وأسلافنا على تسجيل تاريخ النكاح في الصفحة الأولى من القران وتاريخ ميلاد الأبناء في آخر صفحاته، أي أنهم كانوا يشرعون حياتهم المشتركة بما أنزل به الوحي الالهي ويحفظون ذكرى ميلاد الأبناء عند اختتام الوحي الالهي إيماناً منهم بضرورة التمسك بفحوى الآيات القرآنية والوحي الالهي بغية التحصن بها في هذه المسيرة الخطيرة التي يقطعها الإنسان بين النية والتطبيق والمبادرة للإنسال.

تبدأ ليلة الزفاف بالثناء على الباري تعالى وحمده وقراءة سورة الفاتحة ﴿الحمد لله رب العالمين﴾، وتستهل المبادرة للإنجاب بقراءة المعوذتين (سورتي الفلق والناس) تعبيراً عن التضرع إلى رب الكون ليحفظ ما يهب للزوجين في كنفه ويأمن نسلهما من شر يتأتى من اللسان ويعم على الآخرين جراء تفوه الإنسان بحديث ما ثم يستعيذان برب الناس، إله الناس من شر الجن والإنس وإضرارهم بالإنسان وتلقينهم إياه لعبادة رب واه وملك كاذب وإله غير واقعي ﴿بسم الله الرحمن الرحيم قل أعوذ برب الناس، ملك الناس، إله الناس من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس﴾.

نمط تسجيل تاريخ ليلة الزفاف ويوم الميلاد

لقد ارتئيت فوارق بين نمط تسجيل تاريخ ليلة الزفاف وتاريخ يوم الميلاد:

لو كان كلا الأبوين يطمح إلى أن يهبهما الله ذكراً ورزق به ذات يوم، على الأب أن يسارع إلى تسجيل اسم المولود في قرآن أعده ليكون في متناول يده سواء أكان ينتظر قدوم مولوده خلف جدران غرفة الولادة بالمستشفى أو إلى جانب الهاتف في الدار. وهكذا يتم تسجيل اسم المولود أيضاً فيما لو كانت أنثى يطلبها كلا الأبوين إذ يقبّل الأب القرآن وبعد البسملة، أي قول «بسم الله الرحمن الرحيم» يكتب إسم قرة عينه إلى جانب تاريخ ولادته في القرآن ثم يقبله ثانية إجلالاً لمكانته السامية

في قلوب المسلمين. ويحبذ اقتناء قرآن جديد عند ولادة الطفل الأول.

وفي الحالة التي يأمل فيها الأبوان ولادة الذكر ويأتي المولود أنثى أو خلافاً لهذا يتوقعان الأنثى ويولد الذكر عليهما إقامة وليمة ولو بسيطة تختص بأفراد العائلة، خاصة عند ولادة أول الأبناء. وقد تناولنا المناسبات الخمس التي استحب الإسلام إقامة الولائم فيها في مجلدنا الرابع من هذه السلسلة.

وتلوح الطريقة الخاصة التي يدون بها اسم الوليد خلف القرآن إلى الأوضاع التي ولد فيها. لقد تم قبل عدة سنين انتشار كتاب يخص نمط تواقيع الشخصيات البارزة في العالم، لا سيما الساسة منهم، وكان الكتاب يعنىٰ بتحليل التواقيع بشكل ملفت للنظر حيث نرى توقيع هتلر أفقي الطابع عند شعوره بالضيق في بداية حياته المهنية ثم تتجه خطوط توقيعه نحو الأعلى فتميل لتكون عمودية عند استشعاره بقرب إشغاله منصب هندرنيورك وتزداد الخطوط عمودية إبان إندلاع الحرب واحتلال بولندا وهولندا وبلجيكا وفرنسا، وعاد توقيعه تدريجياً إلى طابعه الأفقي السابق بعد شعوره بخيبة الأمل والإحباط في استالين غراد حتى نهاية الحرب. وبالتمعن في أكثرية التواقيع وتاريخها يمكننا استيعاب حقيقة تطابق هذه التواقيع مع الظروف التاريخية التي اجتازتها آنذاك هذه الشخصيات العالمية، وعلى نطاق أوسع نجد أن تواقيع زعماء المحتلين (وأكثرية السفاكين) تتجه نحو الانفتاح والعمودية بل أن هذه الظروف قد تركت بصماتها على تواقيع مؤيديهم وخدمتهم أيضاً.

إذن يؤول أمر الإنسان حسب القانون الأساس للطبيعة والذي يحكم بوجود الضعيف إلى جانب القوي إلى التأثر بظروف الانتصار أو الهزيمة التي يمنى بها. ومن الحكمة أن نعود هنا إلى القرآن الكريم الذي يتطبع في يوم فتح مكة الدال على ذروة اقتدار المسلمين بالطابع ذاته الذي نزلت به آياته في خضم الحصار الاقتصادي الذي عانى منه المسلمون في شعب أبي طالب وإبان انهيار أوضاع المسلمين إقتصادياً وسياسياً حيث لا نجد أي تباين بين الآيات النازلة في كلا الحالتين مهما بذلنا من مساع، ومرد ذلك هو أن الوحي كان ينزل على خاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله على مدى الثلاثة والعشرين عاماً وفي أي محل تم فيها نزول الآيات القرآنية، من لدن الذات المقدسة التي لا يعتريها تغيير ولا يؤثر فيها أي طارئ.

ولو اختلف الأبوان في النوع الجنسي المرغوب لديهما تؤجل كتابة اسم المولود وانتقاله من الذهن إلى ظهراني كتاب الله هنيهة ليتحول هذا الوليد المنبوذ إلى مرغوب فيه عند أول ابتسامة ترتسم على شفتيه فتزيل غبار الضيق عن صدر الأبوين وتغرس براعم مودته في قلبيهما.

نعود إلى حديثنا حول تسجيل تاريخ النكاح في ليلة الزفاف:

رغم تسجيل تاريخ النكاح في سجلات عقود الزواج الزاخرة بالآيات الالهية وأحاديث الرسول محمد صلى الله عليه وآله وآله الطيبين الطاهرين عليهم السلام، يرغب المسلمون في كتابة هذا التاريخ في القرآن الكريم أيضاً تيمناً به (وقد تضاءل التمسك بهذه العادة حالياً إلى حد بعيد).

قد يدهش القراء أنني أتيت على ذكر تاريخ النكاح وليلة الزفاف معاً وقد سادت العادة في العصر الحالي بفصل ليلة الزفاف عن تاريخ عـقد القران لفترة زمنية ليست قصيرة تمر بأقسى ما يمكن على الزوجين بينما يدعىٰ أنها بغرض الاستعداد والتأهب وأنها من أجمل أيام حياة الإنسان فبدلاً من التفريغ الثنائي الهادئ لعواطف الزوجين في هذه الفترة تجتاحها أمواج عاتية غير ضرورية من المشاعر المتذبذبة وهي فرصة تسنح أمام الانتهازيين لبث سمومهم في العلاقات المبرمة بين الزوجـين والتـدخل بشكل غير معقول فيما لا يعنيهم مـما يـبعث الخـلافات بـين العـريس والعروس.

ان توحيد هذين التاريخين وضم الزفاف إلى تاريخ النكاح أو اقترابه منه يحول دون بروز هذه العراقيل. وأنوه هنا إلى الطابع الإسلامي لهـذا الكتاب وأنني بصفتي مؤلف هذا الكتاب أؤكد أن المجتمع الذي تسوده الأجواء الاسلامية تضطرم فيه نيران المـودة والحب أكـثر فأكـثر بـين الزوجين في فترة العقد إلى جانب إفساحها المجال أكثر فأكثر لسـعاية الغاوين، ولهذا أباح الإسلام كلا الحالتين.

منشأ مصطلحي ليلة الزفاف ويوم الميلاد

يا ترى لِمَ نستخدم مصطلح ليلة للزفاف ويوم للميلاد؟

ما زال المسلمون ـحتى تلك الجماعة منهم التي انصرفت عن إتباع ما جاء به النبي صلى الله عليه وآله وأقر القرآن الكريم، متخذة سبيلاً آخر اختارته لنفسها

وتأبى الانصياع للتعاليم الاسلامية في شتى الظروف والأحوال ـ يحتفظون ولو ببقايا وشائجهم مع العالم الروحاني في بعض الحالات، من قبيل:

الزواج، الوفاة، عند أداء بعض المراسيم والطقوس الدينية. إذن لابد ان يكون مصطلحا ليلة الزفاف ويوم الميلاد منبثقين من روح التعاليم الإسلامية.

عندما تطرق القرآن الكريم في سورة مريم لميلاد النبيين عيسىٰ ويحيى عليهما السلام تأتي لفظة «يوم»: ﴿والسلام عليه يوم ولد...﴾ أو ﴿السلام عليَّ يوم...﴾ وقد ذكرت الكلمة ذاتها فيما يخص ميلاد الأشخاص خلال الأحاديث والروايات المنقولة عن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة الأطهار عليهم السلام، واعتادت كافة الشعوب وجميع الحكومات على استخدام لفظة «يوم» لميلاد كبار شخصياتها وإن كان هذا الحدث قد صادف وقوعه ليلاً. ونشاهد الحالة نفسها في جنسيات ووثائق الأشخاص.

وتؤيد الأديان العادة السائدة باستخدام كلمة «الليل» للزفاف والاقتران والنكاح وقد آلى زعماء الدين لزف العروس ليلاً إلى بيت الزوجية وأسندوا سيرتهم العملية هذه بأقوالهم عند استخدام كلمة الليل في الأحاديث التي تخص النكاح أيضاً، إذ لم يتناسوا عليهم السلام توضيح شؤون الحياة لأتباعهم في أي جانب من جوانبها، وقد عني القرآن الكريم والأحاديث الشريفة بهذا الأمر حيث جاء فيها «يوم الميلاد» و «ليلة الزفاف» كما تذكر كلمة يوم فيما يخص واقعة البعث وإحياء

الموتى: يوم الدين، يوم تبلى السرائر ويوم...

أذكر هنا جانباً من جوانب الاعجاز القرآني في استخدام لفظة «يوم» إذ أنها تؤدي معنى اللحظة الواحدة أو الملايين والمليياردات منها (حيث تتألف منها فترات زمنية مختلفة قد تبلغ العصر أو الدهر). ونحن أيضاً نتبع هذه الاسلوب في محادثاتنا اليومية.

زرتك يوم أمس فلم أجدك في الدار (نقصد أن الشخص ترك داره لمدة قد لا تتجاوز عدة دقائق)، أثيرت العواصف يوم أمس (نصف ساعة مثلاً)، هبطت الأمطار يوم أمس (خلال ساعتين)، تصرفت بصبيانية أيام شبابك واليوم قد تقدم بك العمر يستقبح منك هذا السلوك (تعبر عن عدة سنين)، تمتعت إيران يوماً ما بعراقة تامة (عدة قرون)، كانت الكرة الأرضية تتكون في يوم ما من المواد المذابة (ملايين السنوات)، إذن ذكر عبارة «يوم الميلاد» في القرآن الكريم ـ وإن كانت الولادة قد تمت ليلاً ـ إنما يدل على الفترة الزمنية التي ولد فيها المولود.

ربما يكون قد تطرق إلى سمع القراء أن معدل المواليد ليلاً يتجاوز عدد المواليد في النهار، وأشارت الأبحاث والدراسات الإحصائية التي تناولت هذا الموضوع إلى أن بوسع المرأة في فترة الطلق أن تتحمل آلامها ١٢ـ١٦ ساعة وأنها تؤجل عادة مراجعتها لمستشفى الولادة أو المراكز الأخرى حتى اقتراب موعد ولادة الطفل عندما تبادرها آلام الطلق نهاراً لكن الخوف يستولي عليها فيما لو انتشر الظلام إذ تراودها الهواجس بشأن عدم حضور الأطباء ليلاً في عياداتهم الشخصية أو غير

الشخصية فتسارع لمراجعة مستشفى الولادة وهذا ما يثبته زيادة معدل المراجعات الليلية المسجلة في مستشفيات الولادة من قبل هؤلاء النسوة مقارنة مع المراجعات التي تتم في النهار.

ولا ننسى الإشارة هنا إلى أثر الليل والنهار على الطفل الوليد وللراغبين في استحصال المزيد من المعلومات مراجعة موضوع «علم الأحياء الزمني» الذي تطرقت إليه مسبقاً في هذه السلسلة.

لا ريب ان قراءنا الكرام قد أدركوا أن المقصود باليوم في هذا المضمار هي الفترة الزمنية (٢٤ ساعة) التي تتضمن الليل أيضاً ولا يعني القرآن بها «النهار» أي فترة طلوع الشمس حتى غروبها.

أعمال ليلة الزفاف

اخترت هذا العنوان لما فيه من قوة استقطاب إذ سيكون هذا الموضوع أول بحث يتطرق لقراءته الشاب المتطلع للزواج بمحض توجهه لمطالعة الكتاب والتفاته للفهرس المنضد.

وموضوع القراءة يتبع كغيره من شؤون الحياة وقضاياها قانون العرض والطلب حيث يزداد إقبال المؤلفين على الكتابة حول أي موضوع كلما ازداد الطلب على قراءته من قبل القراء.

ورغم تأكيدي على القول بأن الزفاف يعني الإسراع ولكن السؤال الذي يطرح بهذا الشأن هو ما المقصود بالإسراع؟ أهو وجوب الاقتران والمضاجعة ليلة الزفاف أم يؤدي معناه تهالك العريس الاختياري والإجباري معاً نحو العروس وتأثر العروس كذلك بحالة الإسراع هذه؟

لقد أهمل العلم عدة قضايا مثيرة للاهتمام فيما يخص ثقافة نشأة ونمو الأطفال، ومنها تكلم الطفل.

إننا نجد أن الطفل وهو في بداية طور التكلم يحسن استخدام تصاريف الأفعال مثل: إذهب، إذهبوا، تعال، تعالوا، جئنا و... فيا ترى كيف

يتعلم الطفل هذا الأمر الهام تلقائياً؟ كلنا نعلم أننا نجهل حقيقة هذا الأمر.

وكذلك العلائق والرغبات العارمة التي تبرز بين العريسين جبراً وخياراً بمجرد قراءة صيغة عقد الزواج بينهما وهي رغبات ينسب الله تعالىٰ أمر ظهورها إلى ذاته، ولو تساءلنا عن نمط تبلورها بهذه السرعة بينهما فستأتينا الإجابات لتثبت أن الجميع يجهلون حقيقة هذه القضية. ان هذه المشاعر المنبثقة من القلوب هي المودة والرحمة التي سبق التحدث عنها مراراً، إنها هبة إلهية لا يمنحها غيره سبحانه وتعالى. لاحظنا جميعاً أن معدل ولادة البنين في أي بلد عانى ظروف الحرب وإبادة الذكور ترتفع بنسبة كبيرة لسنين متتالية، ولو تعرضت إناث نوع حيواني ما في منطقة شاسعة إلى الإبادة الجماعية تزداد ولادة الإناث بشكل كبير بعد ذلك ولسنين طوال، والسؤال المطروح هنا: كيف يتم ذلك؟ لا أحد غير الله يعلم.

ونعني بالرغبة التفويضية والإجبارية التي أشرنا إليها ما يجمل في توقع الزوج من الزوجة وكذلك الزوجة من الزوج أي ما فوض إليهما من أمر اللذة الجنسية المتأتية من حرية كل منهما في اختيار الآخر وحريتهما في سياق التناسل والإنجاب وهي حرية جُبلا عليها ولا بد من تبلورها حيث يولد الذكور وهم يكتنفون جبراً رغبة وشهوة إزاء الإناث وتهيج هذه الرغبة عندهم مع بداية إفراز الهرمونات الجنسية.

والجماع شأنه شأن التغذية التي يتمتع الإنسان بحريته فيها منذ إقباله على الطعام وحتى بلوغه البلعوم من الجهاز الهضمي، إنها نهاية حريته. له

أن يبلع الأكل أو يمتنع عن ذلك، وهكذا النكاح يكون في خيار الإنسان في بادئ الأمر وعليه أن يتأهب لحسن التصرف في هذا المضمار، وهنا يظهر دور الهداية والتسلح بها (جاء في آيات الذكر الحكيم ﴿يهدي إليه من أناب﴾)، وكذلك تأثير الضلال والتأهب لمواجهة وساوسه ﴿وما يضل به إلّا الفاسقين﴾ . وقد بعث جميع الأنبياء والمرسلين بغية تنظيم هذه الحريات حيث لا يكون لهم أي دور مؤثر أو حاسم في نمط العمليات القسرية من قبيل هضم، تمثل، استقلاب، وطرح الفضلات بعد بلع الطعام أو انقسام النطفة وتحولها إلى جنين بعد انعقادها لأن جميع الكائنات مفطورة عليها تلقائياً.

والعقل الذي تشير إليه الأحاديث بصفته الرسول الثاني في حياة الإنسان ليس من شأنه ولا يسعه التحكم في الأفعال القسرية حيث تدور فاعليته مثل الرسل حول محور النشاطات والأعمال المفوضة إلى الإنسان ولكنه إلى جانب تمتعه بالشعور والعقل اللذين يعينانه على تمييز الخير عن الشر فإنه بحاجة إلى الإرشاد والهداية أي أن الرسول الثاني (العقل) ينشط في سياق تفطين الإنسان لدور الرسول الأول (الرسل والانبياء الالهيين) في حياته.

إن جماع وتناكح الحيوانات أمر اتوماتيكي حيث ينعدم الفاصل الزمني بين لحظة يهمّ الحيوان فيها بقرينه ومبادرته لرفثه بينما ينهى رسولنا الأول (النبي الكريم محمد ﷺ) المسلمين عن مثل هذا الفعل.

والحيوان الذي يسع الإنسان مشاهدته أثناء جماعه هو الطير إذ تراه

يهبط من السماء ليقع على أنثاه ويواقعها في نفس اللحظة ثم ينهض فوراً ليواصل طيرانه. وقد أشار النبي محمد ﷺ إلى هذا المثال ناهياً الإنسان عن التمثل بالطيران بقوله: «.. فلا يأتهنّ كما يأتي الطير..».

ورسولنا الثاني أي العقل الفاعل في مجال الحريات يقضي في إطار خيارنا فيما فوض إلينا من شؤون اللذة الجنسية وأن هنالك أُموراً جبل عليها الإنسان في هذا النطاق. إذن من شأن العقل أن يدلنا ما إذا كانت الحكمة تستوجب أن يقع اختيارنا على التمهل في المضاجعة تأجيجاً لنار الشهوة أو التعجل وعدم التريث في المبادرة للمواقعة؟ هنا نستشعر الحاجة إلى معلومات علمية تأخذ بيدنا لاتخاذ القرار المناسب، ويشير الإعجاز الالهي في القرآن الكريم إلى تطابق العقل والعلم والدين وتوافقها جميعاً فيما تذهب إليه وأن ترسيخ أحدها يؤدي لا محالة إلى تعزيز الآخرين وتكريسهما ﴿... وما يعقلها إلّا العالِمون﴾[1]، ﴿واتقوا الله ويعلمكم الله﴾.

---

١ ـ سورة العنكبوت، الآية ٤٣.

قوة الشهوة الجنسية لدى الرجل والمرأة

كان القدماء يدعون أن الرغبات الشهوانية في المرأة تعادل تسع أضعاف ما للرجل. ولا يسعنا أن نذعن لما قالوا كما لا يمكننا رفض هذه النظرية، ونقول لا يمكننا رفضها لأننا مررنا في أعمارنا القصيرة بظروف آلت علينا بالاعتراف بمواضيع ذهب إليها القدماء، لطالما أكدنا على رفضها وتمادينا في ذلك فسخرنا منها ثم عادت الحقائق العلمية المبرهنة لتؤكد على إثبات صدقها وأسرفت في ذلك كماً ونوعاً حتى غدت محط اهتمام الشعوب التي دأبت فيما بعد لاحترام الأعراف والسنن وإسهامها في سن القوانين الاجتماعية والسياسية والصحية وكافة الشؤون الأخرى.

ولكن الإذعان للعدد (٩) ليس من اليسير لأننا لم نلحظ الإشارة إليه في الأحاديث المروية عن الرسول الكريم ﷺ والأئمة المعصومين عليهم السلام كما لم يثبت العلم العصري شيئاً حول هذا الموضوع. أما عن تفوق الشهوة الجنسية عند المرأة عما هو عليه في الرجل فإنه أمر لا ينكر ويمكننا إستبانته من ناحيتين، الأولى: بالتمحص في المرأة

ودورها وحصيلة فاعليتها في المسؤوليات المفوضة إليها.والثانية: الدور المطلوب منها إيفاؤه في نظام الخلق.

ونعني بالتمحص في دور المرأة وحصيلة فاعليتها ما نسميه «العطاء» لأن كل ما يدور في إطار الماديات وينجح المرء في استثماره واستحصال الفائدة منه يعتبر امتيازاً يحظى به الإنسان من المادة ويدعى «المنفعة» بينما «القيمة» لا تتأتى إلّا في عالم ما وراء المادة، والفارق بين المنفعة والقيمة يكمن في أن المنفعة امتياز تهبه المادة وتستعيده ثانية بينما القيمة مادة التكامل نستحصلها من عالم ما وراء الطبيعة وخلافاً للامتياز لا يطالب الإنسان بإعادتها ولا يفقدها بل ترافقه في مسيرته نحو الالتحاق بالله. ولا يرقى مما نقدم إلى درجة التقرب إلى الله سوى ما يتقبل من لدن ذاته المقدسة فيحظى بالديمومة تأثراً من وجوده الذي لا يبلى ولا يفنى.

فلو كانت المرأة منبثقة من عالم المادة يتحتم عليها أن تعيد إليه امرأة صنوها تتمتع بالحياة وتبذل إلى جانب ذلك عطاء تثمره فاعلية دورها كما جاء في القرآن الكريم ﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم...﴾[١]، ولكننا ننوه هنا إن الامتيازات والمنافع كغيرها من جوانب عالم الخلق لابد أن تسلك سبيلها نحو الكمال والتكامل وهذا ما يوحي لنا بأن ما تأخذه المادة بعد منحه يستثمر ثانية في مسار الكمال. وسأتطرق لشرح هذا الموضوع عند إثبات المعاد الجسماني. ولهذا عاد القرآن بعد ذكر عبارة

---

١ ـ سورة طه، الآية ٥٥.

﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم﴾ ليؤكد الحقيقة التي ذهبنا إليها بعبارة ﴿ومنها نخرجكم تارة أخرى﴾ و«منها» هاهنا تعود لـ «منها» الأولى ولكن اتجاهها ينحو منحى الكمال والتكامل.

وقد جاء دور المرأة لتعيد ما أخذت وتبذل العطاء المتمثل بالإنسال وتساهم في الحفاظ على سر ديمومة الحياة، وبما أن دور المرأة في الحفاظ على بقاء النوع الإنساني يمتاز بفاعلية أقوى من فاعلية الرجل ويسعها أن تحمل دون إسهام الرجل في عقد النطفة (كما شاء الله للسيدة مريم عليها السلام) نظراً لامتلاكها الجهاز التناسلي المؤهل لذلك خلافاً للرجل الذي لا يقوىٰ على الحمل أو الإنجاب على أقل تقدير دون المرأة يفترض ان تكون الشهوة الجنسية للمرأة أقوى منها لدى الرجل.

ومما يؤكد تفوق المرأة على الرجل في مجال الشهوة الجنسية تكوين جهازها التناسلي الذي يشمل إلى جانب العضو الأنثوي العضو الذكري أيضاً والذي يدعو البعض في الوقت الحاضر إلى ختانه، وقد أثبت الطب أن العضو الذكري في المرأة (البظر) يزيد من الشبق الجنسي وهذا ما يذهب إليه الإسلام أيضاً. إذن من الطبيعي أن تزداد الشهوة الجنسية لدى المرأة ـ وهي تمتلك العضوين الجنسيين الذكري والانثوي ـ عنها لدى الرجل الذي يقتصر جهازه التناسلي على العضو الذكري.

لا يخفىٰ أن القوة الجنسية لدى الرجل أقوى من القوى الجنسية لدى المرأة في المجموع لأن المرأة تشعر بالاكتفاء بعد كل كرة من كرات المواقعة في الوقت الذي يميل الرجل بعد التفرغ من الرفث مباشرة لاتيان

المرأة ثانية، إنه اضافة إلى هذا يتمتع بالقوة الجنسية منذ البلوغ وحـتى الوفاة ويطالب بممارسة النكاح طوال هذه الفترة التي تتحدد لدى الانثى من البلوغ حتى سن اليأس بالشكل الذي أشرنا اليه ثم تتضاءل لديها هذه الرغبات، وبتعبير آخر تكون القوة الجنسية لدى الذكور متوالية ومتواصلة بينما هي لدى الإناث متناوبة مؤقتة.

الجماع وآدابه

يؤكد العلم أن النكاح والجماع خير أسلوب لإشباع الشهوة الجنسية. إن الكثير من الفتيان يمارسون الجنس قبل البلوغ وبنسبة أكبر بعد البلوغ (أذكر هنا أن ما نعنيه دوماً من الجماع والاقتران والرفث والوطء والمضاجعة هو إيلاج القضيب في مهبل المرأة). أما عن الشريحة الثانية التي تمارسه بعد البلوغ فإن الأمر يتعدى ما هو عليه لدى الشريحة الأولى بكثير ونلاحظه لدى المتزوجين أكثر من العزاب (ونقصد هنا انتقاء شخصين سويّين كل منهما من قبل الآخر).

الجماع هو إيلاج القضيب المنتصب في مهبل المرأة حيث ينعظ الرجل خلال مرحلة واحدة بتحريك القضيب داخل المهبل ثم ينفش ويرتخي معلناً عن انتهاء العملية الجنسية بقذف المني.

أما جماع المرأة فإنه يتضمن كذلك النعوظ ولكن خلال مرحلة أو مرحلتين ويبدأ باندفاع الدم إلى البظر والشفرين اللذين يحيطان الفرج فتمتلئ جميع أنسجة جهازها التناسلي بالدم ويؤدي بالتالي إلى إصابتها بآلام شديدة في الظهر ما لم تصل بحركة الجماع إلى مواطن شهوتها عن

طريق الإنعاظ والإنزال.

وقد تتبنى المرأة الدور الفاعل خلال العملية الجنسية بتحريكها قضيب الرجل وقد يساهم كلا الجنسين في هذا الأمر. ونلاحظ في حالات نادرة جهل الزوج الشاب وعدم امتلاكه الخبرة الكافية للقيام بهذه العملية فيقوم بإيلاج القضيب في قناتها البولية فتلتزم الفتاة الصمت وتتابع ما يفعل قانعة بالوضع القائم دونما اعتراض حياء منها وهذا ما لا يحدث للأزواج الذين يرزقون أبناءهم الأوائل بعد تسعة أشهر بالضبط من ليلة الزفاف.

وتختلف الفترة الزمنية التي تستغرقها العملية الجنسية من فرد لآخر وتبلغ نحو عشرين دقيقة لدى البعض ممن يقذف بعد أن يناله الإرهاق بينما ينعظ غالبية الرجال خلال دقيقتين.

وتختلف مدة الإنعاظ لدى الحيوانات التي تمارس هذه العملية فطرياً دون خيار منها أيضاً. وتبلغ عشر ثواني لدى القواضم بينما تطول لدى نوع من دواب بنات عِرس ثماني ساعات.

الجدير بالذكر أن هذه المدة لا تتبع قانوناً خاصاً ولا يمكن مقارنة الكائنات مع بعضها حسب قاعدة معينة تختص بهذا الموضوع (حيث لم يتمكن العلم من التوصل الى علاقة حجم الحيوان بقوة الضراب لديه أو ايجاد النسبة بين الوقت الذي تستغرقه الفيلة أو القطط مثلاً خلال العملية الجنسية).

والقاعدة الأخرى التي نلفت النظر إليها هي أن هذه المدة تختلف

حسب الفواصل الزمنية التي تفصل المواقعات عن بعضها، فكلما تقلصت هذه الفواصل تطول المدة المذكورة ويقل عدد الحيوانات المنوية في السائل المقذوف، وهذا ما يمكننا توضيحه بالنظر في حالة اللسعيات مثل الزنبور أو الثعبان فكل منهما ينفث في ملدوغه سموماً أكثر خلال لدغاته الصباحية قياساً مع اللدغات التالية (لأنه يخرج صباحاً من مخبئه ومستودعه مليئاً بالسم الذي يجتر منه حتى ينفد).

وتنعظ المرأة خلال الجماع (خلافاً للرجل) عدة مرات حتى تخبر هزة الجماع بعد ما يقارب العشر دقائق، ومن أوقع المواقعات أثراً في الالتذاذ الجنسي هو ما يقاوم فيه الرجل الإنعاظ حتى يشعر بقرب بلوغه من قبل المرأة ليتزامن إنعاظهما معاً.

ذكرت قبل هذا أن قضيب الرجل وكافة أجزاء الجهاز التناسلي في المرأة تحتقن بالدماء خلال العملية الجنسية وتزول هذه الحالة بعد بلوغ مرحلة الإنعاظ والقذف، ولكن تأخر إنعاظ المرأة عن الرجل وتركه لها بعد قضاء شهوته يسبب استمرار حالة الاحتقان لديها وإصابتها بآلام شديدة في الظهر، والحل المرتأى من قبل بعض الرجال للتخلص من هذه الحالة هو أن يبادر إلى دعك بظر المرأة والضغط عليه باليد حتى تخبر الإنعاظ ولكنها طريقة غير صحيحة، والأسلم أن يمتنع خلال الفارق الزمني في إنعاظهما (٥ـ١٠ دقائق) من الإيلاج ويقضيه بمداعبتها وإثارتها حتى اقترابها من هذه المرحلة فيبادر للإيلاج عندما يلحظ منها أنها ستقضي حاجتها البيولوجية منه بعد الدقيقتين اللتين يستغرقهما قذفه بعد الإيلاج.

إثارة شهوة المرأة

قال رسول الله ﷺ: «إذا جامع أحدكم فلا يأتيهنّ كما يأتـي الطـير، ليمكث، وليلبث (قال بعضهم وليتلبث)»[1]. كما قال ﷺ: «ثلاثة مـن الجفاء أن يصحب الرجل الرجل فلا يساله عن إسمه وكنيته، وأن يُـدعى الرجل إلى الطعام فلا يجيب (فلا يأكـل)، ومـواقـعة الرجـل أهـله قـبل الملاعبة (المداعبة)».

وعن الصادق عليه السلام أنه قال: «إن أحدكم ليأتي أهله فتخرج من تحته فلو أصابت زنجياً لتشبثت به، فإذا أتىٰ أحدكم أهله فليكن بينهما مداعبة فإنه أطيب الأمر»[2].

وقال النبي ﷺ: «قول الرجل للمرأة إني احبك لا يذهب من قلبها».

في الحديث الأول يـنهى الرسـول ﷺ عـن مـواقـعة النسـاء دون مداعبتهن كما تفعل الطيور (التي يواقع ذكورها الإناث مـا أن هـاجت فحولتهم ليتركوهن دون تـريث بـعد بـلوغ وطـرهم الجـنسي مـنهن)، ويعتبرها عملاً دون شأن الإنسان. وبينما يتصور الكثير أن الدعـوة إلى ضرورة تعرف الأشخاص على بعضِهم في بداية مصاحبتهما فكرة غربية نجد أن رسول الله لم يحصر حالات الجفاء بالمصاحبة دون التعرف على الآخرين بل استعرضها في حالات ثلاث جاءت في الحديث الثاني.

---

١ ـ وسائل الشيعة، ج ٢٠، الباب ٥٦، ص ١١٧.

٢ ـ وسائل الشيعة، كتاَب النكاح، أبواب مقدمات النكاح وآدابه، ص ١١٨.

في الحالة الأولى يلتقي زيد عمراً فيسأله عن أوضاع السوق مثلاً أو عما يتعلق بأحوال المجتمع أو شؤون البيئة أو النفس أو الدين وما إليها ثم ينفصلان دون التعرف على بعضهما ثم لا يريان في أنفسهما حاجة إلى اللقاء بعد ذلك نظراً لتطبع حديثهما بطابع غير علمي وتأطره تبعاً لذلك بحدوده الضيقة، أو أنهما في حالة أخرى يشعران بضرورة إلتقائهما لإتمام البحث فيتذكران أنهما لم يتعارفا مما يسبب الاحتقان الفكري لديهما. بينما تحقن العلاقات الاجتماعية إثر رفض الدعوة للإطعام في الحالة الثانية وما يترتب على ذلك من عواقب نفسية سيئة، وفي الحالة الأخيرة تخرج العملية الجنسية عن مسارها الطبيعي مما يمنع زوال حالة الاحتقان لدى المرأة، فما يا ترى القواسم المشتركة بين الحالات الآنفة الذكر؟ الأولى القائمة على الجهل، الثانية التي تبث الضغائن الاجتماعية وتحقن العلاقات، والثالثة التي تسبب الآلام؟ إنها تُماثل في دورها القاصم للظهور وفي الآلام المتأتية من الاحتقان الناجم عنها؛ الاحتقان الفكري والاحجيات العلمية التي يؤدي إليها جهل الأصحاب، الاحتقان العصبي والأشجان الاجتماعية التي تسببها الإستهانة باحترام الآخرين لنا وأخيراً الاحتقان التناسلي والآلام الجنسية التي تصيب الظهر.

ان المدركات تتنوع في رأيي مثلما تتعدد أنماط البلوغ التي تبلغ عشرة أنماط، وما يهمنا هنا هو الإدراك الجنسي وأن يعي كل من الرجل والمرأة لأي الاستثارات يستجيب الآخر أكثر من غيرها. إن تعرف الرجل على نوع المشاعر التي تتجاوب معها المرأة أو تنبه المرأة لما يهيج شهوة الرجل من المثيرات الفسيولوجية أو السيكولوجية التي أكد

الإسلام على الاهتمام بكليهما معاً، أمر يستغرق فترة من الزمن. ان ضرورة التعبير عن المشاعر الودية التي يكنها كل من الزوجين تجاه الآخر موضوع ذهب إليه الإسلام وتبنىٰ وجوب الإتيان به حتى لو أدرك ووعىٰ كلا الزوجين أن الملامسة هي أفضل وأسرع طريقة لبلوغ ذروة اللذة الجنسية. وسيثبت العلم لا محالة قريباً حاجة الإنسان لاتباع الأسلوبين معاً كما سبق له تصديق سائر القضايا الحياتية التي حكم بها الإسلام.

ذكرت ان تعرف كل من المرأة والرجل على الأسلوب الأفضل لإثارة الآخر يتطلب من الزمان ما يتحدد بحسب الإدراك الجنسي الذي يتمتعان به، وقد يستغرق عدة سنوات إلّا أنه من الطبيعي أن المرأة تزداد استبصاراً في الشؤون الجنسية بعد إزاحة وشاح الخجل والحياء من زوجها تدريجياً بمرور الأيام. وبتعزيز مشاعرها الأسرية وتكريس شعورها بدنوها من الزوج تفوق اللذة الجنسية التي تستحصلها من الجماع ما تخبره منها في الكرات السابقة. وهذا ما يرتبط ارتباطاً وثيقاً بعمر الفتاة والفارق السني بينها وبين الزوج خلافاً للرجل الذي ينال ذروة اللذة الجنسية عبر الانعاظ والقذف حسب رغبته وتناسباً مع الميول التي تحثه.

أيها القارئ المسلم، لا تمر على ما تطرقنا إليه من أحاديث الرسول ﷺ مرور الكرام فـفرصة العمر لا تبلغ مائة عام أو أكثر وأعمارنا القصيرة لا تسمح لنا بالتنبه للشؤون الجنسية بالدقة التي توخاها الرسول ﷺ في حديثه، والأهم من هذا أننا بتمعننا في معاني هذا الحديث نجيب على من يحاججنا بأن الاسلام بمعزل عن السياسة

وهو معني بالوضوء والغسل والطهارة لا غير بأن نقول: وهل هنالك جانب من جوانب الحياة لم تتطرق التعاليم الإسلامية إليه ولم تسن القوانين بشأنه؟!

لابد لنا أن لا ننسى أن الاسلام يطالب الرجل بالتهيج السيكولوجي (النفسي) والفسيولوجي (الفيزيائي) معاً، إذ يوحي لنا حديث الرسول ﷺ عن ثلاثة تطبعوا بالجفاء: أن الإسلام وكما يعد الإيلاج الفجائي دون سابق مداعبة وتكيف جفاءً نفسياً وفيزياوياً، يرى أن صحبة الآخرين دون التعرف عليهم أو رفض دعوة أحد ما إلى الطعام جفاء أيضاً.

إن رفض الدعوة إلى وليمة أو استنكاف الضيف عن تناول طعام المضيف حالتان تبعثان الامتعاض لدى المضيف لأنها تشعره كأنه يواجه اعتراضاً ومعارضاً، وقد ساد التفكير القائم على عدوانية الضيف الذي يرفض الطعام لمضيفه لدى أكثرية الناس فيما سبق وعند البعض في الوقت الحاضر. وقد تطرق القرآن عند شرح وقائع استضافة النبي إبراهيم عليه السلام للمفوضين بأمر تدمير مدن «سدوم وعمورة» إلى هذا الموضوع أيضاً.

ولتوضيح الأمر واجتناب الالتباس في ارتباط هذه الحالات ببعضها نقول أن الضيف الذي يتنكر لطعام المضيف فإنه لا محالة صديق في أغلب الأحيان لأن المرء يوجه الدعوة لعدوه وإن دعاه فإنه على حيطة من أمره ولكن لماذا يرفض الصديق طعام صديقه؟ إنها تساؤلات تعرض الإنسان إلى ضغوط نفسية تشعره بالامتعاض العارم.

وكذلك المرء عند انفصاله عمن صاحبه وإستعادة جزئيات الحديث معه قد يتنبه إلى حلم أو رذالة ذلك الشخص مما يتوجب تعرفه عليه فينجم عن هذه الأفكار استغراق المرء في ذاته وتعرضه لمضايقات الشعور بالامتعاض.

والرجل الذي يواقع زوجته ويحصر جماعه بها بالإيلاج دون اللجوء إلى مداعبتها وتسخير مشاعرها وأفكارها بتعابير ودية ويلخص اللذة بما تتأتىٰ من استثارة الأعصاب والمراكز النخاعية يعاني من صعوبات مماثلة. لأن إنعاظ الرجل الناجم عن اندفاع الدم نحو الانسجة المتكهفة والإسفنجية في القضيب والأوعية التي تحيط به، يرافقه احتقان أوعية الجهاز التناسلي للمرأة وبلوغها الإنعاظ تأهباً للمواقعة، فينجو الرجل من الاحتقان الناجم عن انتصاب القضيب بعد مرحلة الإيلاج والقذف بينما تكون المرأة عندما تحتقن الأوعية في حوضها برمته بأمس الحاجة إلى المداعبة بغية تيسير إنعاظها، فإذا اجبرت على ممارسة النكاح دون اللجوء إلى المداعبة في الفاصل الزمني بين التهيج والممارسة، تستمر حالة الاحتقان لدى المرأة وتصاب إثرها بآلام شديدة في الظهر تعرف أغلبية النساء سر إصابتهن بها.

وتمتاز المداعبة في الفاصل الزمني بين الطلب والممارسة نفسياً بآثارها الملذة وفاعليتها في استحصال مشاعر الهدوء والارتياح، وبهذا لا يجوز إطلاق تسمية الاغتصاب عليها في الوقت الذي تتسم فيه الممارسة العجول ـ وإن تمت بعد كسب موافقة المرأة ـ بالعدوانية التي تسلب المرأة الهدوء الذي تتطلبه لإنجاب ذرية تتطبع بهدوء الأعصاب أو

لإشباع شهوتها الجنسية إثر همود واسترخاء بدنها نتيجة استحصال ذروة اللذة على أقل تقدير إن لم تثمر هذه الممارسة عن إنجاب. إن غشيان المرأة دون مراعاة حقها في المداعبة غبن لها كما هو الحال في رفض الضيف تناول نصيبه من الطعام وجهل المصاحب لهوية متحدثه.

الممارسة الجنسية والاستعداد النفسي

تحدثنا في المجلدات السابقة عن النكاح ومراحله الخاصة المتمثلة بالتحدث والمبادرة والتحولات أو التغييرات الطارئة، ويعنىٰ كتابنا الحالي بالممارسات الجنسية بين العريسين تلبية للانفعالات الشهوية التي تعقب المرحلة المنصرمة.

وتختلف أنماط الممارسة الجنسية ولكنها جميعاً ترتبط بالعوامل التالية:

ـ الإثارات الحسية التي تنجم عن التفكير بنمط ومدى الارتباط بالآخر.

ـ الاستجابة الفسيولوجية للشخص إزاء هذه الإثارات.

ـ مدى الخبرة السابقة التي يمتلكها المرء حول أسلوب الإثارة والتداعيات المتأتية عن مثل هذه الخبرة، وكذلك دور حكم وآراء الأشخاص.

ـ سائر الأحوال السائدة في المجتمع.

وأعضاء الإنسان الدخيلة في الممارسات الجنسية على نوعين:

أعضاء تؤدي هذه الممارسة وتتمتع بقدرة التجاوب مع الاستدعاءات المهيجة، وأعضاء يتحدد دورها بتلقي وتقوية الاستثارات الجنسية.

وتمارس النشاطات الجنسية على نحوين: فردي واجتماعي، ويكون الشخص في الفردي منها ناكحاً ومنكوحاً في الوقت نفسه كما في الاستمناء، وفي الاجتماعي إما فاعلاً أو مفعولاً كالتقبيل والممارسات الجنسية الغيرية (مع الجنس الآخر) أو المثلية (مع الجنس المماثل) أو الحيوانية (مواقعة الإنسان للحيوان إما في الدبر أو القبل).

وقد يأتي الإنسان بالممارسات الجنسية (الفردية أو الاجتماعية) قبل البلوغ أيضاً عن طريق الإثارات الشهوية الجنسية منها أو غير الجنسية.

المثيرات الجنسية:

العين: مشاهدة مضاجعة الإنسان أو الحيوان، رؤية الصورة الفاضحة، مشاهدة الأفلام، التطلع إلى صور مستهجنة أو رسوم مهيجة.

الملامسة: مسح جسم الشخص باليد، التجاور عند الجلوس، اصطكاك السيقان، ملامسة الأبدان عند الرقص، الضغط على الأبدان في الزحام.

القراءة والكتابة: قراءة القصص الغرامية ومطالعة الكتب التي تتضمن أبحاثاً جنسية مهيجة.

اما المثيرات غير الجنسية فإنها تشمل المؤثرات الفيزيائية (ركوب الخيل والدراجات، سياقة السيارات، الجلوس في محل أدفأه جلوس فرد آخر فيه، الإمساك بثياب شخص آخر، التزحلق على الجليد،

السباحة و...).

المثيرات: متابعة الألعاب المهيجة أو المشاركة فيها، مشاهدة أفلام الغابات، الاستماع لوقائع المغامرات، الانفراد في الدار، الاستماع لألحان موسيقية معينة، التأخر عن الوصول إلى البيت أو الفصل الدراسي، إلتزام مسؤولية الصف أو أي مسؤولية أخرى، الحصول فجأة على ثروة أو منصب خاص أو سماع الشخص لاسمه بث من المذياع أو سائر وسائل الإعلام و... وكلها مثيرات تؤثر في الشخص قبل أو بعد البلوغ. ويضاف إلى المثيرات بعد البلوغ: الاستلقاء، تسلق الأشجار، دعك الجسم بالمناشف، والمصارعة وهي من المثيرات الفيزيائية. أما المثيرات النفسية الخاصة بما بعد البلوغ فإنها: التقبيل من قبل الجنس المغاير وحلب البقار والخراف أو دعك ثديها. وسنتطرق لشرح كل منها على حدة:

أسهبت الحديث عن النوم في المجلد السابع عشر الخاص بالنوم وأنواعه وسأشرح التفاصيل الكاملة عن الأحلام في المجلدات القادمة ومنها الأحلام المهيجة للشهوة والتي تعود على الشخص بانفعالات جنسية خاصة يكون مردها رؤية مشاهد جنسية مثيرة خلال النهار أو الإصابة بالانفلونزا أو التهاب المركز العصبي للنعوظ في النخاع الشوكي أو احتكاك القضيب المنتصب بالجسم أو بالفراش أو رؤية أحلام حول قضايا فشل الشخص في تحقيقها في حياته الواقعية، وتمثل الأحلام الجنسية أول الممارسات الجنسية لدى كلا الاناث والذكور.

أما عن الاستمناء فقد سبق لي أن أتيت بتفاصيل وجزئيات دواعي تحريمه من قبل الإسلام وأسباب إلحاقه الأذى والإثم بالانسان ولو تمت

ممارسته مرة واحدة على مدى الحياة.

والمغازلة ومداعبة جسم الرجل والمرأة من الأمور التي أوصىٰ بها النبي صلى الله عليه وآله كما أشرنا، وأكد الإمام الصادق عليه السلام كذلك على ضرورة استحصال الاستعداد النفسي لدى المرأة، وسأشرح الطرق الكفيلة بتحقيق هذا الأمر:

مداعبة ودعك الأيادي والسيقان: (الأيادي بالأيادي والسيقان بالأيادي أو يمكننا مداعبتها بالسيقان والأقدام أيضاً)، الاحتضان، التقبيل، مداعبة ودعك الثديين اللذين تزداد مراكز الإثارة فيهما كلما اقتربنا من الحلمة، إلّا أنه يفضل البدء بمداعبة الثدي كله ثم قسم منه ثم حسر المساحة حتى تتحدد بالحلمة، مص أو تقبيل الثدي، تقبيل أو لعق العضو التناسلي والفرج (وقد سادت هذه الحالة منذ قرن بين الفتيات والفتيان في العالم الغربي ويقل اهتمام المسلمين بها)، مداعبة أو دعك القضيب أو الفرج (وخاصة البظر) باليد، الضغط على الفرج أو خضخضته بالقضيب، مشاهدة أعضاء من جسم كل من الرجل أو المرأة من قبل الآخر، وضع القضيب أفقياً في الفتحة الأمامية للفرج أو بين الفخذين أو الثديين أو وضع القضيب في الفم وهو عمل يؤتىٰ به غالباً مع الفواحش من النساء.

وهنالك المواقعة التي سنتطرق إليها كما سبق وذكرنا التفاصيل عنها.

وكذلك الممارسات الجنسية المثلية وتتضمن اللواط (بين الذكور) والسحاق (بين الإناث) وقد جاءت التفاصيل عنهما في المجلدات

السابقة.

ومواقعة الحيوانات أو مداعبتها حيث يحرم تناول حليب أو لحوم الحيوانات المحللة التي تعرضت لمثل هذا السلوك ويجب حرق هذه الحيوانات بعد ذبحها. ومن الحيوانات التي تكون عرضة لمواقعة الإنسان في القبل أو الدبر: الخنازير، البقار، الحمير، الكلاب، القطط والدواجن وتفضل النسوة الشاذات القردة، الكلاب والقطط. ويزداد تهالك هذه النسوة على مداعبة الحيوانات وإجبارها للعق شفري فروجهن أو مداعبتهما باليد لا سيما من قبل الكلاب والقردة. والمدهش أن الحيوانات المواقع بها في الدبر كالمأبونين من الرجال الذين يعتادون الإتيان بمثل هذا الفعل، حيث تعتاد على اتخاذ الوضع المناسب بإبعاد ساقيها عن بعضهما ما أن ترى الفاعل قد اقترب منها.

المناطق الشهوية

نوهت مراراً أن المجتمع يتطور شأنه شأن الطفل المتنامي، فكما أن الطفل يقضي طور الصبا سبعة أعوام في اللعب بالألعاب أو الأحجار والأتربة فالمجتمع بالنسبة للإنسان ينحصر في البدء بهذه الأشياء ثم يبلغان معاً مرحلة الطفولة ليتركاها بعد بلوغ فترة النضوج الديني.

ويتشابه سلوك الأبوين مع الطفل وسلوك الله مع مخلوقاته، فكما يحتضن خالقا الطفل المجازيان ابنهما لينشأ ويترعرع مستأنساً في صباه بالأمور الفيزيائية تكون الصلات بين الخالق الحقيقي ومخلوقاته قائمة على هذا المنوال حيث رفدهم بالمعجزات الفيزيائية أولاً ثم أتى على

الإنسانية في مرحلة تطورها العلمي ليدعمها بالعلم والمعجزة العلمية (القرآن).

عند مطالعة التوراة يتراءى لنا أن علاقة الله ببني إسرائيل كانت كعلاقة الأب بأبنائه، تارة يشوبها الغضب وتارة تسودها الرأفة، إلّا أن القرآن يؤكد ﴿.. **ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة..**﴾[1]، فالحي حي ما دام لديمومة حياته دليل بيّن وإلّا هلك.

وتعم الأصول المتحكمة بالممارسة الجنسية الواحدة على مطلقها وكما نهى الرسول الكريم ﷺ عن غشيان الزوجة دون مقدمات كالطيور، بغية استحصال الشهوة لدى المرأة وقرب إنعاظها لينال كل من الزوجين ذروة اللذة معاً، تعمّ هذه القاعدة على الجماع بالإطلاق حيث تكون ليلة الزفاف مستهله. إذن يبدو أن مباشرة المرأة بالإيلاج والانزياح عنها فوراً دون مقدمات أمر بعيد عن العقلانية ولهذا نبذه الإسلام.

والوشائج كما يؤكد القرآن الكريم على صنفين: عقال وشكال. اما العقال منها فإنها الوشائج التي تقوم على أساس الالتزامات الفطرية وهنالك الكثير من الآيات القرآنية التي تشير إليها، والشكال هي ما أشارت إليها الآية ﴿..**كل يعمل على شاكلته**﴾[2] وبينتها (أكثر من سواها من الآيات)، أي أن السلوك الإنساني والالتزامات التي يتمسك بها الإنسان تنم عن نمط نشأته التي تعين اتجاهاته العملية. وقد نزلت الآية

---

١ ـ سورة الأنفال، الآية ٤٢.

٢ ـ سورة الإسراء، الآية ٨٤.

الآنفة الذكر تتمة لما جاء في الآية ﴿ونتزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلّا خساراً﴾[1].

ونلخص ما ذكرنا في هذا البحث بأن ما نشاهده في الحياة ليلة الزفاف هو ارتباط في سياق العقال من الوشائج، يبدأه الإنسان بالصلاة، والعقال من العقل «الرسول الثاني» في الإنسان، ولمن الروعة أن يستلهم الرسول الثاني حكمته ـ التي يقوم استناداً إليها بمهمة التوعية ـ من الرسول الأول لكيلا يسمح العريسان للشكليات والالتزامات المستنبطة الذاتية في التدخل في حياتهما الجديدة بل يتبعان خطى الإسلام وما أمرهما به ليتمكنا من نيل سعادة أوفى وإنجاب ذرية أرقى.

أجل لابد للإنسان الذي نهي من مضاجعة الزوجة دون إعداد المقدمات اللازمة لها فإن العقل ينهاه عن التشبه بالطيور في ليلة الزفاف ويأمره باستثمار خياره في هذا المجال علىٰ أحسن وجه وكبح جماح رغباته الشهوانية للتمهل واللجوء إلى أسلوب المداعبة والمغازلة وتحبيب الأنفس إلى القلوب مما يوفر ظروفاً أكثر تلاؤماً لبث المودة والألفة والرأفة بين الزوجين.

هنا نذكر أن بإمكان الزوج التأكيد على مداعبة المناطق الشهوية لدى المرأة في بداية الجماع وهذا ما ييسر له كسب مودة الزوجة في ليلة الزفاف أيضاً شرط ان لا يقتصر التهيج على الجانب السيكولوجي النفسي أو تحديده بالناحية الفسيولوجية ليتوصل إلى معرفة مدى تجاوب المرأة

---

١ ـ سورة الاسراء، الآية ٨٢.

لكل منهما وأن أيهما يشعرها بالسكينة والطمأنينة بشكل أوفىٰ وينجيها من القلق والرهبة مما سيحدث في هذه الليلة.

والمناطق الشهوية في المرأة هي تلك المناطق التي تسبب ملامستها تهيج المرأة فسيولوجياً وإعدادها لممارسة النكاح، وتشمل:

ـ الخلايا المحيطة بالحلمة في الثدي والتي تمتاز بسرعة الاستجابة للمثيرات وهذا ما يجعل الثديين يدران الحليب ما أن يلامس الرضيع بيديه هذه المنطقة التي تتم إثارتها في الحيوانات بأساليب أخرى (مثل الضرب بالجبهة لدى المجترات والعض الخفيف لدى بعض الحيوانات الأخرى وغيرهما من الأساليب)، والزوج أيضاً يجد في الثدي موضعاً شهوياً تزداد إثارته بالاقتراب من الحلمة حتى تصل ذروتها في رأس الحلمة.

ـ البعض يؤثر البظر لأنه يحتل مكانة القضيب في الرجل والذي يتهيج بملامسته من قبل المرأة وتزداد إثارته بالاقتراب من الحشفة التي يفوق تجاوبها مع الإثارات وتلقيها مشاعر اللذة أي قسم آخر رغم انعدام المراكز الحسية التي تستشعر الحرارة والبرودة فيها، إنها تماثل البظر في المرأة والذي يثار بشدة حتى بملامسة طفيفة.

ـ تسعى أكثرية الثدييات من الحيوانات إلى عض ظهر رقاب الإناث عند التزاوج والمرأة كذلك قد يثيرها العض لا سيّما العض الخفيف على الرقبة، الخد، شحمة الأذن والكتف حيث لا يصل التأثير المستحصل من الملامسة إلى ما يبعثه العض.

ـ ان مسح منطقة العمود الفقري وأطرافه في الظهر ـ حيث تتشعب

الأعصاب ـ بواسطة اليد يعد من المهيجات أيضاً خاصة لو اتبع فيه الأسلوب التدريجي (المسح الخفيف جداً، الخفيف ثم الأقوى بعد القوي).

ـ **الجهة الداخلية من الفخذين وشفري الفرج** تستجيب أيضاً للملامسة المهيجة والأكثر استجابة منها الأوتار العضلية التي تشد طرفي المهبل إلى العظام فيما لو تعرضت للاهتزاز في حركة مماثلة للدق على أوتار الآلات الموسيقية، ويتم ذلك بتحريك الأصابع.

وأقدم المناطق الشهوية التي لجأ الإنسان إلى استثارتها الشفتان فالجميع متفقو الآراء بأن الإنسان البدائي كان يستشعر ذروة اللذة وهو يطبق شفتيه على شفتي قرينه وهو يقابله وجهاً لوجه، فالقبلة من الأساليب المألوفة للإستثارة لدى أكثرية الشعوب تقريباً، إلّا أنه رغم ما ذهبنا إليه من قول هنالك من يدعي أن هذه الطريقة قد تم اكتشافها حديثاً متجاهلاً ما توحي إليه الآثار التاريخية المتوارثة والرسومات التي تم حكها على هذه الآثار وتنم عن لجوء الرجل إلى تهييج المرأة بالتقبيل أو باستثارة الثديين.

ويبعث مص لسان كل من الرجل والمرأة من قبل الآخر على إثارة الشهوة، وهنالك من الرجال من يضع قضيبه في فم المرأة طالباً إليها مصه وهذا ما يفعله الرجال في أغلب الأحيان مع المومسات (وقد طالعت خلال دورة دراستي في كلية الطب تقريراً طبياً حول إصابة رجل بدفيتريا القضيب إثر مص قضيبه من قبل باغية مصابة بهذا المرض).

إن التوصل إلى معرفة المناطق الشهوية الأكثر استثارة في المرأة أمر يستغرق مدة طويلة من الزمن حسب مستوى وعي كل من الرجل

والمرأة ونضوج فكره الجنسي، وقد تستحصل المرأة النشوة الجنسية بمسح بواطن ذراعيها بسرعة.

قد تتم الملامسة بالفم، الرأس، العضو التناسلي أو الساق وقد يكون حك كف قدم الرجل بظاهر قدم المرأة أو ظاهر قدمه بكف قدمها أفضل وسيلة لتهييجها.

وقد لوحظ أخيراً إن دغدغة كف قدم المرأة بلطف وخفة تهيج عواطفها الجنسية ولكنها تثير الانفعال العصبي لديها فيما لو تعدت هذا الحد.

وقد تسبب ملامسة بعض المناطق الشهوية التي استعرضناها ازعاج شريحة من النساء، فقد تنفر من القبلة أو يزعجها ملامسة ثدييها ويكون ذلك في أغلب الحالات لدى الفتيات اللواتي نشأن في أجواء تربوية بعيدة عن العقلانية أو في أسر تفرض على أبنائها قيوداً دينية واهية، أو تكون هذه الفتيات ـ لا سامح الله ـ ممن ارتبطن بعلاقات ودية خاطئة مع فتى مراوغ قبل الزواج.

وتمثل المناطق الشهوية المسلّم بها عند المرأة عدة مواضع يقف البظر في مقدمتها (ولا ننسى الإشارة هنا إلى فريق من النساء يزعجه ملامسة البظر). إن غالبية النساء تستثار بل تنعظ بحك بظرها بالقضيب المنتصب. أما اللسان فإنه نظراً لتمركز أعصاب الشم والتذوق واللمس فيه يعتبر من المواضع الشهوية العامة. فقلما يلاحظ انزعاج أحد الزوجين من مص اللسان (خاصة لو لجأ كل منهما إلى تحريك لسانه بإدخاله واخراجه بخفة في فم متطيب)، وتستثنىٰ من ذلك الحالات الصحية التي تفوق

أهميتها هذه اللذة. وثالث مواضع الشهوة شحمة الإذن ولا تقتصر هـذه القضية على الإنسان إذ يندفع ذكور الحيوانات الثديية غريزياً إلى عض أذن الإناث أو مداعبتها.

وقول الرسول الكريم محمد ﷺ أن «المرأة عورة» إنما يدل على أن جميع أعضاء جسم المرأة عورة ليس على مدار تحريم رؤيتها من قبل الرجل فقط بل بالنظر لأنوثتها وإثارتها شهوة الرجل سواء بالملامسة أو بالرؤية.

إن استثارة الرجل من قبل المرأة لا يـتطلب الدقـة والتـمحيص لأن الرجل ينعظ بمجرد تفكيره بالمناطق الشهوية أو تطلعه إليـها أو تـحت طائل المثيرات النـفسية الأخـرى. وقـد يـنعظ الرجـل بسـبب إصـابته بالانفلونزا أو التهاب واحتقان مركز النعوظ في النخاع الشوكي إثر ضربة سددت إلى تلك المنطقة. وفي هذه الحالة يستمر انتصاب القضيب لفترة أكبر من سائر الحالات الاخرىٰ.

لابد للمرأة بغية التخفيف من انزعاج زوجها أن تهتم بالإثارة الزمنية أكثر من الإثارة الموضعية بأن تلجأ إلى استثارته ثانية عندما ينعظ بعد الإيلاج مباشرة دون أن يقضي شهوته فتقبض بـعضلات المـهبل عـلى القضيب ضاغطة عليه وتقارب فخذيها وتمسح منطقة العمود الفقري من ظهره لتعينه على إعادة إنعاظه وتستحصل رضاه بذلك. ومن شأن المرأة إثارة الرجل بحركات منتظمة أو بالملامسة والمـداعـبة (ونـلاحظ لدى إناث النواطح من الحيوانات الثديية أنها تضرب بقرنها على أرداف الذكور لاستثارة فحولتهن).

ويتأخر الإنعاظ عند المرأة فيما لو لم تكن راغبة في الجماع خلافاً للرجل حيث يقضي شهوته بالقذف سريعاً إن تمت إثارته دون رغبة منه في الرفث.

وهنالك عوامل تهييجية أخرىٰ للمرأة والرجل وقد أمعن الاسلام بالاهتمام بأحدها وهو استخدام العطور حتى حرم تطيب المرأة بالروائح الزكية عندما تفرض عليها الظروف اقترابها من الرجال الغرباء.

وللقارئ أن يراجع المجلد الخامس بغية الإطلاع على تأثير الالوان في كثير من شؤون ومجالات الحياة.

والعامل الآخر الذي يساعد على إثارة وإنعاظ المتواقعين (بمختلف أنواعهما) هو الأصوات والتأوهات التي يطلقها كل منهما، وتفضل المرأة أن تلتزم الصمت وتطبق أجفانها عندما تستمع إلى صوت الرجل. وإن تفوهت المرأة بشيء من هذه الأصوات تزداد فاعلية الرجل. إلّا أن المرأة تود أن تتفوق على الرجل في هذا المجال وكذلك الرجل يحبذ الاستماع إلى تأوهات المرأة وكأنها تئن تحته.

كان الإنسان البدائي الذي سكن الكهوف والأغوار يؤمن أنه لو حك صورة حيوان اصطيد بسهم فإنه سيشهد مثل هذا المنظر في الصحراء بعد يوم أو عدة أيام وسينجح في اصطياد مثل هذا الحيوان.

لقد ورث الشباب المغامرون هذه العقيدة من أجدادهم إذ أنهم يعمدون اليوم إلى نصب صورة فتاة أو فتيات مغريات في غرف نومهم وكانوا بالأمس ينصبونها لتثيرهم عندما يلجأون إلى الاستمناء منفردين، ومرد هذا السلوك الوراثة التي لحقتهم من الأسلاف، وقد تبادر الفتيات أيضاً

إلى مثل هذا التصرف وهذا ما يرويه لنا التاريخ القرآني (وكذلك التوراة) عندما يقص علينا قصة زليخا زوجة عزيز مصر عندما همت بإغواء النبي يوسف عليه السلام إذ أمرت بنصب رسومات عن الأواصر الغرامية والممارسات الجنسية في الغرف جميعاً.

والغاية من ذكر هذا الموضوع تحذير الرجال من مغبة الوقوع في شراك مثل هذه المصيدة، وقد يحدث أن تتخيل الزوجة أن الصورة التي يحملها الزوج صورة حقيقية لفتاة سخرت قلبه.

وكثيراً ما نلاحظ نشوب خلافات بين الزوجين في أيامنا هذه يعود سببها إلى انتشار المجلات التي تتضمن صوراً مستهجنة.

ومن الأمور التي تعيق الإنعاظ الرياء في المداعبة والتصنع في الملامسات، وانظر الاسلام الذي يتهمونه بأنه لا يتعدى حدود الوضوء والغسل والطهارة والصلاة والصوم، إلى أين ذهب بالحياة وشؤونها في تعاليمه التي لم تترك أدنى المجالات دون توضيح، فتعال معنا لنتدارس القضية التالية فيما يخص هذا الموضوع:

لا يجيز الإسلام تفكير الزوج بإمرأة غريبة عند مواقعة زوجته أو تفكير الزوجة بغير زوجها في هذه الحالة، وقد كشف العلم العصري عن تأثر الأفكار تلقائياً ببعضها وهذا ما يترك آثاراً سلبية على الزوجة وحتى على الزوج ذاته عند انشغال باله بغيرها أثناء الجماع.

ويفترض أن نقف على هذه الحقيقة وهي أن المرأة قد تنعظ بتأثير الاستدعاءات الفسيولوجية (الحسية) أو السيكولوجية (النفسية) قبل مرحلة الإيلاج أو بلوغ الزوج مرحلة القذف بينما تحبذ أن تنال وطرها

من اللذة الجنسية بعد الإيلاج. والمرأة لا تكتسب الارتياح النفسي والنشوة الجنسية من الجماع إلّا عند إنعاظ بظرها حين يحتقن جهازها التناسلي. وقد يشتد الاحتقان لديها حتى ينتفخ شفرا المهبل، وإضافة إلى انتصاب البظر يترطب المهبل كله بالترشحات المخاطية فتعلن عن تأهبها بتسارع أنفاسها وطلبها الإيلاج من الزوج.

ويزداد ضربان القلب عند الرجل وتتسارع أنفاسه بعد القذف لتعويض نسبة الأوكسجين المنخفض في الدم بسبب استهلاكه أثناء هذه العملية وسرعان ما تظهر آثار انخفاض نسبة الأوكسجين في حالة القذف الكاذب (كالاستمناء) بسبب انعدام الدفاعات الجسمية التي أشرنا إليها؛ إذ يشرح أحدهم أنه يصاب بحرقة في الدماغ أو بزيادة عاتية في ضربان القلب أو بالبرد في أسفل الظهر حيث الكليتين عند ممارسة الاستمناء، والسبب يكمن في انهيار التنبه المتوازن في هذه الحالة على العكس من الإنعاظ المتأتي من الاستجابة للاستدعاءات التهييجية التي تثيرها القاعدة المتمثلة بالجنس المغاير حيث تتطبع خلاله هذه التذبذبات في النشاطات الحيوية بالاعتدال مما يكفي الفرد شر الأعراض المشار إليها وكذلك ما لم تسنح الفرصة الاشارة اليها، وتستثنىٰ من هذه القاعدة المضاجعات المفرطة كما سأشرح لاحقاً.

والقذف ليس مما يختص بالرجل بل تشهده المرأة أيضاً إذ أنها بعد احتقان جهازها التناسلي وترطّب المهبل وإنعاظها تعرب عن أنها أمنت أي انتهت من مرحلة الإنزال، وسأتطرق لهذا الموضوع ورأي الاسلام فيه أيضاً.

كما نشير هنا إلى احتباس البول بعد الجماع أحياناً نظراً لانـخفاض نسبة الماء في الجسم بسبب ما نفذ منه خلال إفراز الترشحات المرطبة للأعضاء التناسلية أو إثر زيادة التعرق، وهنالك أيضاً التطورات الأيضية الحاصلة في الدم وسائر أعضاء الجسم وهو موضوع خارج عن نـطاق بحثنا هذا.

والغاية من التطرق لهذا الموضوع الذي استهدفته الكـتب الخـاصة بصحة التناسل هي التنبه إلى ضرورة استحصال رضا الزوجـة وإثـارتها حسياً ونفسياً ـكما أوصتنا التعاليم الإسلامية المؤكدة من خلال أحاديث كثيرة نوهنا إلى بعض منهاـ، والحكمة من هذه الضرورة تقضي بإعدادها الظروف المناسبة لإنسال جيل أرقى.

التقبيل والمنبهات الأخرى

إن الحاسة الذوقية هي الوسيلة الوحيدة التي يتشبث بها الطفل الوليد لمعرفة كل شيء ولهذا يلجأ إلى وضع جميع الأشياء في فـمه، فـذهب فرويد إلى القول أن القوى الجنسية لدى الوليد تتركز في فمه وأن شفتيه أول منطقة شهوية تتركز فيها هذه القوى وهي أسلوبه الوحيد للارتباط بالعالم الخارجي، إنه يلتذ بمص الثدي (حسب رأي فرويد) والتغذي منه وبهذا يستحصل الشعور بالارتياح، وتعتبر هذه المرحـلة القـاعدة التـي تنبثق منها عواطفه ومشاعره، من قبيل المشاعر الجـنسية، وفـي حـالة حرمانه من مص الثدي والتغذي منه يرنو غريزياً إلى تصنع مص الثدي بأسلوب غير طبيعي، ولهذا يعتبر الشباب ممن يعانون من نكوص الأهواء

الثدي من أفضل الأعضاء الجنسية لدى المرأة.

ثم تظهر لديه الأسنان (٦ أشهر ـ ٢٤ شهراً) فيلتذ بالعض وتنهاه الأم وتتكرر هذه النوبة الهجومية لديه نحو ٢٥٠ مرة يومياً في الفترة بين الثانية والرابعة من العمر، ويعود الشاب ـالذي تثبت على الطور الفمي (النكوص الشبقي) بسبب حرمانه من المص والعض في صباه ـإلى ممارسة هذه العادة (العض) أثناء العملية الجنسية.

وتذهب الآراء إلى أن الجهاز الهضمي من أقدم أعضاء جسم الكائنات الحية بأسرها لما للتغذية والعمليات الأيضية من أهمية أولية تتوقف عليها حياة الإنسان، ولهذا تعتبر تقبيل الشفاه وهي أولى المواضع الشبقية لدى الإنسان أكثر الأساليب شيوعاً لإعلان كل محبين عن حاجتهما إلى البعض، وكما يتعرفان في فترة الصبا على الأشياء عن طريق الحاسة الذوقية فإن كلاً منهما يدرك عند تلاقي أنفاسهما طعم ونكهة شفاه وفم الآخر فتنجذب الدائرتان المغناطيسيتان المتميزتان بأمواجهما الخاصة في دماغيهما، إثر التقاء قطبيهما الأوليين نحو مركز القوى الجنسية.

وتلي الحاسة الذوقية من حيث الأهمية، حاسة الشم. إن النساء على وجه الخصوص يدركن أهمية ودور النكهة إدراكاً كاملاً ويعلمن ان استشمام الزوج رائحة كريهة من الزوجة يخفف من رغبته فيها وهي تلاحظ انفتاح مناخير أنفه من أولى لحظات اقترابه منها بسبب تفعيل المراكز العصبية السمبتاوية وترشح الأدرنالين وبالتالي ارتفاع ضغط الدم آنياً وإفراز الترشحات التي تعمل على إثارة الجهاز التناسلي في نهاية المطاف.

ان النكهة الخاصة التي يمتاز بها كل من الزوجين تترك فائق الأثر في نفس الآخر من حيث نوعها، ولنا أن نعتبرها من المنبهات الجنسية. وتعي النساء كما ذكرت (وحتى الأميات منهن أو البعيدات عن العلم ونتائج أبحاثه) كل حسب شأنها دور رائحة الفم، الابط، النحر وشعر الرأس أو الضفائر.

ومما يهم المرأة من أمر الرجل إلى جانب نكهة فمه، رائحة يديه وقدميه ولهذا ترغب النساء في توسد يد أزواجهن وتعمد الكثيرات منهن لتقبيل يدي أزواجهن عند رفثهن بهدف استشمام رائحتهما.

وتشد الرغبة النساء لمداعبتهن من قبل أزواجهن بمسح أيديهم على وجناتهن ووجوههن لتسنح الفرصة لهن لإستشمامها، إلّا أن الرجال لا يشعرون بالرغبة في مسح وجوههم من قبل زوجاتهم بسبب عدم اهتمامهم برائحة أيديهن. إن القاسم المشترك بين الجنسين هو اعتناء الرجل برائحة الأعضاء الجنسية في المرأة والمرأة برائحة الخصيتين ولهذا يلجأ البعض من الفريقين لتقريب رأسه من المناطق التي يعنى بها في زوجه.

ولأكثر العطور دور في الإثارة الجنسية، ويبلغ اهتمام كل من الزوجين بالنكهة الطبيعية للآخر ذروته إلّا أن العطور بتغطيتها على الروائح المنبثقة من المناطق المصابة بالالتهاب وخاصة التهابات الجهاز التناسلي، تلعب دوراً سلبياً في حياة الإنسان وإهمال قضية الحفاظ على سلامته. ونعود إلى دورها في إثارة العواطف الجنسية فنرى الإسلام المتهم باقتصاره على القضايا المتعلقة بالحيض والنفاس والوضوء والصلاة، قد توغل في

الحياة وعمل على تنظيم شؤونها بدرجة من الدقة آلت بـه إلى تـحريم تطيب المرأة بالروائح الزكية عند خروجها إلى أماكن يتواجد فيها رجل غريب قد يشم رائحتها حيث أنها تلعن من قبل الملائكة في كل خطوة تخطوها، والسبب في ذلك يعود إلى تنبه الإسلام إلى الدور غير المباشر للعطور في استثارة الرجال من قبل النساء.

وا عجباه من القرآن إنه يثير الدهشة أكثر من هذا بتحريمه تـحدث المرأة بصوت يخرج في علوه عن نطاق حاجتها إلى التكـلم أو بشكـل مثير يرافقه تحريك الرقبة والرأس واليدين لأن مثل هذا الصوت من شأنه إثارة أطماع الجشعين ﴿فـلا تـخضعن بـالقول فـيطمع الذي فـي قـلبه مرض﴾[1].

إن الأصوات تنجم عن تأثر الأمواج الصوتية ـ المنبثقة إثر ارتـعاش الأوتار الصوتية في حنجرة الإنسان ـ بحركة اللسان والوضع الذي يتخذه في الفم إزاء بقية المكونات كالأسنان مثلاً، وهي (الأصوات) التي تـولد بتركيبها مع بعضها الكلام.

ونتاج الأصوات نوعان: قول وكلام. صحيح أن كليهما يؤدي المعنى المقصود به من كلمة «حـديث» ولكـنهما يـتمايزان عـن بـعضهما بأن الأصوات المتأتية من حركة الأوتار الصوتية المرتطمة باللسان وملحقات الفم على هيئة خاصة مولدة الحروف المسماة بحروف الهجاء بحيث تدل على معنى خاص تسمى «القول» بينما يطلق عليها «الكلام» إذا تـركت

---

١ ـ سورة الأحزاب، الآية ٣٢.

تأثيراً في روح المخاطب وقلبه وآلمته.

والجميع يعلمُ أن الأصوات لا تعتبر أمواجاً تنتج عن ارتعاشات صوتية بل أنها تنم عن الخصائص الانفعالية والاخلاقية أو التعليمية التي يتمتع بها الفرد ولهذا يحرم الإسلام أن يطرق صوت المرأة المتسم بـالخضوع مسامع الرجال لما في لحنه من أثر في تـهييج الرجـال. ونـرى بـالفعل تصرف الفتيان في الاحتفالات التي تتصنع فيها فتاة أو عدة فتيات مثل هذا السلوك، بنحو لا نألفه لديهم في سائر الحفلات واللقاءات الأخرى.

وتتطبع الأحاديث المتبادلة بين المحبين بطابع غريب وتفقد أسلوبها الرزين والشيق شيئاً فشيئاً باقترابهما من مرحلة الجماع لتتسم في النهاية بالركاكة وخروجها عن المألوف بينما تبعث الانزعاج لدى كليهما فيما لو لم تأخذ هذا المسار كأن يبدآ تسامرهما معاً بـالحديث عـن الأعـضاء التناسلية والممارسات الجنسية منذ البداية بدلاً من تعزيز المودة بينهما باستخدام الكلمات والعبارات الرقيقة واللطيفة، بينما يتم تبادل الأحاديث بينهما في نهاية المطاف (لا محالة) حول القضايا الجنسية وتحل الكلمات البذيئة والمستهجنة محل العبارات الغرامية والعادية.

والذي يثير الشهوة من الأصوات هو سماع الرجل الصوت الرقيق من المرأة، واستماع المرأة للصوت الغليظ الذي يصدر عن الرجل، فاستماع الرجل لصوت رقيق من رجل مثله أمر يرهقه لأنه يتوقع سماع مثل هذا الصوت من المرأة (لا الرجل) ويتأثر به من صميم قلبه، والمـرأة كـذلك يرهقها بل وينهك قواها عاجلاً إستماعها لصوت خشن يصدر عن امرأة وتبعاً لذلك يكون كلام المبلغين والمبلغات أكثر وقعاً في نفوس مستمعيهم

عندما يتسم بالطابع الرجالي أو النسوي الخاص بكليهما.

على أية حال إن ما أبغيه من ذكر هذه المعلومات تـزويد الشـباب المسلم لا سيما اولئك الذين عَزموا على الزواج قريباً بما يـلزمهم مـن المعلومات مع التطرق إلى التفاصيل العلمية التامة حولها، لتضفي عليهم اليقين بأن الإسلام ليس بعيداً عن شبهة عزل الدين عن السياسة فحسب بل أنه يمثل كل شيء بالنسبة للإنسان، يمثل كل شيء بالنسبة للمسلم، بالنسبة لكل من نبذ أدنى الشكوك عن نـفسه وتـيقن أن مـلف أعـماله الدنيوية لن يغلق أو يهمل بعد الوفاة بل تؤجل دراسته إلى الآخرة ليـتم إصدار الأحكام فيها من لدن العادل الأزلي.

لا ننسى هنا أن نذكر أن تطيب كل من الزوجين يثير ريبة كل منهما إزاء الآخر وأن حاسة الشم تلعب دوراً هاماً ومؤثراً في العلاقات الجنسية بين الحيوانات أيضاً وتصل فاعلية دورها لدى الكلاب إلى درجة أنـها تبادر إلى الوطء باستشمام كل منها عورة قرينه، وأن بـعضها يـدرك أن الوقت مناسب أو غير مناسب للإنعاظ باستشمام رائحة البول.

التعشق

نلاحظ أن كلمة «عشق» ومع كثرة استخدامها في الأشعار والمؤلفات الأدبية في جميع البلدان وبكافة اللغات إلّا أنها لم تذكر في القرآن ولو لمرة واحدة وقد أهملت علمياً من قبل المؤلفين في أيامنا هذه، وأصبح التصور العام مبنياً على أن العشق حاجة لا غير وهذا ما تـؤيده نـتائج

التحليل النفسي الذي يجريه الاخصائيون للعشاق وكذلك سيرة حياة الثلة المشهورة منهم، فأشعار عظام الشعراء تتخذ من قيس وليلىٰ رمزاً للتحابب والتعشق، والتاريخ يؤكد أن قيساً الملقب بـ «مجنون ليلى»، كان يهاب رحيل أبيه السقيم عن الحياة فيفقده ذلك زعامة القبيلة إذ يتقمصها أبناء عمه المغاوير وهم عدة، وهنا برزت لديه الحاجة إلى ليلى أو بعبارة أخرى إلى إخوتها البواسل ليناصروه في مواجهة أبناء عمه لكيلا يسلبوه زعامة القبيلة بعد وفاة أبيه.

على أية حال، العشق كلمة استقيت من اسم شجرة اللبلاب وهو «العشقة» (بفتح الحروف الثلاثة الأولى) ويلتف هذا النبات (خلافاً لسائر النباتات الاخرى) بشدة حول نبات آخر ويأخذ مساراً دورانياً من اليمين إلى اليسار متسلقاً ذاك النبات نحو الأعلى، والتعشق كذلك يعني التعلق بالآخر وحبه أشد الحب كما يفعل نبات «العشقة». وهو ما يؤول إليه حال الانسان بمحض وقوع الملامسة البدنية،الإثارة الحسية والنضوج الجنسي.

وخير مثال على ذلك ما نشهد الزوجين عليه في الفترة بين إبرام عقد الزواج والزفاف. وتظهر مشاعر العشق لدى الانسان مع بلوغه سن الحلم تقريباً وتبلغ ذروة أجيجها في سن الحادية والعشرين لدى الفتيان حيث تمارسه الأكثرية الساحقة منهم، ويتمادون في مدى الإتيان به كماً وكيفاً حسب درجة عصرنة بلدانهم!.

ومن أبسط أنواع التعشق وأكثرها شيوعاً في البلدان الغربية، التقبيل وتمارسه الشعوب الشرقية أيضاً على اختلاف ضئيل حسب مبادئها، وقد حرم الإسلام تبادل القبلات بين المرأة والرجل من غير محارمها ولكنه

تحريم أهمله بل استخف به مدّعو العصرنة ممن حطوا من شأن تعاليم دين محمد بن عبد الله ﷺ واعتبروها لا شيء قياساً مع الأعراف الغربية، فنرى المرأة في مطارات البلدان الاسلامية وهي تأخذ بتقبيل المصطفّين من الرجال الذين قدموا لتوديعها.

والنوع الأقوى من التقبيل هو المعانقة والتصاق الأبدان وقد سادت في البلدان الإسلامية لدى بعض العصريين من رواد بؤر الفساد.

وهنالك النظر إلى ثديي المرأة، مسحهما باليد، دعكهما ومصهما. ويهتم الغربيون كثيراً بهذه الممارسات ويولونها إهتماماً كبيراً لأنها من كبرى استدعاءات الإثارة لديهم، ويعود أحد أسباب هذه الظاهرة إلى صغر حجم الثديين لدى غالبية النساء الغربيات.

ومن أنواعه الأخرى إثارة قضيب الرجل من قبل المرأة بالتطلع إليه، دعكه أو مصه، وتبادر إلى مص القضيب في أكثر الحالات البواغي من النساء.

وترغب بعض النساء ـ كما ذكرت ـ إثارتهن بلعق أو مص فروجهن، وما لا يمكننا إطلاق اسم المداعبة والتعشق عليه طلب المرأة من كلبها أو حيوان آخر (في حالات نادرة) أن يلعق فرجها وترويضه على ذلك لتبلغ بذلك اللذة الجنسية.

والمثير للدهشة أن الفتيات اللواتي لم يرتبطن بعلاقات وثيقة مع الفتيان قبل الزواج أقل اندفاعاً نحو الممارسات غير المألوفة كالمص واللعق وقلما يسمحن بها لأزواجهن.

مبادرات ينبغي أن تسبق الجماع

يفتقد هذا الموضوع إمكانية التطرق إليه من وجهة النظر العلمية والدينية معاً لا بسبب اختلافهما بل لأن العلم لم يشق طريقه في هذا المضمار بعد، بينما تثبت الدين عليه وسنجد العلم عند توغله في هذا المجال وتوصله إلى معلومات ثابتة بشأنه، لا يأتي بأكثر مما تعلمناه من تعاليم ديننا الإسلامي الحنيف، لأن العلم كما ذكرت ينطق بأحاديث الانبياء على لسان بني البشر.

لم يلج العلم ميدان ما قبل الجماع واكتفىٰ في أبحاثه بالقضايا الجنسية الظاهرية والعلاقات السائدة في هذه المرحلة. فلنرَ ما يقوله الدين عنها:

يحذر الدين الأبوين وهما على أعتاب الإنجاب أن يعتبراه أمراً هيناً أو يسيراً أو أنه من الأمور التي يمكن تركها باتخاذ القرار بعدم الإنسال وقطع الذرية لأن الفطرة الإنسانية تنص دون التباس على امتلاك أبناء أسوياء وذرية صالحة. ويسارع الإسلام إلى دعم اتباعه بما يستلزمهم من إرشادات، أوامر ونواهي في تعاليمه أينما اتفقت الآمال والأماني مع متطلبات الفطرة ومنها الرغبة في إنجاب ذرية صالحة. فأدنىٰ خير يكتنزه قلب الإنسان يأتي عليه بخير وفير ﴿إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يؤتكم

خيراً﴾[1]، وبأدنى التزام بالتعاليم الالهية أو التوجه إلى الباري تبارك وتعالى بالدعاء ليهب لنا ذرية صالحة وسليمة نكتسب كفاءة استجابة الدعاء وبذل العطاء. وقد يرقى هذا العطاء سلم السمو حتى يتجسد في ولادة السيد المسيح عليه السلام والسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، على سبيل المثال.

وما يؤكد عليه الدين وسيثبت العلم دوره في المستقبل هو ضرورة الاهتمام بنمط تغذية الأبوين قبل انعقاد نطفة الأبناء لتتم هذه العملية وفق قواعد ارتآها الإسلام وتتطابق مع النظام الفطري، ولا تتأثر مسيرة انعقاد النطفة إلّا بما شاء الله لها.

يجب أن لا ننسى الشعار المرفوع «تستلزم التنشئة الصالحة أباً وأُماً طيبين قبل انعقاد النطفة ثم اباً وأُماً طيبين في فترة الحمل» بينما نعلم حقيقة اشتراك الأب والأم بنحو مماثل في بناء النطفة التي تتكون من ذرة انثوية (بويضة) معدة من قبل في جوف (مبيض) الأنثى بينما الذرات الذكرية يجب إعدادها إبان انعقاد النطفة. والنباتات تحتفظ ببويضاتها في مدقة الزهرة، وتحتوي ثمار كالرقي، البطيخ، الخيار و... الحب في داخل الثمرة وكذلك الأسماك والدواجن تحتفظ إناثها ببويضات سبق تكونها خلافاً للذرات الذكرية التي تقوم الأسدية في أزهار النباتات والأعضاء الذكرية في الحيوانات بإعدادها وتغيير هيئتها تأهباً للتلاقح.

إذن يتغير وضع النطفة المتكونة حسب هيئة ودرجة استعداد الذكور، مستواهم التربوي، سلوكياتهم، نمط تغذيتهم والأجواء الاسرية التي

---

١ ـ الأنفال، الآية ١٧٠.

ترعرعوا فيها، وفي فترة الحمل يأتي دور التربية، السلوك، التغذية والأجواء الاسرية الخاصة التي تطبعت عليها الأم وهذا ما يدعونا للتشديد على دور الأب قبل انعقاد النطفة وتمجيد دور الأم في فترة الحمل.

والأمر الآخر الذي لابد لنا من التطرق إلى شرحه هو ما تذكره الآية الآنفة من أن الله (بعظمته وكبريائه) إن وجد وميضاً من الخير في قلب الإنسان (مع صغر شأنه) يدر عليه خيراً، وإنها قاعدة تتحكم بجميع القضايا في بدايتها وطليعتها وأولها ومبدئها.

وقد ذكرت في المجلد السابق دور الأولية والأقدمية وأهميتها وقد لاحظنا كيف تطرق القرآن الكريم إلى ذكر أول قوم مارسوا اللواط دون غيرهم وكيف تعرضوا لعذاب الله والدمار والهلاك، وكيف ذكر أول حادثة قتل شهدها التاريخ البشري بين قابيل وهابيل، أول بيت تم إقامته وكيف...، أول عضو ينشط في بداية ارتباط الشخص مع العالم الخارجي وهو كما يذكره الله القلب النابض والعديد من الأمثلة الأخرى التي جاء بها القرآن في الآيات:

﴿يهدي إليه من أناب﴾، من يطلب الهداية من ربه يهديه الله وهي بداية مسيرة الحياة الطيبة.

﴿وما يضل به إلا الفاسقين﴾، الضلال أيضاً ينشأ في مبدئه من طلب استحصاله والاندفاع نحوه.

﴿إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً﴾ تجمل الحالات جميعاً في عبارة واحدة. فالقلب هو الذي يحدد وجهة الدماغ بما يوجهه إليه من

إيعازات فإن كان الباعث خيراً يعم الخير درب الإنسان وحياته في جميع الحالات. وهذا ما يـؤكد ويـبين دور التـغذية الأولى أو الجـماع الأول وغيرهما من بدايات تستهل عملية الإنجاب. والإنسان معروف بـخياره وهو مجبل على الاختيار.

نعود إلى المتزوجَيْن، لقد عزما على الإنجاب لينجوا من الوحدة واتفقا لتكون لهما ذرية تخلد ذكرهما بعد رحيلهما عن الحياة، وينظم أكثرهم حياته وفق برنامج مسبق واتفاقات خاصة ومراسيم معينة، فالشهر الأول شهر عسل وقد شرحت أسباب هذه التسمية في المجلد الخـامس، ثـم يقضيان عدة أشهر عـاشقين ثـم يـخفت لهـيب الغـرام بـينهما ليـصبحا متحاببين وأخيراً بعد ثلاثة أشهر يغديان في العوائل السـليمة صـديقين ويعيشان في بـعض الحـالات وكأنـهما أخ وأخت ولكـن هـنالك مـن المتزوجات من تستشعر مضايقات الوحام بعد فـترة قـصيرة مـن ليـلة الزفاف ولا تتجاوز الفترة الزمنية بين ليلة زفاف مثل هؤلاء الأشخاص ومراجعة مستشفيات ومراكز الولادة التسعة أشهر.

ويلتزم العلم الصمت إزاء القضايا قبل انعقاد النطفة حيث يكف عـن طرح الفرضيات والنظريات بينما يتمادى الإسلام في استعراض تفاصيلها وكأنه يعد مرحلة قبل انعقاد النطفة أهم مرحلة من حياة الأجيال.

وقد أولى المقربون إلى الله تعالى هذه المرحلة إهتماماً خاصاً مع أن النظام الإلهي قد وفر لهم ظروفاً خاصة واتسم أبواهم وكـذلك أنـفسهم بأعلى درجات الصلاح والاستقامة، وذكر القرآن أيضاً ما يكفي من أمثلة وتوضيحات حول هذه القضية واحتفت الروايات الإسلامية احتفاءً تاماً

بها.

نطالع في القرآن الكريم أن حنة امرأة عمران بن ماثان بن فاقود وهي أم السيدة مريم العذراء عليها السلام نذرت جنينها لتضعه بعدئذ في خدمة المعبد ولكنه ولد أنثى والأنثى بما لها من شؤون كالطمث و... تعرقل مبيتها في المعبد، قالت امرأة عمران أن الله أدرىٰ بما يهب من مواليد وليس الذكر كالأنثى فسمتها مريم وتعني هذه الكلمة باللغة الدارجة عندهم الأمة المتعبدة ﴿إذ قالت امرأة عمران رب إني نذرت لك ما في بطني محرراً فتقبل مني إنك أنت السميع العليم. فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثىٰ وليس الذكر كالأنثىٰ وإني سميتها مريم وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم﴾[1].

فاستجاب الله دعاءها وأنشاها خير نشأة ﴿فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسناً وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم أنّىٰ لك هذا قالت هو من عند الله إنّ الله يرزق من يشاء بغير حساب﴾[2].

---

١ ـ آل عمران، الآيتان ٣٥، ٣٦.

٢ ـ سورة آل عمران، الآية ٣٧.

مرحلة ما قبل انعقاد النطفة

سنشرح هنا مضامين الآيتين المذكورتين باختصار: المضمون الأول في ﴿فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسناً﴾ أي أنها عندما بدأت حملها بالدعاء إلى الله بنية خالصة، استجاب الله لدعائها خيراً.

تلاحظون أن القرآن الكريم يربط في المرحلة الأولىٰ بين الإنجاب ووضع ونشأة الأم عندما تذكر الآية أن الله استجاب لدعاء الأم (أم السيدة مريم) إستجابة حسنة فأحسن نشأة جنينها.

كم هو رائع وجميل هذا المثال وإن كان البعض يتصور أن القصص والأمثلة القرآنية رمزية ويرى البعض الآخر أنها حقيقية وأنا أؤمن أنها تتضمن الحالتين معاً (الرمزية والحقيقية).

المضمون الثاني هو قانون الوحدة الذي يتحكم بحياة الكائنات جميعاً ويتجسد التوحيد في كافة نواحيه ومن مؤشراته وجود قاسم تكويني مشترك بين مجاميع النباتات وبين بني البشر. فلو هطلت الأمطار باستمرار على أرض خصبة تنبت فيها النباتات والأشجار البرية بشكل عشوائي غير منظم فتكون متراكمة في محل ما مكونة الغابات والحدائق

ومبعثرة في محل آخر. فلو شاء لها القدر أن يعتني بها بستاني فينظمها ويهتم بسقيها وتغذيتها، يتمكن الانسان عندئذ من الاستفادة على أفضل وجه ممكن منها.

وبنو الإنسان كذلك خلقوا بكثرة فلو لم ينعم الله عليهم ببعثة الانبياء وواصلوا حياتهم اعتباطياً يقضون نهاراً ثم ليلاً وهكذا دواليك، يتناولون طعاماً ويمارسون نكاحاً ويترجلون سيارات أو يقلون طائرات في تنقلاتهم متمثلين بالأشجار البرية في الغابات، ولكن الله عز وجل بعث رسله لينظموا رياض الإنسان ويصقلوا شوائبها باستئصال بذيئها ويعززوا التربة لتنمية مثمرها وهذا ما دعا النبي نوحاً عليه السلام ليتضرع إلى الله طالباً منه هلاك قومه عندما أدرك أن الفساد عمّ نسلهم جميعاً ﴿.. ولا يلدوا إلّا فاجراً كفاراً﴾[1].

إذن سعى الأنبياء لسقي ما يستحق السقي ودعم التربة المرغوبة بالأسمدة ومستلزمات النمو ليهيئوا الظروف المواتية للعناصر الخفية في داخل التربة وفي جوف البذور فتثمر العناقيد اليانعة والفواكه اللذيذة، ولهذا شاء الله أن تنمو السيدة مريم العذراء عليها السلام على خير وجه لتتهيأ الظروف المناسبة لظهور السيد المسيح عليه السلام، وهو روح الله ونبيه ورسوله.

إن رحم مريم مثّل التربة التي شاء الله ان يغذيها (كما يهيئ البستاني الأرض للزراعة) ويعدها لتنشئة نطفة من روحانية روح القدس ويطعمها من طعام من الجنة، ولهذا كان زكريا كلما يرد محراب السيدة مريم يجد

---

١ ـ سورة نوح، الآية ٢٧.

لديها طعاماً مع أنه أحكم إغلاق الأبواب بالأقفال مـن قـبل ولم يكـن هنالك من يأتيها بطعام، ولردع الشبهات عن هذه الفتاة المتعبدة كان ذلك الطعام ليس مما يكون في متناول أيدي الناس أي أنه طعام صيفي فـي الشتاء وطعام شتوي في الصيف.

ومما كان ينزل على مريم عليها السلام فاكهة لنا أن نعرف نوعها بـمراجـعة الآيات القرآنية، لقد تطرقت في المجلد السابع إلى شرح خصائص التمر والعنب عندما أشرت إلى تفسير الآية ﴿تـتخذون مـنه سكـراً أو رزقـاً حسناً﴾. وكانت البلاد التي تقطنها السيدة مريم معروفة بزراعة العنب في الوقت الذي يلتذ بالتمر أهالي البلاد المعروفة بإنتاجه، ويأتـي أكـثرية المفسرين على ذكر روايات تؤكد أن العنب كان من الطعام المنزل على مريم من حيث لا يدري الناس (الجنة). إن هذا الموضوع من القضايا التي تحدد النظام الفكري في الدين والمذهب فلماذا يا ترىٰ شاءت الحكمة الإلهية أن تدخل عناصر مثل الرزق الحسن (المتمثل بالعنب) في بـناء النطفة؟.

هنالك موضوعان يجب أن لا نغفل عن ذكرهما، أحدهما ما جاء في الآية الشريفة ﴿والله أنبتكم من الأرض نباتاً﴾[1] التي تشبه نمو الإنسان وتنشئته بنمو النباتات ولكن نمو السيدة مريم وترعرعها كان اسـتثنائياً بسبب اصطفائها من قبل الله حيث تم على «وجه حسن»، وقد شرحت في المجلدات السابقة أن الحسن ما يتضمن خيراً لا متناهياً.

---

١ ـ سورة نوح، الآية ١٧.

والموضوع الآخر هو الاهتمام بإنسال ذرية لائقة تتأثر في بداية تكونها بوضع الأم (أم مريم) وقد سألت الله أن يهبها ذرية صالحة فأنبتها نباتاً حسناً لتهدي ثمرة مثل النبي عيسى عليه السلام إلى البشرية وتفيض عليها بخيره.

والقصة الأخرى التي يمكننا الإشارة إليها في هذا السياق تتعلق بخاتم الانبياء والمرسلين نبي الاسلام الكريم محمد صلى الله عليه وآله، إنه واصل التغذي أربعين يوماً قبل انعقاد نطفة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام من طعام منزل من الجنة وكان يوصي السيدة خديجة بمراعاة إرشاداته. فتمعنوا فيما أقول: هل من الممكن أن يتناول نبي الرحمة صلى الله عليه وآله طعاماً فيه ولو أدنى ضرر أو تم منع تناوله تكوينياً أو تشريعياً؟! وهل كانت السيدة مريم عليها السلام ترنو إلى أكثر مما تتطلبه طاعة الله التي تستهدفها؟ وهل يحتمل أنها تناولت طعاماً يخرج عن نطاق ما حلل وطاب للإنسان ليتنزل عليها طعام من الجنة؟!

لا، ولكن كون الأب النبي محمد رسول الله صلى الله عليه وآله أو ما تنزل من روح القدس يتطلب بناء النطفة على هيئة خاصة وخارقة وفق ما يتلاءم مع حدود القوة الروحانية التي يتصف بها العامل المولد ولهذا حكمت المشيئة الالهية أن يتغذى الرسول محمد صلى الله عليه وآله والسيدة مريم عليها السلام من طعام تنزل من الجنة لينجبا فاطمة الزهراء والسيد المسيح عليهما السلام.

وفي الحالة الأولى يكون الموضوع إنعقاد نطفة سيدة نساء العالمين النبتة النامية من التغذي بطعام من الجنة والمترعرعة لتكون جديرة بالاقتران برجل السياسة والدين الإمام علي عليه السلام ولتتحلىٰ بشخصية

تؤهلها لمواصلة التغذي من هذا الطعام لتمد بنفحه وبركته نطفتي الحسن والحسين عليهما السلام وليتسلمها الإمامان الهمامان ويتناقلها أبناؤهم عليهم السلام وصولاً إلى الحجة بن الحسن (أرواحنا له الفداء)، وهذا ما يدعو ألسنتنا لتلتهج بذكر «**كنتم نوراً في الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة**». وكأن أجهزتهم التناسلية ـ رجالاً ونساءـ كانت تحتوي نوراً يجب أن ينتقل من القوة إلى الفعل. والقاعدة نفسها تنطبق على ولادة السيد المسيح عليه السلام.

روى جابر بن عبد الله الأنصاري أن الجوع اشتد بالنبي صلى الله عليه وآله ذات يوم فأتىٰ دار الزهراء عليها السلام وسألها إن كان لديها طعام تطعمه به فأجابته بالنفي وكان زوجها وولداها عليهم السلام جائعين، وبعد هنيهة جاء أحد الجيران برغيفين وقطعة من اللحم فأرسلت فاطمة الزهراء عليها السلام إلى أبيها من يدعوه للطعام فأقبل. وعندما رفع الغطاء عن الوعاء وجد فيه رزقاً وفيراً.

فقال الرسول: يا ابنتي أنّىٰ لك هذا؟ قالت: هو من عند الله. ان الله يرزق من يشاء بغير حساب. فأردف الرسول صلى الله عليه وآله قائلاً: الحمد لله الذي لم يخرجني من الدنيا حتى أراني ما رأى زكريا في مريم ﴿**كلما دخل عليها المحراب وجد عندها رزقاً، قال: يا مريم أنّى لك هذا؟ قالت: هو من عند الله، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب**﴾[1]. ثم نادى الرسول صلى الله عليه وآله الإمام علياً ونجليه الحسن والحسين عليهم السلام وتناولوا الطعام معاً.

ومن الأمور الأخرى التي تلفت النظر في هذا الآية ولم تتناولها الكتب بالبحث قط هو أثر الطعام في النطفة المنعقدة أثناء فترة التغذي به. لقد كنا

---

١ ـ سورة آل عمران، الآية ٣٧.

نسمع في السنين المنصرمة عن مراسيم خاصة يتبعها المزارعون قبل مبادرتهم لزراعة المنتوج المعروف عن مناطقهم إنتاجها له حيث تتم عن احتفائهم وتمجيدهم للتربة والمزرعة لأنهم يؤمنون أن التربة تأبىٰ عن إنبات ثمار طيبة ما لم تتحسس حب الإنسان لها واحتفاءه بها شفاهياً إضافة إلى الجانب العملي. وقد شرحت سالفاً أن العلم العصري قد أثبت صحة هذه المعتقدات السابقة وأضفت أن التعاليم الإسلامية تتقدم على العلم من هذه الناحية، ومما يؤيد ما أذهب إليه هو:

ان إعداد منتوجات من الجنة ووضعها في متناول يد سيدة نساء بني اسرائيل وخاتم المرسلين له تفسير آخر أشير إليه لعل الأجيال القادمة تتوغل في معرفته بشكل كامل: أليست الجنة والآخرة ملكاً لله وحده مالك يوم الدين وفيها من النعم ما تتمتع بالسمات الحياتية والجمالية والكمالية و... وتتكيف لتتلاءم مع مصداق «إلى الله المصير» في عالم الخلق. إذن ما دامت الكائنات جميعاً تسير سيراً تكاملياً مع مسيرة الصفات الالهية التي تتجلىٰ في الآخرة بما يتجسد في الجنة من صفات الكمال، الجمال والحياة و... إذ نرى أن جدرانها ناطقة أيضاً فإن منتوجاتها أيضاً تتأثر وتتطبع بهذا الطابع وتترك تأثيرها في غيرها من الأشياء.

وأود أن أقول أن الفاكهة التي يزرعها فلاح صالح سوي يبدأ حرث الأرض باسم الله ويسقيها ويرعاها باسم الله ويحصد ثمارها كذلك باسم الله ويقوم بتربيتها ومتابعة نموها بمنتهى الإنسانية والرأفة، مثل هذه الفاكهة تختلف في سماتها عن الفاكهة التي يحصدها مزارع فاسق فاجر

وإن مدها بالأسمدة المحسنة وسقاها علىٰ أفضل وجه وحصد منها حصاداً كثيراً فالأولى (منتوج الصالح) تتباين في تأثيرها على نفس متناولها، عن حصاد يد الفاسد وإن كان من يتناولها يجهل ذلك ولا يعرف طبيعة المزارع.

إن المزارع الذي يتحدث مع مزروعاته ويرعاها يلقى منها تأثراً ووعياً يؤدي إلى نموها مادياً فتنضج يانعة لذيذة، فهل يا ترى يعود السبب في ذلك إلى تسبيحها وتهليلها وتكبيرها ذاكرة اسم الله وانسجام هذا التسبيح والذكر مع تسبيح المزارع وذكره اسم الله بشكل متواصل؟ يبدو أنه مثلما يرقى النضج المادي للنباتات كلما ازداد بذل العناية المادية لها فإن التسبيحات والرعاية المعنوية كذلك تضفي على النباتات من صفات مزارعها ما تقوم بانتقاله إلى متناولها.

الجدير بالذكر أن الأبحاث أثبتت مؤخراً أن النباتات والمزروعات تشارك مزارعها مشاعره في أفراحه وأتراحه.

إن التفاحة التي يتناولها الإنسان من يد سلمان الفارسي وبسبب تأثر الفطرة البشرية بقانون الاحتفاء بالأبرار، تختلف في تأثيرها عن تلك التي يتناولها من يد فاجر، حيث يؤول تناول الأولى إلى الخير والثانية إلى غير ذلك. الموضوع هنا يختلف عما ذكرنا قبل قليل، وهو يتمحور هنا حول تباين الفاكهة في تأثيرها على جسم الإنسان لو تم ابتياعها من بائع كسلمان الفارسي أو من فاجر فاسق ـ في حالة جهلنا مزارعها ـ وربما يتمادى اختلافها إلى تأثيرها الفسيولوجي أيضاً.

إن الخالق المجازي يحب مخلوقاته سواء كان المقصود به نسله أو

منضدة صنعها، وإن كانت حاجته إلى المنضدة قد تلبىٰ بمنضدة أخرى من صنع يد غيره ولكنه يرغب في مصنوعه ومخلوق نفسه لأنه يشعر بانتقال صفاته إليه إبان صنعه حين كانت الأدوات والمستلزمات والألواح تتحرك بين يديه عندما استخدمها في صناعة المنضدة. إذن يوحي كلا الصالح والطالح بتأثيره إلى منتوجاته أو مصنوعاته.

وكذلك الله سبحانه وتعالى وهب سائر مخلوقاته ومصنوعاته من صفاته الذاتية حتى وصل كرمه مع بني الإنسان حداً شاء فيه أن يجعل هذا المخلوق خليفة له يمثله في إيحائه للتربة والنباتات و... ومنحها مما اكتسب من باريه.

ما ينبغي تناوله من طعام

لقد استجاب الله للنبي ابراهيم عليه السلام دعاءين، الأول: ﴿وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله...﴾ أي أن يدر برزقه على وادٍ غير ذي زرع الذي أسكن أهله فيه، والآخر عندما توجه بالدعاء إلى الله ليجعل من ذريته ائمة ﴿.. قال ومن ذريّتي قال لا ينال عهدي الظالمين﴾. فكل من ذريته وبدرجة ومدى ابتعاده عن الظلم نال درجات الرقي والسمو وعلى رأسهم سيد الانبياء وخاتم المرسلين صلى الله عليه وآله، وكذلك رزق المرء أو حصاده من الثمرات والفاكهة يزداد وفق المشيئة الالهية حسب درجة إيمانه حتى تنزلت ثمرات من الجنة رزقاً لمحمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وعلي بن أبي طالب والحسن والحسين والسيدتين فاطمة ومريم عليهما السلام.

وما يهمنا في موضوع بحثنا هذا هو نوع الفاكهة التي تنزلت رزقاً على مريم إبان حملها والذي حدده المفسرون بالاتفاق أنه العنب. وقد نوهت في المجلد السابع أن العنب وإضافة إلى ما يحتويه من عناصر وفيتامينات فإن عصيره يشبه ويماثل حليب الأم من حيث القيمة الغذائية:

المواد	نسبتها المئوية في عصارة العنب	نسبتها المئوية في حليب الأم
الماء	٧٥ـ٨٣	٨٧
المواد الآزوتية	١,٧	١,٥
المواد المعدنية	١,٣	٠,٤
سكريات ولزوجة وغيرها	١٢ ـ ٢٠	١١

وذكرت في المجلد ذاته الأدلة الكافية لإثبات أن العنب هو ما يمكن إطلاق اسم الطعام عليه إلى جانب كونه فاكهة ويحل بدلاً عما يتحلل ويعوض عن الطاقة المتحررة من تناول الطعام أيضاً.

إن العنب ولتمكنه من المحافظة على توازن المواد القليائية والحامضية في جسم الإنسان ونظراً لأهمية التطورات الأيضية في مرحلة الانقسام التي تمر بها النطفة فإنه يلعب دوراً هاماً في تحديد نمطها، وسأشرح أثر البيئة في تحديد نوع الجنس وسجاياه إذ سيتمحور جل بحثنا حول الغذاء والطعام. فالسكريات والعنب مثلاً هي غذاء الدماغ والأعصاب.

ونحن نعلم أن الدماغ هو من الأعضاء التي تبدأ نشاطها بعد فترة

وجيزة جداً من زمان انعقاد النطفة ويحتمل بروز الاختلالات في تطور أجزاء الدماغ في حالة نقص المواد التي يتغذى منها فيولد الطفل يعاني من عجز دماغي لأن الدماغ عندما يعاني من نقص في المواد الغذائية التي أثبتت الأبحاث حاجته الماسة إليها في المراحل البدائية من الحياة، يكون أكثر من سائر الأعضاء الأخرى عرضة للإصابة بالأمراض المتنوعة وبالأعراض الأميبية في الوقت الذي تعتبر التغذية الصحيحة والطعام المغذي من أفضل عوامل دعم الدماغ في نشاطه الحيوي، فيكون نضوج الدماغ في المرحلة الجنينية سريعاً وتاماً كما يمتاز تطوره بعد الولادة أيضاً بهذين المؤشرين، مؤشر السرعة والكمال، ويصل نضوج الدماغ في الطفل البالغ أربعة أعوام من العمر إلى ٩٠٪ من نضوجه عند بلوغه الحلم بينما يكون تطور بقية أعضاء الجسم ٢٠٪، ويبلغ وزن الدماغ إبان البلوغ «١٤٠٠» غرام أي نحو ٢٪ من وزن الجسم بشكل عام ووزنه في الجنين في الشهر السادس من الحمل «٧٥٠» غراماً وفي الطفل في السنة الأولى من عمره «٩٧٠» غراماً وفي السنة الثانية «١١٥٠»، والثالثة «١٢٠٠»، والسادسة «١٢٥٠»، والتاسعة «١٣٠٠»، والثانية عشر «١٣٥٠»، وعند بلوغه العشرين من العمر «١٤٠٠» غرام. وفي اليوم السابع عشر من الحمل يتكون لدى الجنين القسم البدائي من الأعصاب وبعد يومين. القسم الأساسي من الدماغ ومكونات الحاسة البصرية والجهاز العصبي المركزي[1]، وكل هذه التطورات الجنينية من شأنها التأثر

---

١ ـ أي الدماغ (Brain) والحبل الشوكي (Spinal cord).

بالعنب.

وربما تكون الغاية من تنزل طعام شتوي في الصيف وطعام صيفي في الشتاء على مريم هو توفير العنب لها في فترة حملها ولو لم يكن في موسمه، أما السكر الذي تناولته بعد الولادة فكان ما يحتويه التمر ﴿...تساقط عليك رطباً جنياً﴾[1] الذي حل محل العنب بالنسبة للوليد بما ينتقل من السكر إليه عن طريق الحليب. وقد أسهبت الحديث عن علاقة العنب والتمر بعملية تكون الدماغ والأعصاب في الجنين في المجلد الخاص بالغذاء وكلها أمور تدل على الإعجاز القرآني. فسحقاً لمن يدعي أن الدين الإسلامي بمعزل عن السياسة، وقد أشرت إلى زيف دعاواهم عندما تحدثت عن علاقة الدين بالحياة وتعاليمه بشأنها في ليلة الزفاف وإبان الولادة.

وقد يؤدي سوء التغذية في فترة الحمل إلى ولادة الجنين مبكراً ويرتفع معدل الوفيات بين المواليد غير المتكاملين بسبب ولادتهم المبكرة وهذا ما يؤكد وجود صلة بين طول العمر ومدى تطور الدماغ.

أرغب هنا في الإشارة إلى موضوع يخرج عن نطاق هذا البحث وهو:

هنالك صلة وثيقة بين العقل والعلم ﴿وما يعقلها إلّا العالمون﴾ وبين العلم والتقوى ﴿واتقوا الله ويعلمكم الله﴾ وبين المعرفة (قوة التمييز) والتقوى ﴿إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً﴾. إذن العقل والعلم والتقوى

---

١ ـ سورة مريم، الآية ٢٥.

عناصر مجموعة واحدة، ولم تكن تسمية العقل بالرسول الثاني أو الرسول الباطني أمراً اعتباطياً. ويحتل الرسول الأول (الظاهري) الصدارة من حيث احتفاء تعاليمه بالعلم، والعقل والتقوى، ولهذا تعتمد تلك الاستدعاءات العقلية وهذه التعاليم الدينية في نهجها على تطور الدماغ باعتباره أسلوباً من أساليب المعرفة.

لو انخفضت نسبة البروتينات في طعام الفئران من ٢٧ إلى ٢٥٪ يتحدد عندئذ ولادة المواليد من ذوي الوزن الطبيعي بنسبة $\frac{٢}{٣}$ وتضمحل ٠,١ من خلايا الدماغ لديهم قياساً مع الفئران السليمة من النوع المماثل وتبدي هذه الفئران عدم تكيفها وتواؤمها مع البيئة بعد ثلاثة أشهر من ولادتها. المشيمة لدى الفئران الأم تكون في هذه الحالات صغيرة وأقل وزناً أيضاً.

والفترتان: من الأسبوع الخامس عشر وحتى العشرين من الطور الجنيني ومنذ الأسبوع الخامس والعشرين بعد الولادة وحتى نهاية السنة الثانية من العمر، تعتبران فترتي نمو وتطور خلايا الدماغ وازديادها. ولكن لماذا قضت المشيئة الإلهية أن تتناول مريم عليها السلام الرطب بدلاً من العنب عندما داهمتها آلام المخاض (الطلق)؟ ألأنه يخفف من وطأة هذه الأوجاع أم لأنه يؤدي إلى زيادة إفراز الحليب؟.

ويتأثر جمال الطفل إيجابياً بالمواد الحاوية على الكلوروفيل والحديد أيضاً. وكذلك الحليب، الزبد والأغذية التي تعتبر من مصادر فيتامين أ وما يحتوي منها على النحاس أثبتت تأثيرها في هذا المضمار.

هل تتصورون أن الإسلام غفل عن هذا الموضوع ولم يذكر شيئاً عن العلاقة بين التغذية وحمل المرأة وتأثيرها في إضفاء الجمال على الطفل؟ أكتفي للإجابة على هذا الاستفسار بالقول: دعوا فكرة عدم تطرق الإسلام ولو لصغرى الشؤون الحياتية للذين يزعمون أن الدين بمعزل عن السياسة.

تناول عزيزي القارئ مؤلفاتي عن الغذاء، لك أن تطالع المجلد الثالث (الخاص بالصوم) وحتى المجلد العاشر من هذه السلسلة لترىٰ براعة الأحاديث التي تشير إلى العلاقة بين التغذية وجمال الأم أو الجنين، وتحدد نوع الطعام الذي يساعد على زيادة التعقل حتى لدى الراشدين الذين أتمت أدمغتهم مراحل التطور والنمو وترسخت على وضع لا يتغير، فهل من المعقول أن تمتنع هذه المصادر عن ذكر الأغذية التي تمد الدماغ بما يضمن تطوره لدى الأجنة؟. إن أهم ما تطرقت إليه في هذه المؤلفات هو دور العنب لا سيما في غير موسم زراعته وأهميته للمرأة الحامل وفاعلية التمر في التخفيف من آلام المخاض كما نوه القرآن بذلك.

وللعنب كذلك القدرة على مكافحة المكروبات، ولكل من أجزائه خواصه الخاصة به، فحبه يحتوي على مقدار وفير من الفيتامينات ما تؤمن حاجة جسم المرأة في فترة الحمل والوضع.

ولا نقصد مما ذكرنا أن العنب وبسبب تميزه بخواصه الآنفة الذكر كان دليلاً على احتفاء الله بالسيدة مريم عليها السلام بل نعني ان الله أنزل عليها العنب

والتمر اللذين اعتبرهما رزقاً حسناً ليهيئ الأرضية المناسبة لانعقاد نطفة السيد المسيح عليه السلام في رحم أمه ويمده بما يلزمه لمواصلة الحياة (التمر) بعد الميلاد. وأقول أن العنب الذي خصه القرآن بالذكر وقضى الله أن يكون من فاكهة الجنة وأن يسد به حاجة أو بعض متطلبات الأنبياء عليهم السلام في هذه الكرة الأرضية ومنها إرشاد النبي نوح عليه السلام لتناوله عندما ألمّت به الأشجان والأحزان. وقد شرحت أسباب اعتبار العنب طعاماً حسناً في المجلد الخاص بالتغذية.

ومن المسلّم به أننا عندما نهمّ بالقلم فنخط به عدة أسطر بغية إثبات علمية التعاليم والقضايا التي ذهب إليها الدين الإسلامي منذ ما يناهز خمسة عشر قرناً نكون على يقين أن العلم سيؤكد منطقية الدين بشكل أفضل وبأسلوب أكثر علمية مما نسجله نحن بأقلامنا هذه وأن ما بادرت إليه هو مقدمة في سياق إثبات حقانية الإسلام، وليس لنا في هذا المجال أن نتمعن أكثر مما ذكرنا في شرح هذا الموضوع بل لابد من التعبير عن مدى عشوائية قول البعض بأننا نحن المسلمين قد اعتدنا للأسف مواجهة جميع اكتشافات الغربيين بالقول أننا كنا على علم بهذا من ذي قبل. بينما سلوكنا هذا مرده أبدية القرآن وخلوده وأنه لن يبلى أبداً بل تبرز قابليته العلمية مع ظهور أي اكتشاف ويعلن بثقة عند اختراق الفضاء من قبل الإنسان ووصوله إلى القمر أنه كان على علم بوقوع هذه الأحداث وأنه قبل العلم أكد أن أنثى العنكبوت هي التي تقوم ببناء بيتها وهذا ما يثبت صحته حرف التاء في كلمة «اتخذت بيتاً» كما شرحت مسبقاً، إلى جانب الكثير من القضايا والأمثلة الاخرى.

قضايا نفسية

يسرد علينا القرآن أحداثاً مر بها أحد الأنبياء، إنه أتى على أبـواب احكم إغلاقها ففتحها بمفاتيح كان يحملها معه ووقعت عيناه على الرزق المنزّل إلى جانب السيدة مريم عليها السلام فسألها: أنّى لك ذلك؟. إننا نـتوجه بالسؤال لكل من قرائنا الكرام إن كان على ثقة أنه معتكف فـي مكـان مغلق وأن الأبواب الموصدة لم تفتح أبداً ألا يتساءل إذا ما رأى طعاماً قد جيء به: من أين هذا وأن هذا الأمر عـجيب؟ فكـيف بـه لو كـان ذاك الشخص من أفقه الناس وهو نبي الله زكريا.

إن الغاية من ذكر هذا الحدث ليست الإشارة إلى أن زكريا كان يجهل الموضوع ومصدر الطعام المنزل أو يغفل أن الفتاة بريئة ومـتعبدة عـلى دينه، بل التنويه إلى الجوانب النفسية التي يتضمنها. على صعيد أدنىٰ من ساحة حياة الأنبياء يصادف أن يقول أحدنا لمتنعم من المتنعمين: يا لها من نعمة أغدق الله بها عليك، فيدفعه بعبارته هذه للإندماج فـي نشـوة التقدير والحمد على ما وهب.

يذهب بعض المفسرين أن ذكر كلمة «رزقاً» من قبل زكريا كان بهدف إرشاد مريم للتعبير عن مشاعرها إزاء تنزل هذا الطعام من الجنة طـبق قانون ﴿وأما بنعمة ربك فحدّث﴾[1] وما يؤول إليه هذا الحـديث مـن

---

١ ـ سورة الضحى، الآية ١١.

تبعات نفسية مرضية تؤثر إيجابياً في انعقاد النطفة. وهنا نلتفت إلى دور الهدوء النفسي ـ وضرورة التحرر من طوق الماديات للالتحاق بـالأزلي المطلق ـ والارتياح الخارج عن نطاق ما يمكن تصوره والناجم عن حب الله والإنكباب على ذكره ﴿... ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾[1] إلى جانب أهمية الرزق الحسن في عملية انعقاد النطفة.

استنتاج

لابد للمرأة أن تلتزم بأمرين في الفترة التي تسبق حملها ولا سيما إن كانت تهمّ بانجاب أول أطفالها. ويلزم توفير هذين الأمرين للعروس أكثر من سائر النساء نظراً لما تعاني منه من الإرهاق وانعدام الشهية والانفعال النفسي، وهما:

الأول: التغذية الكافية والصحيحة. يفترض أن نجهد ليكون ذلك الطعام أقرب ما يكون إلى طعام منزل من الجنة وأن نعلم أي الأغذية تتسم بهذا الطابع، بل أيها يهدينا تناوله لنيل الجنة. إنه الطعام الذي تم إعداده حسب القوانين والأحكام الشرعية والذي يتأتىٰ من طاعة الله وكسب رضاه. طعام لا يكون هكذا إلّا إذا توفرت فيه سمات أربع بأن يكون: حلالاً، طيباً (حسناً)، زكياً وأخيراً أن نهتم بالظروف التي نتناوله فيها. فالطعام المناسب لفترة الحمل قد يختلف عن الطعام الخاص الذي

---

١ ـ سورة الرعد، الآية ٢٨.

يفترض تناوله قبل الحمل أو بعد الولادة وأثناء الرضاعة.

الثاني: الاهتمام بإطعام النفس تزامناً مع توفير الغذاء الحسن والطيب لتغذية الجسم. فكما تتأثر نفسية الإنسان بوضعه العضوي السلبي بعد تناول طعام ملوث، يؤول الحرمان النفسي إلى همود العمليات الأيضية في أعضاء الجسم. ونلخص ما قلنا في عبارة واحدة، هي: علينا أن نحسن الاستعداد للإنجاب في المرحلة السابقة لانعقاد النطفة.

إحسان الاستعداد أربعين يوماً

يروىٰ أن الرسول الكريم ﷺ قد انكبّ على تناول طعام من الجنة أربعين يوماً قبل انعقاد نطفة الزهراء عليها السلام. وهنا يطرح هذا السؤال: لماذا تم اختيار العدد اربعين؟.

في المجلد الثالث شرحت في جانب من بحثي عند تطرقي لفلسفة الصوم أن العناصر تتوقف في أعضاء الجسم المختلفة ولفترات تتراوح من ستة أشهر إلى ما هو دون ذلك ثم تنسحب لتحل الوافدات محلها ووضحت كذلك الاسلوب التحليلي المتبع في هذا المضمار وهو مزج العناصر في الكثير من هذه الحالات بمواد مشعة ثم تتم متابعة مسيرة هذه العناصر في الجسم بأشعة غير مرئية، إلّا أن ما لم أحط علماً به حتى الآن ويحتمل أن يكون العلم كذلك قد عجز عن التوصل إليه هو تحديد المدة التي تستغرقها العناصر الغذائية بعد تناول الطعام لتتم مراحل هضمها وتمثلها ودخولها في تركيب الحيوانات المنوية والسائل المنوي ومن ثم في بناء النطفة، ولكن ما تم اكتشافه هو مساهمة سكريات النشويات مثلاً في بناء النطفة.

هنا يتبادر هذا السؤال إلى أذهاننا: هل تحددت هذه المدة بأربعين يوماً نظراً لاعتبارها الفترة المناسبة التي يجب أن تفصل ليلة الزفاف عن أوان انعقاد النطفة؟ لأن الإسلام قد أوصى بإعداد الزوجة عن طريق مداعبتها وملاطفتها قبل غشيانها وعليه يجب التريث أربعين يوماً بعد الزفاف بغية تأهب الزوجين واستحصال الاستعداد النفسي اللازم لدى كليهما قبل عقد العزم على المواقعة بهدف الإنجاب.

فالآثار النفسية ستكون سلبية على الفتاة لو حاول الزوج بمحض دخوله عليها ليلة الزفاف أن يقلص الفاصل الزمني بين الزفاف والإنجاب إلى أكبر حد ممكن وتحديده بتسعة أشهر لأنها سوف لن تعي ما حدث وكيف اقترنت بزوجها بسبب اجتماع جميع المراسيم والآداب الخاصة بعقد القران والزفاف ومن ثم الحمل في أيام محددات دون أدنىٰ اهتمام بضرورة اختصاص فترة من الزمن ـ بعد ليلة الزفاف ـ بالتزاوج قبل التناكح بغرض الإنسال، وفترة بالتمتع حيث تتسم في مستهلها بمنتهى الشاعرية. فتسأل الزوجة نفسها في حالة حرمانها من هذ الفرصة: لماذا أهملت التقسيمات المذكورة جميعاً (الزواج، النكاح والمتعة) وتحدد الأمر بما يفعله الحيوانات (إذ حدد القرآن الكريم الغاية من اقترانها بالمتعة).

إن الذكر الحكيم يشبه الإنسان بالحيوان عندما يتأسىٰ به في أفعاله إذ تخاطب الآيات الشريفات نبي الرحمة محمداً صلى الله عليه وآله بأن ﴿ذرهم يأكلوا ويتمتعوا...﴾[1] لأنه لايسعنا أن نتوقع هدفاً أكبر منه لمثل هذا المخلوق

---

١ ـ سورة الحجر، الآية ٣.

الذي لا يستهدف متعة سوى تلك التي سيستحصلها من الجماع خلال حياته، والآية ﴿كما تأكل الانعام﴾ تعني أنهم يهدفون من التغذي وتناول الطعام، نيل اللذة والإنعاظ أيضاً بينما تشمل حياة الإنسان الزوجية إضافة إلى التمتع، الزواج والنكاح، ويبدو الفاصل الزمني المناسب بين الزواج والنكاح قد تحدد في الإسلام بأربعين يوماً (في هذا الفاصل الزمني ينبغي الامتناع عن وقوع الحمل لا الجماع أو الإيلاج).

ان ما تطرقنا إليه هو تعاليم مذهب الإسلام لا أي موضوع عفوي ودلالته أن أي رجل يتأسىٰ بالنبي الكريم ﷺ وأية امرأة تحذو حذو السيدة مريم عليها السلام في الانكباب أربعين يوماً قبل انعقاد النطفة على تناول طعام حلال طيب زكي، يكون من خيرة أتباع هذا المذهب. فكل من يحاول أن يهيئ طعاماً من الجنة سواء كان منزلاً من الجنة أو رزقاً مكتسباً مما يؤول عاقبته إلى نيل الجنة فانه بلا ريب سيحفظ نفسه خلال تلك الفترة على أقل تقدير من الغرق في دنس الفسق والفجور لو آتته الظروف الملائمة للانحراف، لأن كل ما في الحياة يرتبط بشكل وبآخر وفي جانب من جوانبها بالغذاء حتى لو حاول تناسي الصلة بينهما، وبالتالي فإن تناول طعام طيب خلال أربعين يوماً يعني التمتع بأجواء طيبة وبعبادة الله عبادة زكية تطهر الروح أيما تطهير وتزكية وهي أعظم خدمة يمكن أداؤها للأجيال القادمة، فأي خدمة أسدى من انتقاء أبوين صالحين للأبناء وهو ما يتم خلال أربعين يوماً من التزكية وكسب الصلاحية اللازمة.

وهنالك من الأحاديث والروايات ما يؤكد ضرورة مواصلة أعمال

الخير والتنزه عن الآثام والملوثات وما ينجم عنها من تبعات حسنة سنتناولها بالبحث في موضوع الصحة النفسية.

أما عن سبب اختيار العدد أربعين في الكثير من الحالات، ربما يمكننا تفسيره بالشكل التالي:

تطرق الإسلام إلى استبراء الحيوانات التي يمكننا التغذي من لحومها أو مشتقاتها واختص به حكم شرعي فقهي ينص على وجوب عزل السمك، الدواجن، الأغنام، البقار، الإبل وغيرها من الحيوانات المحللة اللحوم التي اعتادت تناول النجاسات لعدة أيام ومنعها عن تناول هذه القاذورات قبل أن يمكننا ذبحها والتغذي من لحومها أو مشتقاتها.

وللإنسان استبراء أيضاً إذ يسود التصور بأن الآثار السيئة الناجمة عن تناول ولو قطرة من المشروبات الكحولية تحتفظ بفاعليتها في أعمال الفرد أربعين يوماً. ولو شاء شخص ما استحصال فرج وكرامة ما عليه الامتناع أربعين يوماً عن تناول أي طعام تم تهيئته من رزق تأتىٰ مما يخالف أوامر الله وأن يحذر عن تناول ما لا يعتبر طيباً وحلالاً، أن يكبّ على تنظيف داره والمساحة التي تواجهها من الزقاق وأن يفعل كذا ويمتنع عن كذا أربعين يوماً وبدرجة عالية من التمسك تضاهي تقريباً ما كان أنبياء الله عليهم السلام عليه.

لقد مكث النبي موسى عليه السلام أربعين يوماً في جبل طور يستمع فيه إلى كلام الله، وشاء الله أن يمتحن المصطفى صلى الله عليه وآله أربعين سنة قبل البعثة وأن يتناول النبي من طعام من الجنة أربعين يوماً قبل انعقاد نطفة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام ،وما إلى ذلك من أفعال يتحدد ذكرها مع العدد أربعين.

ويختص الاستبراء بالأناس العاديين الذين يجهدون للحصول على طعام حلال طيب وأجواء زكية بعيدة عن المحرمات. ومثل هذه الكلمة لا يمكن استخدامها بشأن أولياء الله، فتحل كلمة «تطهير» محلها كما في آية التطهير ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾[1] التي يتفق جميع الشيعة والسنة على نزولها بشأن النبي الكريم صلى الله عليه وآله والإمام علي والسيدة فاطمة الزهراء وولديهما الحسن والحسين عليهم السلام.

نسأل الله تعالىٰ أن نكون مسلمين طيبين ومن خيرة أهل الايمان الذين يسعون لأداء ما أوجب الله والقيام بالمستحبات في درجة أرقى من الايمان والامتناع عن المحرمات والمكروهات وأن نرغب عن تناول الأطعمة الحلال والزكية الطاهرة المتأتية من استرزاق دنيوي بتناول طعام من الجنة.

دعاء خليل الرحمن

الانسان بحاجة إلى تغذية روحية كما يحتاج إلى تغذية الجسم، وحرمانه من أي منهما يؤدي إلى انحطاطه، وقد لاحظنا مدى تأكيد الإسلام على الاهتمام بكليهما حتى قال الإمام عليه السلام : «**عجبت لمن يتفكر في مأكوله فكيف لا يتفكر في معقوله**». وحال المجتمع لا تختلف عن حال الفرد فديمومته منوطة بتوفير ما يلزم لها من تغذية الروح والجسم

١ ـ سورة الأحزاب، الآية ٣٣.

معاً وهذا ما دعا خليل الرحمن ليسأل ربه كلا العطاءين للمجتمع ويتضرع إليه من صميم قلبه أن يرزق أهل الايمان من رزقه الطيب ﴿...والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا...﴾[1] دون سواهم فأصاب الفسقة والفجار منهم نقص في الغذاء الطيب.

ويتمثل الغذاء الروحي الذي يحتاجه المجتمع في زعامة أئمة يكونون على اتصال مع الله من جهة والمجتمع من جهة أخرى فهم حجة الله على خلقه أوفدوا ليرووا ظمأ المجتمع من ينبوعه الروحي. ولهذا تمت الاستجابة لدعاء النبي ابراهيم عليه السلام عندما سأل ربه رزقاً معنوياً طيباً لقومه واختصت الإمامة بالصالحين من ذريته مع نبذ الظالمين منهم ﴿وإذ ابتلى ابراهيمَ ربهُ بكلماتٍ فأتمهن قال إني جاعلك للناسِ إماماً، قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين﴾[2]. إذن الإمامة تختص بالمعصومين من الآثام عصمة أبدية، فزلة واحدة واجترار ذنب ظلم ما يكفي لإطلاق تسمية الظالم على الفرد كما نسمي الشخص قاتلاً إذا ما اقترف هذه الجريمة ولو لمرة واحدة.

ومن شأن المجتمع الذي أنعم الله عليه بأئمته المصطفين وبأرزاقه المادية الطيبة (الطعام، الهواء، الثياب و...) التي دعا النبي ابراهيم ربه لينزلها على قومه، أن ينعم بأجيال سامية. يا ترىٰ ألم يكف المجتمعات دعاء أئمتها الصالحين لأتباعهم بحلول الخير وتنزل الأرزاق المادية

١ـ سورة الأعراف، الآية ٣٢.

٢ـ سورة البقرة، الآية ١٢٤.

الآنفة الذكر مما دفع خليل الرحمن أن يفرد لهذا الطلب جانباً من دعائه؟. قد ذكرت ذلك في المجلد الرابع عند تطرقي لشرح المفهوم الواسع لكلمة الرزق وبرهنت في حينه أن الرسل والأئمة رغم تأثيرهم ـ بمشيئة الله ـ في الخصائص التكوينية التي تتأثر بالرزق كذلك، إلّا أن دورهم يتحدد بما يتأثر بفاعلية إرادة الإنسان وليس بأمور كضربان القلب أو هضم وتمثل الطعام.

إستجابة دعاء النبي ابراهيم (ع)

ذكرنا أن الله استجاب دعاء النبي ابراهيم عليه السلام بأن يرث الصالحون من ذريته الإمامة وأن يمن الله على المؤمنين من أهله رزقاً حسناً. يجب أن لا ننسى أن دعاءه استجيب على أفضل وجه ممكن لأنه كان يستهدف مواصلة الإنسال حتى يبلغ ﴿إنا اعطيناك الكوثر﴾، أي أن تستمر ذرية النبي ابراهيم عليه السلام في شخص النبي المصطفى محمد صلى الله عليه وآله عن طريق السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، ومثل هذه الوسيلة لابد من توفرها بغية انعقاد مثل هذه النطفة. وأي وسيلة أجدر على القيام بهذه المهمة من طعام منزل من الجنة ﴿وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله﴾، طعام ترعرع في مياه وتربة وأجواء أهل الإيمان.

بناء على ما ذكر يحق لنا أن نكتب في مقدمة المؤلفات الخاصة بالتناسل والإنجاب شعار: «إعتنوا بسلامة التغذية قبل انعقاد النطفة لإنسال جيل صالح».

أثر الزمان في انعقاد النطفة

من الأمور الأخرى التي تم اكتشافها حديثاً هو ما يقوم عليه علم الأبراج من أن انعقاد نطفة الإنسان في شهر معين وقضاء فترة ما قبل الولادة لا سيما الأشهر الأولى من الحمل في فصل خاص وولادته في تاريخ دون غيره يضفي صفات وسجايا خاصة على الطفل، بينما يولد جنين آخر مر خلال الأشهر الأولى التي اعقبت انعقاد نطفته بفصل مغاير متطبعاً بصفات وسجايا غير التي يتصف بها المولود الأول. وتتأثر حياة الإنسان كذلك بساعة ويوم انعقاد النطفة.

وقد أشارت الأديان السماوية قبل بزوغ فجر الإسلام إلى هذه الحقيقة أيضاً إلاّ ان الاسلام لم يكتف بذلك بل أوصى أتباعه بأخذ زمان ومكان انعقاد النطفة بالحسبان وحدد للأبوين اللذين يعزمان على إنجاب طفل الزمان والمكان المناسبين لمثل هذه المبادرة وأن يسعيا في تلك الفترة لتناول طعام خاص، أجل إن الإسلام قد قدم قبل ما يناهز خمسة عشر قرناً إلى الأبوين المستقبليين، الأم في فترة الحمل، الأم في فترة الرضاعة والأبوين معاً في مرحلة التربية والتنشئة وصايا وافية كافية حول البيئة المتوخاة والطابع البيئي المرغوب فيه بغية إنجاز هذه المهمة.

ومما يلفت النظر هنا ولم يتوصل العلم إلى نظريات خاصة بشأنه هو سبب تنزل طعام صيفي في الشتاء على السيدة مريم عليها السلام وطعام شتوي في الصيف، هل كان المقصود بذلك ضرورة تناول الأطعمة في غير مواسمها في مرحلة انعقاد النطفة بينما تنص التعاليم الأكيدة على وجوب تناول الأغذية الطرية وفي موسمها ومحل إنتاجها بغية المحافظة على خصائصها الغذائية وسلامتها؟! هل ينفع الأُمهات التأسي بالسيدة مريم عليها السلام في سياق حفظ المواد الغذائية الطرية من فصل لآخر بهدف تناولها في هذه المرحلة أم أن الموضوع خاص بالعنب بسبب تحول أحماضه إلى سكريات بنسبة أكبر كلما قدم عهده بالنضوج وكون هذه السكريات أفضل غذاء للدماغ والأعصاب؟ وهل من المفضل تناول سكر الفواكه (الكلوكوز) ـ الأكثر فاعلية خلال العمليات الأيضية (الكيماوية) التي تشهدها الخلايا باستمرار ـ في مرحلة ما قبل انعقاد النطفة؟ إنها استفسارات يفترض على العلم الإجابة عليها. ونذكر أن طعام مريم لا محالة لم يكن مقصوراً على العنب فقط.

والحديث أينما جاء استهدف تحطيم طوق الجسم المادي والاتصال بالحقيقة الأزلية عن طريق إطاعة التعاليم الالهية وإنقاذ الذات من معتقل الماديات لا سيما بإقامة الصلاة التي اختصت بها كافة الوصايا الاساسية في الدين، وينص الحديث أن الصلاة معراج المؤمن أي طريقته في الاتصال بالحقيقة اللامتناهية، حيث يرى الاسلام ضرورته في شتى مجالات الحياة لا في مجال واحد منها نظراً لما يتمتع به من أهمية.

وكل من يرغب في تنزيه روحه والتسامي حتى بلوغ مرحلة الاتصال

بمالك السماوات والأرضين إبان معراجه في الصلاة يود عند الإنـجاب أيضاً أن «كنتم نوراً في الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة» منذ بداية الخلق وحتى حل الدور به ليكون ضياء في مسيرة شامخة تجتاز معابر مطهرة ومنزهة فيستمر الإنسال عن طريقه بما يمثل «كلمة التقوى وأعلام الهدى والعروة الوثقى» لا غير، أي أن لا ينسل سوى أفـرادٍ يـدعمون التقوى ويهدون إلى الصلاح ويكونون خير مأوى يحفظ الإنسانية ويوثق مسيرتها نحو الخير.

وأجمل حديثي بالقول ان أي مسلم يتخذ الصـلاة مـحطة عـروجه مكانياً وله أن يواصل التسامي والعروج منذ البداية وحتى قيام السـاعة (زمنياً)، عليه أن يعلم أن النزعات المادية تتحول إلى مـعنوية مـتى مـا اتسمت زمنياً بالاستمرار حتى اللانهاية، أي أنه كما أنسل من قبل أسلافه وسينسل بدوره الجيل القادم فإنه مسؤول عن تأهيل ذاته لاكتساب صفة الديمومة فخيار تكامله بيده وله أن يهيئ المستلزمات الضـرورية لذلك بشيء من الجهد.

أما عن محطة معراج مريم ومكانه فإنه كان محرابها. وعـن مـاضيها فإنه تمثل بدعاء أمها إلى الله تنذر ما في بطنها ليكون في خدمة المعبد، وعن مساعيها لإعداد مستلزمات الديمومة فإنها تمثلت بتناول طعام من الجنة، وأما عن المسيرة فإنها بدأت بالسيدة مريم لتنتهي مستقبلياً بالسيد المسيح عليه السلام. وفي مسـيرة فـاطمة الزهـراء عليها السلام واصـل الدرب الإمـام الحسن ثم الحسين وأبناء الحسين من بعده، حيث وقف أحد الأئمة بكل إجلال إزاءه قائلاً: «وأشهد أن الائمة مـن ولدك كـلمة التـقوىٰ وأعـلام

الهدى والعروة الوثقى»، وستستمر هذه المسيرة المتواصلة حتى قيام الساعة، الأمر الذى جعل الزهراء عليها السلام سيدة نساء العالمين أجمعين إلى يوم الدين.

وكما أثبتنا في المجلد السابع أن تناول التمر من قبل المرأة الحامل يضفي على جنينها صفات وسجايا خاصة قد يستدل اللاحقون علمياً على فاعلية العنب في هذا السياق، فقد يكون لتناوله في غير موسمه قبل انعقاد النطفة دور هام وحسن في جانب من تكوين الطفل.

بناء على هذا يفترض على الشابين في بداية حياتهما الزوجية فيما لو كانا راغبين في إنجاب طفل أن يتمهلا وهما ما زالا عريسين، ومن الأفضل أن يبذلا مساعيهما فترة من الزمن قبل انعقاد النطفة للتكيف مع متطلبات الفطرة وقد تكون هذه الفترة أربعين يوماً، ولابد لهما خلالها أن يتنزها عن ارتكاب المحرمات والتدنس بالآثام وأن يختارا من الأطعمة ما هو حلال وطيب وزكي ومناسب حسن، ويعنيا بتغذية الجسم وكذلك الروح كما يشاء الله، فالمعنويات العالية هي الغذاء المفضل للجسم والجسم السليم هو خير دعم للمعنويات وكل منهما يؤثر في الآخر وهذا ما يلعب دوراً ايجابياً في تقرير المصير وتحديد الوضع المستقبلي (ومنه الإنجاب) بشكل لائق.

وسنتطرق إلى البلوغ وأنواعه في مراحل العمر المختلفة لاحقاً. ويبدو أن فترة حياة الإنسان تنقسم حسب العمر إلى مراحل عدة منذ انعقاد نطفته وحتى رحيله عن الدنيا، حيث يكون جنيناً، وليداً، طفلاً، مراهقاً، شاباً، متوسط العمر وأخيراً كهلاً طاعناً في السن.

لقد التفت العلم في القرن أو القرنين الأخيرين إلى أهـمية مـوضوع التغذية بالنسبة للجنين وأوصىٰ بتغذية الجنين على نـحو يـختلف عـن تغذية الوليد وميز بين تغذية الطفل وتغذية الشيخ الطاعن في السن، كما توصل منذ أعوام إلى علاقة الغذاء بأوضاع البيئة وأحوالها، ويؤكد على ضرورة التباين بين طعام فصل اشتداد الحرارة ومـوسم البـرودة، إلّا أن الاسلام قد اعتنى بهذا الأمر منذ خمسة عشر قرناً خلت حيث أوصـى بتناول طعام خاص في كل مرحلة من مراحل العمر لا سيما في «الرسالة الذهبية» للإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام الخارقة والمثيرة للإعـجاب والدهشة بما تتضمنه من وصايا غذائية تناسب الأشهر الشمسية وتتطابق مع أحدث معطيات علم كرونوبايولوجي (البايولوجيا الزمنية) الأمر الذي تطرقت إليه في المجلد الحادي عشر بالتفصيل.

ونجد في القرآن وكذلك في الأحاديث والروايات تعليمات عما يجب إطعام الجنين أو الوليد به وهكذا الطفل والشاب والفرد في متوسط عمره وإبان شيخوخته سآتي ببعضها هاهنا كما ذكرت قسماً منها فيما سـبق وفيها شرح مسهب حول جزئيات تناول لحوم البقار من قبل الطـاعنين في السن (النبي ابراهيم عليه السلام وزوجته سارا)، جاء في المجلد الثامن.

وهنا أذكر مثالاً آخر: لم يبلغ الاهتمام الذي بذل لطعام الوليد، الشاب، الطاعن في السن أو الإنسان في أي مرحلة أخرى مـن حـياته درجـة العناية بتغذية الجنين. إننا نلاحظ أن القرآن على سـبيل المـثال عـندما يتطرق للحديث عن إبراهيم خليل الله عليه السلام ويذكر ضـرباً مـن الأطـعمة المناسبة لتغذيته وزوجته سارا أي للإنسان في سن الشيخوخة لايسـبر

الأغوار المعنوية بل يكتفي بوضع الطعام العادي. لا يخفى أن باصرة الملائكة كانت تتابع ما يتناوله النبي عليه السلام من طعام، ونبي آخر (الخضر) يرقب ما يأكله النبي موسىٰ عليه السلام، والنبي موسى يتابع بنظراته «المن والسلوى»، والسيد المسيح كان يرقب المائدة المعجزة المنزلة من السماء على الحواريين، وتتبين القيمة المعنوية الكامنة في الطعام حسب نظرة الأنبياء عليهم السلام إليها أكثر فأكثر، ولكن إشارة قرآنية وأُخرى ذكرت في الروايات تنبهنا إلى أن العناية الربانية بتغذية الجنين في مرحلة الحمل بلغت درجة فائقة تتجاوز حدود الاهتمام الإلهي بغذاء الإنسان في سائر المراحل الأخرى، وهذا ما دعاني أن أرفع الشعار التالي في مستهل جميع مجلداتي الخاصة بشؤون الإنجاب والتناسل:

«تستلزم التنشئة الصالحة قبل انعقاد النطفة أباً وأماً طيبين ومنذ انعقاد النطفة وحتى الولادة أُماً طيبة ومنذ الولادة وحتى الوفاة معلماً طيباً».

ثم نوهت إلى أن الأم مسؤولة عن إعداد وتهيئة مستلزمات بناء الروح الإنسانية ويتم لها الأمر دون ريب باستقطاب هذه المواد من البيئة ولهذا تنبثق روح إنسانية متسامية من المدنية الفاضلة التي تزخر بالطعام الطيب، الهواء الطيب وإله حسن ثم تنتقل إلى الأجيال اللاحقة محتفظة بخصائصها.

إن الإسلام وبالتذكير والإشارة إلى ما يفترض القيام به أو تناوله قبل انعقاد النطفة أو في فترة الحمل إنما يهدف إلى توضيح هذه الفكرة المنطقية وهي أنه لا ينبغي للإنسان أن يتصور نفسه مكبلاً إزاء القضاء والقدر. ولابد له وأن يعلم أنه مسؤول أمام أبنائه وذريته أيضاً بما يأكل

وما لا يأكل وما يختار وأن البيئة تؤثر لا محالة في وضع الأجيال بما لا يدخل حيز القضاء والقدر والمشيئة الإلهية، وأن الفكرة السائدة حول استحالة تغيير ما كتب للإنسان من مصير، فكرة خاطئة كما هو الحال في التصور المبني على أنه لا يمكن إسعاد الشقي أو وقوع السعيد في شراك الشقاوة مهما أوتي الأبوان من قوة وإرادة.

السعيد سعيد في بطن أمه

إن مضمون الحديث النبوي الشريف «السعيد سعيد في بطن أمه والشقي شقي في بطن أمه» منطقي وعلمي تماماً وليس فيه ما يخالف بحثنا هذا بل يؤيده أيضاً. نرىٰ في هذا الحديث أن الرسول ﷺ قد عين بطن الأم (وليس رحمها) باعتبارها محل تقرير مصير الأبناء وهو ما ذهبنا إليه حتى الآن من أن أعظم خدمة تسدىٰ للأجيال هو انتقاء أبوين صالحين لها. فلو امتاز ما ينتقل من صلب الرجل الصالح إلى بطن المرأة الصالحة بالطيب تأثراً بالطعام الطيب والأجواء الحسنة فسيؤثر بدوره في انعقاد النطفة الطيبة وسيسعد دون أدنى شك الطفل الذي انتهل ما توارثه، من الآفاق والأنفس الطيبة وسيكون سعيداً كذلك في المراحل التالية من حياته، ويشقى بناء على هذا وبنفس النمط والمدى من توارثه من الأنفس البذيئة أو البيئة المتدنسة بحكم انتقال الدنس والخبائث إليه.

إذن ما يقرر مصير الأبناء هو البيئة التي يقضون فيها الطور الجنيني من حياتهم (بطن الأم) لا القضاء والقدر اللذان نلقي عليهما وعلى الأوضاع

المستقبلية مسؤولية ما يؤول إليه مصيرنا ومصير أبنائنا فنأكل ما نشـاء ونتصرف كما يحلو لنا توهماً بأنه السلوك الذي يؤمّن للأبناء سعادتهم في المستقبل بينما لن تجري المياه كما تشتهي الأنفس أبداً بل تأخذ سبيلها وفق قوانين أقرها نظام الخلق.

الجماع في منظار العلم

ذكرنا مسبقاً أمرين يدخلان في إطار الاستعداد لإنجاب ذرية أرقى حيث أكد الإسلام في إطار الأمر الأول ان الاهتمام بالإثارات النـفسية ضروري كما هو الحال في الإثارات الفيزيائية (الفسيولوجية)، وأوصـى في حيز الأمر الثاني بوجوب التريث أربعين يوماً قبل المواقـعة بـهدف الإنجاب ومراعاة التحرز من التغذية من طعام جهنمي خلال هذه الفترة.

وقراؤنا من عدة شرائح، شريحتان تفوق معلوماتهما ما سطر في هذه الصفحات وهما فئة أسمىٰ من حيث المستوىٰ في مجال العلوم الحديثة وفئة أخرى أكثر تفقهاً في العلوم والشؤون الديـنية الإسـلامية. والفـئة الأولى تلتذ بمطالعة بحثنا لطابعه الإسلامي، والأكثر تفقهاً يسرون عـند قراءة الجانب العلمي من الموضوع.

والعنوان الذي اخترناه لهذا الموضوع لا يثير امتعاض القارئ من أي فريق كان، لأسباب أحدها قلة المؤلفات التي تـتناول هـذا المـوضوع بالأُسلوب المتبع في هذا الكتاب وكـذلك نـظراً لقـلة المـؤلفين الذيـن يتطرقون للبحث في مثل هذه القضايا ولأسباب مـنظورة. ولعـلمي بأن

هناك فريقاً من المتمسكين بتطبيق التعاليم الإسلامية بحذافيرها فيتجنبون المكروهات إلى جانب المحرمات من الأطعمة ويأخذون المستحب إضافة إلى المباح بالحسبان عند الاستعداد للجماع عقدت العزم على رفد المكتبات العائلية بهذا الكتاب.

ها هي العروس أثيرت والعريس قد أنعظ وتأهب كلاهما للجماع بعد تطبيق كافة الوصايا والتعاليم الإسلامية الخاصة.

والنعوظ يحدث بتأثير آليتين: الفكرة والملامسة. وتتبلور الفكرة عن طريق الدماغ إثر مشاهدة منظر الجماع أو تخيله إلّا أن إيعاز الدماغ إلى الأعصاب للتدخل في عملية الملامسة أمر حرمه الإسلام، وهاتان الآليتان بدرجة من الحساسية بحيث أنها تسبب إنعاظ القضيب باحتكاكه أثناء النوم بشيء ما أو مشاهدة الفرد حلماً حول الجماع.

ويتواجد تحت الجلدة الملبسة على القضيب نوعان من الأوعية: أوعية دموية وأوعية لمفاوية. والأوعية اللمفاوية تؤدي عند احتقانها إلى انتصاب القضيب بنحو لا يبعث الآلام فيه كما تمنع انتصابه بزاوية تتجاوز (٤٠) درجة.

عندما يتهيج الشخص وتصل إيعازات الدماغ إلى الأعصاب، يندفع الدم واللنف إلى الأوعية فتتلقى الجيوب الخاصة الإيعازات التي تؤدي إلى احتقانها ثم تنقبض العضلات المحيطة بها ويتعذر رجوع الدم أو اللنف فيتسبب الانتصاب لا إرادياً، فإذا أمنىٰ ترتخي جميع الأوعية والعضلات. إن صغر أو كبر القضيب لا يمنع الحمل أو الالتذاذ من العملية

الجنسية (لأن الخلايا المهيجة تقع بالقرب من الشفرين اللذين يحيطان الفرج) حتى لو لم يتجاوز طول القضيب سانتيمترين بينما معدل طوله أثناء الانتصاب يبلغ ١٢ـ١٥ سانتيمتراً أو ٢٠ سانتيمتراً على أكثر تقدير.

وهنالك جزءان من القضيب يحتفظان بمرونتهما أثناء الانتصاب وهما الجسم الاسفنجي الذي يحتقن بالدماء لمنع الضغط على المجاري البولية، والحشفة التي تحتقن قليلاً ولكن لا تتصلب.

ويسيطر على كل من الجيوب الاسفنجية التي تحتقن بالدماء أثناء العملية الجنسية، صمام عضلي إذ تمتلئ هذه الجيوب بعد خمس ثوان من تهيج الفرد بالدماء فتعمل الصمامات أثناء التهيج بنحو يضخ وفقه الدم نحو الجيوب دون السماح له بالعودة فينحجز في الجيوب ضاغطاً عليها خلافاً للحالة العادية حيث لا يتعذر على الدم العودة ـويستثنئ من ذلك القسمان الآنفا الذكر حيث لا تستجيب أغشيتهما لاستدعاءات الإنعاظ وهذا ما يسبب استمراره لفترة تتراوح من دقيقتين حتى عدة ساعات، ولكن الانتصاب ينتهي وتعود الأقسام المحتقنة إلى حالتها الطبيعية فوراً بعد القذف.

وهنا نذكر أن الانقباضات العضلية دخيلة في هذا الوضع أيضاً إلّا أنه موضوع يخرج عن نطاق بحثنا هذا.

إن الإنعاظ الناجم عن الفكرة أو الدواعي النفسية يستهل بوصول الإيعازات العصبية من الدماغ إلى العمود الفقري وهنا تلعب الأعصاب الباسمبتاوية (شبه الودية) دورها في توسيع أوعية القضيب وبالتالي في الإنعاظ ولهذا تؤدي حالات كالخوف والاضطراب والانفعال التي تثير

الأعصاب السمبتاوية (الودية) إلى همود النشاط المغاير (الباراسمبتاوي) وتعرقل بذلك الإنعاظ.

إن الإثارة الفسيولوجية (الحسية) تزداد فاعلية بالاقتراب من رأس القضيب وتتحكم بها الاعصاب الباراسمبتاوية المستقرة في الفقرات ٢ـ٤ من الفقرات العجزية بالشكل الذي ذكرناه، ويظهر الإختلال في الإنعاظ الحسي عند تعرض هذا الموضع للصدمات كما تختل عملية الإنعاظ عند انقطاع النخاع فيحدث القذف دون إخبار اللذة الجنسية نظراً لعدم وصول الإيعازات المهيجة إلى الدماغ.

ويتقلص تأثير الاستدعاءات النفسية بزيادة العمر بينما تحتفظ الاستدعاءات الحسية والفسيولوجية بتأثيرها نسبياً.

وتعم لذة معينة جميع المواضع التى تمر بها أو تنتهي لديها الأعصاب (أي الجسم بأسره) عند بلوغ الشهوة ذروتها. وألفت الانتباه إلى الحديث النبوي الشريف الذي يعتبر المرأة عورة، أجل إن كافة أنحاء جسم المرأة عورة بالنسبة لها ولزوجها لأنها جميعاً تثير الشهوة وكل من المرأة والرجل حسب التعبير القرآني لباس للآخر فاللباس إضافة إلى ستره العورة يكسب مرتديه الدفء والحرارة.

إن بلوغ الشهوة ذروتها ـ أي ما سنطلق عليه فيما يأتي «الإنعاظ» للسهولة ـ يؤثر في الوضع العام للجسم بأسره كما يؤثر فيه النوم العميق المتطبع بمنتهى الهدوء حيث يقل انشداد العضلات حتى يسترخي جميعها عند النوم وكذلك فاعلية الضغط، التنفس، ضربان القلب، حرارة الجسم،... وهكذا الحركات الدورية في الأمعاء وترشحات الكليتين مما يقلل من

استيقاظ الفرد لضرورة قضاء الحاجة عند النوم والكثير من النشاطات الحيوية الأخرى، حتى نسبة العناصر في الدم وفي الجسم عامة تتقلص أثناء النوم كما جاء في المجلد السابع عشر.

يزداد ضربان القلب ويرتفع ضغط الدم وتنشط العمليات التنفسية وترتفع حرارة الجسم عند الإنعاظ خلافاً للنوم، بينما تتوقف حركات الأمعاء وتتسع الأوردة الدموية وتحتقن ويزداد تصبب العرق من كافة أنحاء الجسم لدى الكثيرين، وتضعف الحاسة البصرية، الشمية، الذوقية، السمعية واللمسية بنسب متباينة ويتسع بؤبوا العين وتصدر من كلا المتواقعين اصوات أو تأوهات خاصة أثناء العملية الجنسية.

ويظهر الضراب في القضيب عند الإنعاظ فيتدفق السائل المنوي بقوة من القضيب وكأنه رماح ترمي الرحم، وتختلف الحالات التي تراود الأفراد في هذه الأثناء من حركات، تشنجات، خرخرة، ضحك، بكاء عربدة وصراخ إلى الإصابة بحالة جنونية مؤقتة، اصفرار الوجه، خمول شديد، رهاب و... وتتطبع النساء أكثر من الرجال بحالتي اصفرار الوجه والشعور بالخمول.

وقد ينعظ الرجل ويقذف دون الإيلاج خلافاً للمرأة.

وتسمىٰ ترشحات الأجزاء المختلفة من الجهاز التناسلي (الأوعية الناقلة (Ductus deferens)، الحبل المنوي، البربخ (Epididymis)، الحويصلتين المنويتين (Seminal Vesicle) وغدة البروستاتا (Prostate gland)) المني أو السائل المنوي الذي يبدأ بالتدفق إثر انقباض عضلات معينة (البصلية الكهفية)، وفي هذه الأثناء تنغلق فتحة

المثانة بواسطة انقباض عضلة دائرية تدعىٰ «العضلة العاصرة» لمنع دخول المني إلى المثانة.

الجدير بالذكر إن الطابع القاعدي في الترشحات المخاطية يؤدي في البدء إلى تعقيم القنوات المتصببة خلالها أو فيها وبهذا تعمل هذه الترشحات على منع الشعور بالحرقة إثر عبور المني من الأغشية المترطبة وتتخلص النطفة كذلك في هذه البيئة القاعدية من وطأة حامضية الوسط المهبلي التي تقضي عليها.

ويحدث القذف في أكثر الأحيان بعد نحو دقيقتين من الإيلاج حيث يتصبب مقدار من المني معدله ٢ـ٤ سانتمتراً مكعباً في مهبل المرأة ويتقلص حجمه بزيادة الفاصل الزمني أكثر من الحد الطبيعي بين كل مواقعتين مثلما يتقلص عند توالي المواقعات حتى يصل إلى قطرة أو قطرتين في المواقعات المتتالية، ويحتفظ المني بمعدل حجمه الطبيعي فيما لو تحدد هذا الفاصل بثلاثة أيام كاملة.

ويحتوي السائل المنوي المقذوف في المرة الواحدة على خمسمائة مليون حيوان منوي ويزداد عددها كلما تقلص حجم المني المقذوف فلو حدد المرء برنامج جماعه بمرتين في الاسبوع ورغب ذات يوم في ممارسة النكاح مرتين متتاليتين نجد ان الحيوانات المنوية في المرة الثانية قد ازداد عددها بنسبة ٢٥٪ عن المرة الأولى، كما يزداد عدد الحيوانات المنوية السقيمة في الكرات اللاحقة إذا تتالت المواقعات سريعاً كما تزداد فاعليتها ونشاطها في القطرات الأولىٰ من السائل المنوي المقذوف به.

قد ينعظ الأطفال لأكثر من مرة قبل بلوغهم الحلم بينما يندر إنعاظ الطاعنين في السن لأكثر من مرة خلال المواقعة الواحدة، ولكن الجميع يشعرون بالارتخاء والخمول بعد القذف ويفترض التريث لعدة دقائق أو عدة ساعات إذا ما أراد الفرد معاودة الجماع (وينعظ شخص واحد من بين أربعة آلاف شخص دون القذف).

والمني سائل حليبي لزج يترقق ثانية بعد (٥ـ٢٠) دقيقة من إفرازه وتفوح منه رائحة ثمار التمر الطرية ولكن لزوجته لن تنخفض في كلا الحالتين ويمكننا عن طريق التحليل التوصل إلى أن النطفة لصاحبها أم لغيره.

ويبلغ الوزن الحجمي للسائل المنوي ١,٠٢٨ـ١,٠٣ ويتعلق ٧٥ أو ٧٣٪ منه بوزن الحيوانات المنوية، ولكل حيوان منوي رأس ذو عرض يبلغ ٥ ميكرونات وذنب بطول ٥٥ ميكروناً ويتحرك بسرعة ١ـ٤ مليمتراً في الدقيقة.

ويحتوي المني على مقادير فائضة من الفيتامين «ث» الذي تتقلص فرص وقوع الحمل بارتفاع نسبته.

وللمرأة مهبل يبلغ طوله ٩ سنتيمترات، أما عن سعة قناته فإنها تتغير ليتمكن القضيب من الإيلاج مهما كان قطره ويكون غشاؤه المخاطي أملس أحياناً ومجعداً أحياناً أخرى. وهناك الشفران الكبيران (Labia Majora) على جانبي دهليز الفرج وينتفخان أثناء الاحتقان نظراً لاكتظاظهما بالأوعية الدموية، ويختبئ تحتهما الشفران الصغيران (Labia Minora) ويلتقيان من الأمام فيشكلان قلنسوة البظر

(Prequce of Clitoris) في حالة زاوية. والبظر يماثل في أصله التكويني القضيب الرجالي إذ ينتصب عند تهيجه. وقد اعتاد العرب والمسلمون في صدر الإسلام على ختانه.

وقد يترشح من قناة القضيب الرجالي ترشحات ستة هي: الدم، المني، البول، المذي، الوذي والقيح، ويعتبر الفقه الشيعي الثلاثة الأولى منها نجاسة خلافاً للمذي والوذي، والمذي إفراز قاعدي من إفرازات غدتي كوبر (Cowper glands)، يعمل على ترطيب المجرى وتخفيف حدة حموضة الوسط المهبلي وبهذا يسهل عبورة الحيوانات المنوية منها ويمنع موتها، أما الوذي فتقوم بإفرازه غدد مخاطية (Leter) ويزداد ترشحه عند التهيج أو محاولة منع القذف،ويترشح من رأس المجرى البولي كقطرة أو قطرتين دهنيتين. إن هذين الإفرازين لايبطلان الوضوء ولايعتبران نجاسة ودنساً إن استبرأ الشخص بعد التبول.

ويبلغ طول القنوات المنوية في الحويصلتين المنويتين لدى الرجال نحو مائتين وخمسين متراً حيث تحتوي على خلايا ثنائية تتحول بالتدريج إلى الحيوانات المنوية، أما البويضات الأنثوية الأولية فإنها ساكنة لاتتحرك خلافاً للحيوانات المنوية ويكون قطرها ٤٥ ميكروناً في البداية ثم ٢٥٠ ميكروناً وقد ترى بالعين المجردة، ثم تنضج هذه البويضات الأولية وتنفجر بعد (١٤) يوماً من انتهاء الطمث تقريباً، مولدة آلاماً في أسفل البطن يصحبها انخفاض في درجة حرارة الجسم وأحياناً إفراز ترشحات دموية (وقد يصادف أن تتواجد في أي زمن كان وحتى أثناء الطمث بويضات متكاملة في الجهاز التناسلي الأنثوي). وتخرج منها

أثناء عملية الإباضة واحدة كل شهر بالتناوب خلال مرحلة النشاط الجنسي للمرأة والتي تتحدد بسنين طمثها فيكون مجموع البويضات الناضجة التي يتم إفرازها وتخرج من المبيض إلى قناة فالوب (Fallopian Tube) نحو (٤٠٠) بيضة حتى سن اليأس.

وإن لم تلقح البويضة الناضجة بحيوان منوي فإنها تهلك بعد عدة ساعات فتشق غلافها وتنطلق منه مغطاة بترشح متصلب وتتدحرج بتأن نحو عنق الرحم الذي يتحرك بشكل متواصل في حركة تشبه المص فتلتقط البويضة بمساعدة نتوءات جدار القناة، المكسوة بشعيرات تتجه في حركتها نحو الرحم لتدفع البويضات نحوه من جهة وتمنع عودتها من جهة اخرى، وسأشرح بقية الجزئيات عند تطرقي لموضوع الحمل.

وتطمث المرأة في الحالة العامة بعد (٢٨) يوماً من انتهاء الطمث السابق، وقد تكون الدورة الشهرية لدى بعض النساء ثابتة ما بين (٢١-٣٥) يوماً فيما لو لم يحدث لديها حمل، في عملية تأهب جديدة للتناسل. والطمث عبارة عن خروج الدم إثر تساقط الجدار الداخلي للرحم بعد استعداده لاستقبال النطفة وضمها إلى الغشاء المخاطي فتتقلص الأوردة ثم تنبسط فجأة مما يسبب نزيفاً شديداً يخرج خلاله ما يناهز معدله ٥٠ سنتيمتراً مكعباً من دم سائب لايتخثر. وترتفع حرارة الجسم ويزداد ضربان القلب وتتسارع الأنفاس وينخفض ضغط الدم في النصف الأخير من فترة الطمث.

والمدهش أن فريقاً من الأخصائيين قد ادّعوا أن هنالك تطورات باطنية تحدث خلال نحو سبعة أيام من كل شهر لدى الرجال أيضاً وتشبه

ما تشهده المرأة في فترة الطمث من حيث التبعات النفسية الناجمة عنها.

لا أعلم إن كان هذا الشرح واف لفهم بواعث توصية الأزواج بزيارة أبويهم عند طمث المرأة. وتكون المرأة في هذه الفترة مثارة الأعصاب، تعاني من ضعف الدم ومن مضايقات أخرى امتنع الإسلام قبل أربعة عشر قرناً عن اعتبارها مرضاً بل أطلق على الطمث اصطلاح ﴿**أذى**﴾ في الآية الشريفة ﴿**يسألونك عن المحيض قل هو اذىً فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهُرن...**﴾[1]، وشعور المرأة بالأذى يزعج أبناء العائلة جميعاً فقد تتشاجر المرأة حينئذ مع أبنائها وتعجز عن أداء أعمالها كالغسل والطهي و... وحتى عن تسكين الرجل، إنها تستشعر الحاجة إلى أبويها، ومهما يتطبع سلوك الزوج المسلم مع زوجته بطابع أبوي بأخذ ما يبذله لها من ألفة ومؤازرة بنظر الاعتبار ولكنه لا يحل محل الأب لما بين الزوجين من علاقات جنسية.

نعود إلى موضوع بحثنا، فمن الأمور الأخرى التي تدخل في إطار التغيرات التي تحدث في المواضع الشهوية لدى المرأة هو انتصاب حلمتي الثديين والهالة التي تحيطهما، ويزداد هذا التطور وضوحاً كلما ازداد حجم الثدي، وتبرز نتوءات صغيرة على الثدي عند اشتداد تهيج المرأة وقد تؤدي إثارة الحلمة إلى ظهور هذه المؤشرات في البظر وشفري الفرج أيضاً وهو ما يخرج عن نطاق بحثنا هذا.

ومما يجدر الإشارة إليه هو اتساع قناة المهبل وإفراز الترشحات

---

١ ـ سورة البقرة، الآية ٢٢٢.

المهبلية تأهباً للجماع إثر المداعبة والتهيج. وأن كبر أو صغر القضيب لايؤثر في زيادة استحصال اللذة أو إنعدامها إلا أذا لقنت المرأة نفسها بذلك نتيجة تصوراتها الخاطئة.

ويتحرك عنق الرحم عند الجماع في جميع الاتجاهات وكأنه يبحث عن شيء معين وكذلك رأس القضيب حتى تلتقي فتحة الحشفة بفتحة عنق الرحم الأبرية الشكل فيسهل انسياب المني في الرحم. ومما يثير العجب أن حركات عنق الرحم تشتد منذ عدة أيام تسبق انفجار البويضة. ويندفع الرحم عند الرفث نحو الأعلى وإلى الأمام ليتخذ الوضع الأفضل لاستقرار البويضة وكذلك لدخول الحيوانات المنوية وحركتها بسهولة.

إن ما يهمنا في هذا البحث هو التغيرات العامة التي تطرأ على جسم المرأة عند الإنعاظ ووصول الشهوة الجنسية إلى ذروتها، وقد سجلت التقارير ظهور حبيبات في الساعدين أو في رقبة المرأة أو انقباض عضلات كافة أنحاء جسمها عندما تكون المرأة على هذه الحال التي لاتصل إليها إلا بالتناكح خلافاً للرجل. وهي تختلف عنه كذلك في أنها قد تنعظ لأكثر من مرة خلال الممارسة الواحدة وقلما يرضيها الإنعاظ لمرة أو مرتين، ولهذا يقال أن الإنعاظ ليس هدفاً أو غاية للمرأة بل يغدو هدفاً وغاية متى ما ظهرت لديها الاستجابات الخاصة بإخلاء الرحم والولادة والإنجاب.

وبينما نجد أن المرأة لا تنعظ تحت طائل المثيرات الحسية فقط وأن الرجل لايستغني عنها (المثيرات الحسية الفسيولوجية)، فإن المرأة قد تنعظ بتأثير الاستدعاءات النفسية والخيالية خلافاً للرجل (ويستثنى مما

ذكر دعك بظر المرأة بالقضيب المنتصب والاستمرار في ذلك، إذ قد تنعظ المرأة إثره دون تدخل المؤثرات النفسية).

وبعد درك كنه الحديث النبوي الشريف «المرأة عـورة»، باستقراء مـا سبق من مؤشرات، نفهم عظمة نظام الخلق وبراعته فـي الحـفاظ عـلى ديمومة الأجيال. وهنا أكرر ما ذكرته في المجلدات السابقة في أن من حق الإنسان أن يغتنم كل ما يثمره نظام الخلق باعتباره أمانة لديه حسب تعبير القرآن الكريم، أي أن الإنسان جُبل فطرياً على الاختيار وقد أنعم الله عليه برفده بالقوانين والتعاليم الصحيحة التي ترشده إلى الصواب عن طريق بعثة الأنبياء والمرسلين، والعلم بمنجزاته يكرر ما نطق به الأنبياء والمرسلون على لسان عامة الناس.

شهر العسل

كثيرة هي الطباع والعادات والعلوم و... التي اكتسبها العالم الغربي من الإسلام، ولكنه عداء منه لهذا الدين العظيم غير هيكليتها زمنياً أو مكانياً أو من حيث الوضع والحالة. وقد أشرت إلى العديد منها في المجلد الثاني وأضيف هنا أنهم استغلوا الهدوء والسكينة التي تعم المسلمين في صفوف صلاة الجمعة، عندما تقف مئات الآلاف منهم مقتدية بإمام يقرأ السورتين دون أن تبدي أية حركة وكأن الجماعة في المسجد تعجز بأسرها عن النطق ويستثنى منها فرد واحد يؤمها، فاتخذوا مثل هذه الوقفة إعلاناً عن الشعور بالحزن في الأتراح واقترحوا الالتزام بالصمت لعدة لحظات لتطييب أرواح الموتى، وكان هذا بغية تشويه روعة انسجام المسلمين إبان إقامة صلاة الجماعة.

ومن الأمور الأخرى المأخوذة عن المسلمين هو شهر العسل الذي يتصوره الجميع هدية قدمتها إحدى الدول الإستعمارية للعالم بينما شرحت عند تطرقي لموضوع المهر والصداق وذكري الآية الشريفة

﴿وآتوا النساء صدقاتهن نحلة...﴾[1] العلاقة بين النحلة من جهة والصداق والمهر والنحل (بفتح النون) والعسل، وهنا أضيف إلى ما سبق أن القرآن قد أتى بكلمة «العسل» وحلاوته بالإنابة عن منتجه (النحل) بعد كلمة «الصداق» مباشرة، ونحن نقرأ كلمة «عسيل» مراراً في المؤلفات الشيعية والسنية على حد سواء، والعسل (على وزن فعل) والعسيل على فعيل يختلفان عن بعضهما في الكمية في البحث المنطقي المحدود حول الكلمة ولكنهما عملياً متشابهان من حيث النوعية إطلاقاً، وتستخدم الكلمة في اللمعة الدمشقية ووسائل الشيعة للشيخ الحر العاملي وسائر كتب أهل الشيعة وأسد الغابة و... من مؤلفات أهل السنة، بمعنى التلاقح وحلاوة التناكح، فقد قال النبي صلى الله عليه وآله: «تذوق عسيلته ويذوق من عسيلتها»[2].

ومما يلفت النظر في الإسلام أمور ثلاثة:

السفر وفوائدة التي ذكرت في شعر ينسب إلى الإمام علي عليه السلام، جاء فيه:

تغرّب عن الأوطان في طلب العلى ... وسافر ففي الأسفار خمس فوائد

تفرُّجُ همٍّ واكتساب معيشة ... وعلم وآداب وصحبة ماجد

فإن قيل في الأسفار ذل ومحنة ... وقطع الفيافي وارتكاب الشدائد

فموت الفتى خير له من قيامه ... بدارِ هوانٍ بين واشٍ وحاسد

---

١ ـ سورة النساء، الآية ٤.

٢ ـ اللمعة الدمشقية، أبواب أقسام الطلاق وأحكامه، ص ٣٦١.

إن السفرة التي تضم فتى من عائلة ما وفتاة من عائلة أخرى وترحل بهما بعيداً عن القيل والقال والتدخلات والمناقشات وتسمح لهما أن يقضيا عدة صبيحات معاً يتعاشقان ويتذوقان العسل كما تذكر الأحاديث النبوية والروايات المنقولة عن الأئمة الأطهار عليهم السلام تذيقهما لذة الحياة الزوجية وتعزز في نفسيهما روح التمسك بها. ان العسيل وحلاوته الجزئية والدالة على الإطلاق في الوقت ذاته، يعبر عن نوعية راقية رغم كميته الضئيلة.

والآخر: عدم استحسان السفر دون موافقة أبوي العريسين إذ يستحسن للعريس فيما لو أخبره أبواه أنهما لايوافقان على سفره أو يطلبان منه التأجيل أن يطيعهما، ولا تستثنى هذه القاعدة إلا في سفر واجب كالحج.

اما عن الزمان المناسب لشهر العسل فقد تكلمنا عنه في المجلد الخامس الذي أسهبت فيه الحديث حول العسل وجاء فيه علاقة العسل بالزواج، فبعد التفرغ من مراحل المراسيم الأولية وما تتطلبه من ذهاب وإياب والحفلات التي تليها ثم الزفاف وما يتضمنه من ضجيج وإرهاق يأتي دور شهر العسل حيث الإنفراد والتحابب والسكون والهدوء واختلاء كل من الزوجين بالآخر. ولتحسين الأجواء تمت التوصية بـ«يذوق من عسيلتها».

وهنا نعود إلى النظريات التي تقول أن الدين بمعزل عن السياسة بينما الإسلام توغل في شؤون الحياة حتى أوصى بشهر العسل الذي ادعي أنه

من إبداعات الغربيين، فهل يا ترى بمقدورهم أن يعثروا على جانب واحد من الحياة لم يكن للإسلام دور أو رأي فيه (يبغي به تـحسين أوضـاعه القائمة)؟، إنهم يرغبون في إبعاد الإسلام كسائر الأديان السماوية المحرفة ـوالتي تخالف العلم ظاهرياً في بعض الحالات ـ عن الحـياة السـياسية ليتأتىٰ لهم القيام بما يحلو لهم بعيداً عن السـياسة التـي يـضع الإسـلام أسسها.

تبعات نفسية لجماع الزوج بشهوة الغير

نظراً للأهمية الفائقة التي تحوزها النفس للجسم فقد اعتنى الإسلام أيضاً بالنفس أكثر من الجسم بنحو حدا به للتأكيد على ضرورة الامتناع عن ارتكاب الآثام أو التدنس أو تناول أطعمة محرمة أو متفسخة أو من محاصيل الفسقة والفجرة قبل الجماع وعلى عدم جواز مجامعة كل من الرجل والمرأة مع زوجه آخذاً غيره بنظر الاعتبار وقد أفرد باب لهذا الموضوع في الكتب تحت عنوان:

«باب كراهة جماع الزوجة بشهوة إمرأة الغير».

وأوصى نبينا الكريم ﷺ الإمام علياً عليه السلام قائلاً: «يا علي لا تجامع إمرأتك بشهوة إمرأة غيرك»[1].

وعلى هذا الصعيد ذكر المؤلف اليوناني «هليودر» في كتابه تحت عنوان «الحبشيون» قصة الملكة «پرسينا» المدهشة. إن هذه الملكة

---

١ ـ وسائل الشيعة، ج ١٤، ص١٨٨.

ورغم كونها وزوجها من الحبشيين السود ولم يرد في شجرة أنسابهما اسم شخص كان من غير السود فإنها أنجبت طفلاً أبيض البشرة، وكشف فيما بعد النقاب عن أنها كانت على علاقة برجل أبيض قبل انعقاد نطفة الطفل وأن تأثيره فيها كان بدرجة من القوة بحيث سرى مفعوله في الطفل بعد تناكحها مع زوجها وإنجابها طفلاً منه.

وفي عام ١٩٢٥ قدم الدكتور «شارون» تقريراً عن حالات مماثلة لمثل هذا التأثير لم يحظ بالاهتمام حتى أردف تقريره بتقرير الدكتور الفرنسي «لاموئنت» الأخصائي في الأمراض النسائية المقيم في الجزائر آنذاك الذي تطرق في تقريره لست حالات «تشابه غير مبرهن» لمواليد تم إنجابهم ـ من قبل نساء يعاني أزواجهن من العقم ـ باللقاح الصناعي مع الاستعانة بحيوانات منوية لرجال غرباء لايمتون بأية علاقة لأمهات الأطفال، فقد كان لهؤلاء الأطفال شبه إلى حد بعيد مع أزواج الأمهات رغم أنهم ليسوا أبناءهم في حقيقة الأمر.

وبينما تعتبر هذه القضية في الوقت الحالي من الأمور المستعصية في علم الأحياء، وضحها الإسلام قبل (١٥) قرناً ليس بما يخص الإنسان وحده بل حتى الأوضاع والقوانين المؤثرة في صفات الحيوانات المكتسبة من البيئة. يروى أن النبي موسى عليه السلام ولكي تبلق أغنامه كان يربط الالواح المتواجدة أطراف المراتع التي يأخذ إليها أغنامه التي فحلت، بأحبال بيضاء وسوداء ملتفة حول بعضها، وهذا ما دعاني لاستخدام عبارة (الصفات المكتسبة من البيئة).. وقد سبق الإسلام العلوم في الإشارة إلى انتقال الصفات والسجايا والهيئة الظاهرية إلى الأبناء من

الأبوين بل من أفكارهما وكذلك من خصائص البيئة.

أعتقد أن القراء الكرام بدأوا في هذه المرحلة من البحث في مسايرة أفكاري على وجه خاص، وإن كانوا قبل هذا في عجب من شعاري «يستلزم للطفل قبل انعقاد النطفة مرب حسن» أو يشكلون علي في مضمون هذا الشعار فإنهم الآن قد أعادوا النظر في اتجاههم وأدركوا أن افتقاد المربي الحسن والولي الصالح قد يملي على الأبناء الاتجاه نحو الغير والخروج عن دائرة إرادة الأبوين وبالتالي عن القاعدة «الأبناء مرآة لكافة خصائص الأبوين»، وقد ينحرف الأبناء عن المسار الصحيح إثر أدنى إغفال عن ضرورة التكيف والتواؤم مع نظام الخلق والفطرة رغم تطابقه تكوينياً معهما.

ومن القضايا المهمة الأخرى أن الإسلام، أجل هذا الإسلام الذي تنص تعاليمه على معاقبة المذنب وإثابة من أتى بأفعال الخير، أردف بأن من يهم بارتكاب الذنب دون أن يلوث به ويفعل ما عزم عليه تغفر له زلة أفكاره إذ لايعاقب عليها بينما يثاب الإنسان فيما لو نوى القيام بفعل حسن ولم ينجح في إتيانه. المدهش جداً في هذا الأمر استثناء الجماع عن هذه القاعدة.

إن مجامعة أي من الزوجين زوجه بشهوة غيره إثم في الإسلام الذي يحرم هذا التفكير، وهنالك الكثير ممن لاينعظ إلا بتفكيره واندماجه في تصور شخص آخر، فالشاب ذو الميول الجنسية المثلية يتخيل رجلاً أمرد أو قد يتخيل رجلاً طاعناً في السن كان في فترة من فترات حياته أمرد أو

إن لم يكن على هذه الحال فإنه يتصور في مخيلته أنه يحتضن فتاة أو إمرأة كان يرغب في الزواج منها.

ومما يثير العجب أشباه المؤمنين أي اولئك الذين يدعون الإيمان ولكنهم يضفون صفة الشرعية ويلصقون بالدين كل ما يبدو لهم صحيحاً وأعني بهم الذين يذكرهم القرآن في الآية الشريفة ﴿أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا و...﴾[١]،﴿مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلاً﴾[٢]. ولا ننسى أن أشباه المؤمنين هم أفضل من أشباه الملحدين نظراً للقيمة المتمثلة في شبه الفريق الأول بالمؤمنين وما يعتلج قلوبهم من الإيمان.

وبين أشباه المؤمنين كذلك ثلة من الرجال لم تكن لها علاقات غرامية مع الجنس الآخر ولكنهم يتصورون أنهم بحاجة إلى تخيل احتضانهم لرجل أو إمرأة غير الزوجة لبلوغ الإنعاظ وقد تحدث هذه الحالة لدى النساء أيضاً ممن مارسن السحاق أو من ذوات النشأة الخاطئة. والمقصود بالنشأة الخاطئة هو أن تترعرع الفتاة متطبعة على التهرب من الذكور إذ يتم إرعابها في النظام التربوي الذي تشب عليه بدلاً من تحذيرها من مساعي الإغواء ومن الانخداع، وتحت وطأة هذه الأفكار المتعشعشة في الدماغ تركن الزوجة أثناء الجماع نفسياً إلى الممارسة الانفرادية بواسطة

---

١ ـ سورة البقرة، الآية ٨٥.

٢ ـ سورة النساء، الآية ١٤٣.

التخيل كما يفعل المستمنون فتتصور نفسها في أحضان شخص ما أي أنها تلوذ بالانفراد حتى عند ممارسة النكاح مع زوجها وتكتفي به وهي في غفلة عن أثر الأمواج الناجمة عن الجماع الطبيعي السليم في أعـصاب الدماغ وهي تخالف الحالة هذه تماماً.

لاحظتم أن الإسلام لايعاقب على انعقاد النية السيئة لو لم تخرج من طور القوة إلى الفعل، فالرادع الذي يحول دون تدنس المرء هو العـائق الذي يسد الدرب بوجه وسواس الإثم مرة أخرى والتوبة هي التي تقمع الهواجس الدنيئة التالية، بينما يعتبر تخيل شخص غير الزوج (خيالياً أو واقعياً) أثناء التناكح، إستمناء. إن من اعتاد أن يكون المـواقـع (بكسـر القاف) والمواقع (بفتح القاف) في الوقت نفسه لايلتذ بـأن يكـون أحـد هذين الشخصين. الجدير بالذكر أن الرجال لايرغبون أبـداً فـي تـخيل شخص ثنائي الجنسية بينما قد تتخيل بعض النساء مثل هذا الشـخص أثناء الجماع.

المبادئ الصحية قبل الجماع

إن هذا الموضوع يدور حول أصعب جوانب الاستعداد للجماع، فقد يستغرق تعرف المرأة على النكهة التي يلتذ الرجل من استشمامها من زوجته مدة طويلة وكذلك الرجل ربما لايخمن أي الروائح تثير شهوة زوجته إلا بعد سنوات عديدة من زواجه.

هنالك فريق من الرجال يلتذ برائحة إبطي زوجته وإن كانت كريهة أو رائحة جسمها وإن بعثت على التقزز، ويعود ذلك احتمالاً إلى استشمامه رائحة كريهة من إبط عشيقته في أول انطباع غرامي استشعره ولكن رائحة الفم الكريهة والتي تنجم عن تسوس الأسنان أو التهاب اللوزتين أو الرئتين وكذلك النفحة السيئة في المنطقة التناسلية الحساسة والتي يبعثها عدم الالتزام برعاية أسس النظافة وتراكم الأوساخ والترسبات الأخرى في ثنايا الجلد أو الرائحة المنبعثة من بقايا آثار الطمث أو البول أو الترشحات المهبلية المخاطية لاتطيب لأحد، ولهذا يفترض غسل الأسنان قبل المبادرة للجماع، الأمر الذي شدد الإسلام على ضرورة رعايته وكأنه واجب مفروض. وقد استعرضت في المجلد (١٣) إلى

جانب ذلك الأشياء التي يمكن مضغها بغية إضفاء رائحة طيبة الفم.

وللتخلص من الرائحة الكريهة في الأعضاء السفلى من الجسم لابد من غسلها بماء فاتر وصابون ذي رائحة زكية ويفضل غسل الجسم برمته لأنه يكتسب بالاستحمام نكهة خاصة يلتذ باستنشامها جميع الأزواج.

الجدير بالذكر أن الزوجة السليمة، غير ملزمة بهذا العمل قبل الجماع ويجب تحذرها من دخول المكروبات إلى المهبل، ويمكن الاستغناء عن الصابون والاكتفاء بالماء الطلق في الغسل بعد الممارسة. ويتوجب على الزوج إن تمت هذه المواقعة (لاسامح الله) في دبر الزوجة، أن يمتنع قبل الاغتسال عن رفثها ثانية في القبل لأن ذلك يسبب انتقال جراثيم ومكروبات الأمعاء إلى الجهاز التناسلي ويتوجب عليه غسل القضيب بالماء والصابون عدة مرات قبل مرور أربع ساعات على ذلك. كما أن ممارسة الجنس مع الغواني حتى لو كان في القبل يزيد من احتمال الإصابة بمرض السيلان (Gonorrhoea) وأمراض الزهري (السفلس «Syphilis») إضافة إلى الإيدز الذي يكثر التنبيه إلى التحذر منه والوقاية من الاصابة به عن هذا الطريق.

إن رعاية التحذيرات الآنفة الذكر تقي المسلمين من التورط في الكثير من المشاكل وعلى رأس هذه الوصايا الغسل بعد الجماع والذي يطالب الإسلام بالإسراع إليه، وكذلك يستحب إلى جانب الإسراع، الاغتسال وإتيان الغسل بعد كل مواقعة وإن مورست أربع مرات في الليلة الواحدة. يروى أن رجلاً جاء الإمام علياً عليه السلام وأبلغه أن زوجته حملت طفلاً رغم أنه كان يحاول منع حملها بالعزل فسأله الإمام علي عليه السلام إن كان يغشى

زوجته لأكثر من مرة دونما اغتسال بينها فأجابه بالإيجاب فأردف عليه السلام بأن هذا هو سبب حملها.

ونحن على علم بأنه يفترض على الرجل بعد وطء زوجته التبول وغسل القضيب جيداً نظراً لاحتمال بقاء بعض الحيوانات المنوية في القناة والتي قد تعمل على تلقيح بويضات المرأة في المواقعات التالية.

لايخفى أن إهمال رعاية أصول النظافة يؤدي بالرجل إلى التعرض للإصابة بأمراض مكروبية جرثومية من قبيل: (الزهري، السيلان، القرح اللين، الالتهابات و...) أو طفيلية (مثل النمو الحبيبي التقرحي «Granuloma Inguinale») أو فايروسية (كتضخم القضيب)، وبالمرأة إلى الوقوع في شراك أمراض جرثومية (مثل إلتهاب المهبل) أو فايروسية (تضخم البظر) أو طفيلية (التهاب المهبل المصحوب بحكة) و... .

ولابد لنا من الإشارة إلى حساسية بعض الرجال بالنسبة إلى الطلاءات أو مواد ومساحيق التجميل التي تستخدمها المرأة ولهذا يذكر بعض الرجال عند مراجعة الأطباء أنهم يصابون بحكة في شفاههم أو وجناتهم أو وجوههم عامة بعد كل عملية جنسية يمارسونها.

ومن الأمور الصحية الأخرى التي يفترض رعايتها تفريغ المثانة من البول بعد كل مواقعة وهو ما تتضاعف أهميته لدى المرأة أكثر من الرجل.

إنذار هام

قد يصادف في بعض الحالات أن تمتنع المرأة أو الرجل عن

الاستفسار حول موضوع ما، خجلاً منه ويواجه عندئذ بالعبارة «لا حياء في الدين» عادة، وأنا إنما أتطرق إلى هذا الموضوع من باب «لاحياء في الدين» وضرورة توضيح هذه القضايا بالنسبة للمتزوجين.

بغض النظر عن حكم مواقعة الزوجة في دبرها واختلاف هذا الحكم لدى مراجع التقليد إلا أنهم لم يذهبوا إلى أقل من كراهتها بـل يـعتبرها أكثرهم حراماً، والعلم كذلك يحذر من تبعات مواقعة المرأة فـي دبـرها. وسوف لن أسهب الحديث حول ذلك لأنني تطرقت إليه في بحث اللواط ولكنني وبالنظر إلى أهمية الموضوع سأكرر إنذاري الهام وأؤكد ثانية أن خروج القضيب من الدبر يكون مصحوباً لامحالة بعدد ضخم من البكتريا المرضية التي تنتقل في حالة الجماع في القبل دون الاغتسال إلى الجهاز التناسلي وإصابته بأمراض نسائية وخيمة.

إن إصابة المرأة بالتهاب الجهاز التناسلي يأتي عليها بعواقب لاتحمد، تزيد عما يتعرض له الرجل عند التهاب جهازه التناسلي. ولابد للرجل إن عقد العزم على رفث المرأة في قبلها بعد غشيانها في دبرها أن يبادر قبل البدء إلى غسل القضيب بالماء والصابون جيداً. وغسل هذا المحل عدة مرات بالماء والصابون (في مثل هذه الحالة) قبل مرور أربع ساعات على الجماع الأولي يقي كلا الزوجين شر الإصابة بالتهابات الجهاز التناسلي، وينطبق الأمر على ممن يقارب الغواني (لاسامح الله) في القبل أيضاً.

ويتوجب التبول بعد الجماع لأن تغير وضع الوسط الحامضي في القناة يهيئ الأرضية لتراكم الرسوبات ونشاط المكروبات والإصابة بالالتهابات

أو تكوّن الحصى في المجرى.

ومما لاتجيزه الأحكام الشرعية وتهتم به العلوم الطبية بشكل كبير الامتناع عن القذف الذي قد يستهدف العزل إلا أنه يخالف متطلبات وضع الغشاء المخاطي الداخلي في القضيب، فالقناة الداخلية تتسع إثر الضغط الذي يولده بقاء المني فيها والپروستات المحتقنة بالدماء تتضخم بعد مواصلة هذه العملية باستمرار، والأهم من هذا الوضع التكويني للغشاء المخاطي في مهبل المرأة وحاجته إلى امتصاص المني المقذوف به من قبل الرجل مما يزيد من حيوية المرأة ونضارتها خلافاً لتصببه في أمعائها وما يؤول إليه من تبعات تفقدها هذه الحيوية والنضارة. إن القناة الداخلية في الرجل تعجز تكوينياً عن الاحتفاظ بالمني بعد الإنعاظ.

أما عن الغسل بعد الجماع واستحبابه في الإسلام بعد كل مرة فضلاً عن وجوبه للإتيان بالفرائض وعن رأي بقية الأديان السماوية فيه فهذا ما ذكرته في المجلد (١٣)، وعلى الراغبين في استحصال المعلومات الكافية عن ذلك مراجعة المجلد المذكور.

قضية أخرى من قضايا الجماع

سبق أن ذكرت أن النبي قد مثل المنعظ بمن فقد ثلثي عقله، كما تؤكد الكتب العلمية بما فيها من أبحاث وتقارير أن مستوى الوعي ينخفض أثناء العملية الجنسية بسبب هبوط فاعلية الحواس والمشاعر ويستثنى من ذلك أحاسيس الإثارة، وهذا ما دعا نبينا الكريم ﷺ لتحديد نسبة

فقدان الفاعليات الإدراكية إلى فاعلية الشعور بالإنعاظ بالثلثين إلى الثلث ثم يصل من ذلك إلى استنتاجات تؤكد على درجة اهتمام الإسلام بالجانب المعنوي من شخصية الإنسان.

ومما يثير الدهشة أكثر من غيره الدقة المتوخاة في تعيين نسبة الثلثين إلى الثلث والناجمة بالضبط عن تأثير استدعاءات الإثارة الجنسية عكسياً في انخفاض وهبوط فاعلية بقية الحواس والمشاعر. إن الإسلام الذي اعتمد منطق الكلية في ذكر مثل هذه المحاسبات يتوخى الدقة في مثل هذه الحالة وإلى هذا الحد إذ ينشط الثلث المتبقي كلما ازدادت قوة الثلثين ليحتفظ بنسبة إزاءهما دوماً.

إن الشعور باللذة الجنسية يتراوح في شدته مع كنه وقوة كل من الإثارات الحسية والنفسية، القابلية الفسيولوجية المتوارثة، الاستعداد النفسي ومدى الاستجابة للاستدعاءات، قوة الارتكاسات الجنسية عند الإنعاظ، القذف، الخبرات الجنسية، التنوع والتحديث في الممارسة الجنسية، الوقت المستغرق قبل بلوغ الإنعاظ بشكل متوال أو متناوب، مدى الشهوة ودرجة الرغبة في الممارسة، النظرة إلى الجماع باعتباره إثماً أو لا، وغيرها من العوامل التي لايؤثر دور كل منها في النسبة التي أشار إليها الرسولﷺ مهما بلغت فاعليتها، فالثلث المتبقي ثابت وكفيل بإنقاذ صاحبه من التدنس والتخبط في مستنقع الآثام فيما لو هم بفعل بذيء خطأ منه (من قبيل الزنا أو اللواط).

ما يستهدفه العلم والدين من التزاوج

ذكرت مراراً أن العلم ينطق بأحاديث الانبياء على لسان الناس، وهنا ألفت أنظار القراء إلى ثمرة من ثمار الدين جنيت من مزرعة العلم.

ذكرت فيما سبق أن البلوغ أو النضوج الديني والبلوغ الجنسي لايحدثان بفاصل زمني ليكون بإمكاننا ربطهما بشكل أو بآخر ببعضهما بل تتحدد قدرتنا على ربط الخصائص النوعية والكمية في البلوغ الجنسي معاً. ولولا طمس معالم الدين الإسلامي من قبل أعدائه بعد وفاة الرسول ﷺ ومساعيهم في الوقوف بوجه استلام القيادة الدينية من قبل الإمام علي عليه السلام وأبنائه الأحد عشر لدر علمهم بعد رحيل الرسول ﷺ عن الدنيا، بثمار الوحي خلال مسيرتهم نحو مواصلة درب النبي ﷺ ومنع بروز مثل هذا الفاصل العميق، ولهذا أقول أن العلم ينطق بأحاديث الأنبياء على لسان الناس.

إن تحمل أعباء الرسالة مسؤولية يتعهد بها كل شخص مؤمن عالم ولكنها لاتقوم على أساس بعثة رسول مصطفى بل على استلهام اكتسابي لرسالي ينتمي إلى الفريق الذي قال عنه الرسول ﷺ: «علماء أمتي

كأنبياء بني اسرائيل»، رسالي من جمهور ما زال يتحمل أعباء مسؤولية الولاية التي تستهدفها سهام المغرضين الذين يروّجون لعدم كفاءة المذهب الشيعي لتقلّد الوسام الإسلامي ولكنهم عند مطالعة مجلداتي الثمان التي ألفتها حول قضية الولاية يدركون أنهم أبصروا غمامة صغيرة من بعيد فتصوروها جبلاً شامخاً، والغمام مهما كثر وازداد تزيله الرياح وينجلي الحق.

إن المرء يبلغ جنسياً عندما تنشط غدده الجنسية فتثير مشاعره التي تستهدف الحفاظ على النسل، والبلوغ أو النضوج الديني أعلى شاناً من البلوغ الجنسي لأنه يعني اهتمام الإنسان بالتزام جانب الحق، والحق أسمى من النسل دون أدنى ريب. ويستثنى من ذلك المجانين، وهذا إعجاز إسلامي أخذ عدم استهداف هذه الثلة الحفاظ على النسل بالحسبان فمنع تزويج المجنون والمدمن على المشروبات الكحولية والمصاب بمرض الزهري (السفلس).

وفي سياق حديثي عن الشراب ألفت انتباه إخواني المسلمين إلى مجمل ما جاء في كتاب «الحضارة في بوتقة الاختبار» للمؤلف «آرنولد توين بي»، إنه يطالب الدول الشقيقة للقبض على معصمي الرسول الكريم ﷺ وليهما للانقضاض على رمزي انتصاره وهما مكافحة التمييز العنصري وتحريم المشروبات الكحولية أي أنه (توين بي) دعا الدول الصديقة لإثارة التفرقة وتوفير الأرضية اللازمة لإقبال الشباب المسلم نحو الإدمان على الشراب. فتعالوا إخوتي المسلمين ننقذ دين محمد ونقف بوجه كل من يرغب في ليّ معصميه الشريفتين.

بحث علمي آخر

ذكرت أن باطن المخلوقات جميعاً أجوف والأجوف بحاجة لأن يمتلئ والممتلئ الوحيد هو الله الصمد المنزه عن كل حاجة، والمدهش أن كلام الله مثل ذات الله غني عن حاجته إلى الامتلاء بل يملأ سواه بما يشعره تارة بالأمل وبحب الله وتارة بالخوف منه. فالعبارة القرآنية التالية﴿**وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولايزيد الظالمين الا خساراً**﴾[1] تداعب المشاعر فيما يخص الايمان وتعتبر غولاً فتاكاً بالنسبة للظلم والظالمين، والآية ﴿**... لا تضار والدة بولدها...**﴾[2] تحثني للتأكيد على ضرورة تجنب الإضرار بالمتناسل أو بالنسل في عملية الإنسال لأن الضرر بؤرة الدمار والعملية الجنسية تلحق أضراراً جمة بكليهما فيما لو لم تتم بصورة صحيحة أو دون توخي الدقة في كل ما يتعلق بالإنجاب قبل أو أثناء ممارستها، وقد قدمت شرحاً للكثير من هذه القضايا ومنها على سبيل المثال آثار تناول بعض الأطعمة.

والقاموس الإلهي يعتبر الإضرار بالمرأة إضراراً بالنوع البشري، بالنسل وبالمجتمع بأسره، وبما أنني أتطرق إلى الجماع في هذا البحث سأذكر موضوعاً خاصاً أستند فيه إلى القرآن الكريم:

---

١ ـ سورة الإسراء، الآية ٨٢.

٢ ـ سورة البقرة، الآية ٢٣٣.

ذكرت أن النساء أكثر تعرضاً لقمطة وتقلص الأجزاء السفلى من الجهاز الهضمي بسبب إصابتهن بالالتهابات الناشئة عن تورم العقد اللمفاوية المستقرة في المقعد والحوض. وقد يصاب الرجال بمثل هذه الحالة نتيجة ممارسة اللواط.

وأخيراً نعود للتشديد على ضرورة الانتباه إلى رعاية مقتضيات الآية: **﴿نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم﴾**.

الإنعاظ

القذف من المؤشرات الواضحة على بلوغ الإنعاظ لدى الرجال ويصاحبه انقباض كافة عضلات الجسم بينما تبدأ بعد التفرغ من القذف هزة الجماع وتبدو جلية في الأعضاء التناسلية (المهبل، الرحم، القضيب، البيضة) أكثر منها في بقية أعضاء الجسم (سبق وأن ذكرت أن الإنعاظ يحدث دون إنزال لدى رجل من بين كل أربعة آلاف رجل). الجدير بالذكر أن حالة الإنقباض العام وظهور الهزة تبرز لدى الأفراد قبل بلوغ الحلم دون القذف الذي يختص بمرحلة ما بعد البلوغ.

والإنعاظ يدل على الإشباع الجنسي، والملفت للنظر هو أنه رغم القواسم المشتركة بين الإنسان والحيوان فيما يخص هذه العملية إلا أنه هنالك فارق بيّن بينهما في هذا المجال وهو عدم إنعاظ الإناث من الحيوانات خلافاً للمرأة التي تشهده بوضوح فتعلن عن نزول سائلها بعد إنعاظها مباشرة في عملية استجابة تشابه العطسة إلى حد بعيد.

الشعور بالارتياح خلال الممارسة الجنسية

يتعرض كل فرد راشد لايبلغ الإنعاظ من الرجال والنساء إلى ظروف عصبية وآلام عضلية جمة، فتكون أعصابه هائجة ويعاني من آلام تحت البطن وفي الظهر. وقد تسري هذه الآلام إلى الأعضاء التناسلية وتضعف قوة التركيز لديه بينما تزداد حيويته بعد ممارسة النكاح والإنعاظ إثر اشباع غريزته الجنسية وتخلصه من الضغوط النفسية وشعوره بالارتياح الروحي. ومن الاضطرابات والحالات النفسية الناجمة عن عدم الإنعاظ: الشعور بالندم واليأس، العزم على الانتحار، الإجرام، الرهاب والخجل المفرط. ولايخفى أن جميع هذه الحالات ترتبط ارتباطاً تاماً بمبادئ الفرد وعقائده.

إن الموظف الذي يحب الناس ويلتذ بأداء واجبه إزاء المراجعين، لايشعر بالضيق والإرهاق من تيسير شؤون كل منهم أو بأنه سيصاب تحت وطأة العبء المهني بالجلطة القلبية خلافاً للموظف المتقاعس الذي يشمئز من رؤية المراجعين. وهكذا الإشباع الجنسي يرتبط تماماً بالمبادئ فكل من أخلص قلبه للإسلام يُرضخ شهوته لشخصيته التي لاتتحدد بنطاقه الضيق بل تتسم بمنتهى السعة نظراً لاتصالها بالذات الالهية المطلقة ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى﴾[1] وهذا ما يدعمه بالقدرة على استحصال الشعور بالارتياح رغم عدم ممارسة الجنس عندما يخاف التدنس بالآثام أو

---

١ ـ سورة النازعات، الآيتان ٤٠و٤١.

يشعر باقترابه منها، ولهذا لايجوز إغفال دور العوامل الاجتماعية التي تحتل الصدارة في جميع الأديان والمذاهب.

إن الإحصائيات تشير -للأسف الشديد- إلى إهمال الوصايا المفترض رعايتها أثناء العملية الجنسية من قبل المؤمنين حتى تلك التي أكدت الأديان السماوية على ضرورة أخذها بنظر الاعتبار. ومما يثير الدهشة أكثر بروز هذه الحالة لدى النساء أكثر من الرجال. ويتوجب على المسلمين رجالاً ونساءً لاسيما المؤمنين منهم العمل على نبذ حالة الإغفال عن الشؤون الدينية في الممارسات الجنسية باكتساب المعلومات الوافية عما جاء به الإسلام في هذا الإطار.

والتعليم والتربية من العوامل المؤثرة الأخرى في هذا المجال وتدل المؤشرات على أن الكثير من المثقفين ممن لايخلص في التزاماته الدينية قد مارس الاستمناء قبل الزواج وينخفض معدل هؤلاء الأشخاص بشكل ملحوظ بتدني المستوى العلمي لديهم. أما عن المداعبة والملاطفة فإنها لاتتأثر بالتحصيل العلمي حيث لاينحصر إتيانها بالفئات المثقفة من المجتمع وقد يتعلم الأمي أساليبها وأنواعها عفوياً من هنا وهناك بينما يجهلها مثقف في بعض الأحيان.

وينطبق هذا الاستثناء على الإناث أكثر من الذكور حيث يتأثر سلوكهن الجنسي بالعمر أكثر من أي عامل آخر، وقد تلجأ فتاة بدوية تتصف بالفظاظة إلى مداعبة زوجها وإثارته إلى حد يجعلها تستلم زمام الامور أثناء هذه العملية رغم عنفوان شباب الزوج، على العكس من الفتيات المثقفات البعيدات عن الفظاظة حيث تكون غالبية ممارساتهن

الجنسية عارية عن الإثارة الشديدة أو المداعبة. ويتباين على أية حال أثر السكنى في المدن، الأرياف والبوادي على النشاط الجنسي للرجال عنه في النساء.

ان المشاعر الجنسية وكما سبقت الإشارة إليها تتباين لدى كل من المرأة والرجل مثل تهيج شهوة الرجل لرؤية منظر فعل جنسي بين إنسانين أو حيوانين وعدم تأثر المرأة به. لايخفى أن من الرجال من تثار شهوته برؤية منظر مواقعة الإنسان للحيوان ومنهم من يشمئز لرؤيته. ونوهت كذلك إلى بعض الفوارق بين الإنسان والحيوان ومنها تشابه ذكور الحيوانات مع الإنسان في قذفها بعد الإنعاظ خلافاً لإناث الحيوانات والتي لاتنعظ أبداً.

ومن الفوارق الأخرى بين الإناث والذكور في كل من الحيوان والإنسان إنعدام التركيز لدى المرأة وإناث الحيوانات خلال العملية الجنسية بينما تتحدد حال الرجل بقلة التركيز. تشير التحقيقات إلى أن القطة الأنثى تتنبه لقطعة الجبن لو وضعت بالقرب منها أثناء الجماع وتبدأ بالتهامها بينما لا يأبه الفحل بها وهكذا بالنسبة لإناث الفئران وذكورها. والمرأة تتبع القاعدة نفسها، فلو وقع بصرها على ما تحب من الأطعمة أثناء الجماع تبدأ بتناوله أو على موضوع جديد تشرع بقراءته أثناء الجماع أو تمعن النظر في الرسومات المنقوشة في السقف و... .

على من يرغب في استحصال المزيد من المعلومات حول الفوارق بين المرأة والرجل مراجعة المجلدات (١٩، ٢٠، ٢١، ٣٣، ٣٤، ٣٥).

برنامج الجماع

لقد تطرقت الأحاديث والروايات إلى الأوقات التي يكره فيها الجماع وإلى الأماكن التي يستقبح فيها غشيان الزوجة وأي الليالي يجوز فيها الرفث والأيام التي يفترض الترك فيها، ولكل امرئ أن يقوم بتحديد المواعيد التي يجامع فيها زوجه اسبوعياً آخذاً بالاعتبار الموازين والظروف الآنفة الذكر وكذلك قدرته الجنسية. إلا أن الإسلام يوصي بعدم الإكثار في ممارسة الجنس بغية التمتع بعمر أطول وحيوية أكبر، حيث جاء عن أحد المعصومين عليهم السلام: «من أراد البقاء ـ ولا بقاء ـ فليباكر الغداء ويجيد الحذاء ويخفف الرداء وليقلّ غشيان النساء»[1].

إن أفضل الطعام وأنفعه ما يتناوله المرء في الصباح الباكر إذ تشير التحقيقات والأبحاث الجارية في مصانع ومعامل عدة إلى أن معدل الإنتاج يزداد ويتحسن نوعه لدى الفريق الذي يتناول أفضل ما يتناوله خلال اليوم في الصباح الباكر كما يقل تعرضهم للحوادث والطوارئ

---

١ ـ عيون الأخبار، ج٢، ص٣٨، أضيف إلى هذه الشروط تقليل الاقتراض في كتاب مكارم الأخلاق.

ومراجعتهم للمستوصفات والمستشفيات.

إن تناول الطعام في الصباح الباكر يعني توفير الجليكوز والمواد الغذائية للجسم الذي استنفد جميع غذائه طوال الليل بأسرع ما يمكن وفسح المجال أمام المعدة لتبدأ إفراز ترشحاتها الهاضمة بهدوء، لأن من يتأخر في تناول فطوره يضطر لترك الدار بغية العمل واكتساب الرزق بعد تفرغه من تناوله الفطور مباشرة فينصرف مقدار من الدم الذي تحتاجه عمليات الإفراز والهضم والتمثل نحو الأعضاء المساهمة في المشي و... وهنالك من يزعم أخيراً أن الغداء هو الذي يساعد على زيادة السمنة لا العشاء. أما عن مقدار الأكل وحجمه ونوع الأطعمة المفضلة لكل وجبة من وجبات الطعام اليومية الثلاث فهذا ما تطرقت إليه في المجلدات السابقة.

أما عن الأحذية المفضلة فقد شرحت مفصلاً في المجلد (١٨) علاقة نظافة الحذاء وحجمه وطرازه بطول العمر، واستندت في بحثي ذاك إلى أن الحذاء هو وسيلة ارتباط المرء بالأرض ويفترض أن تكون هذه الوسيلة مستحسنة من جميع النواحي كي تتمكن من الحفاظ على الأقدام التي تعتبر القلب الثاني في جسم الإنسان من حيث أهمية سلامتها في نهج حياته.

وعن الثياب نقول أنها يجب أن تتطبع بخفة الوزن لأن الثقل يمنع النمو وزيادة الطول في السنين الأولى من العمر ويعد ضرباً من القيود في السنين المتقدمة منه، كما يتوجب أن تتصف بالخفة من حيث السعر أيضاً

لأن التعود على ارتداء الملابس الباهضة الثمن يدفع الإنسان نحو الاقتراض أو يبعث على بروز التمايز الطبقي في المجتمع.

أما التقليل في المجامعة فإنه لايتحدد بميزان أو ضابط خاص معين فقد يمثل الجماع مرة واحدة ليلياً الحد الأدنى لشخص ما بينما يكون لمرة واحدة شهرياً كافياً بل إفراطاً بالنسبة لشخص آخر. فهذا ما يعتمد على الحاجة والقدرة والظروف وموازين البيئة أيضاً، لكن الإسلام لايحبذ ترك الجماع لأكثر من أربعة أشهر.

الجدير بالذكر أن مواعيد الجماع تتحدد بين الأقوام والشعوب المختلفة بما أوصى به قادتهم وعلماؤهم. ونشير هنا إلى ما كتبته إحدى المجلات الأجنبية حول هذا الموضوع سائلين الله أن تكون قد أحرزت صواباً فيما ذكرته عن سائر الأقوام لا كما أخطأت في حق المسلمين :[1]

«تحدد مواعيد الجماع لدى زراتشت واضع المذهب الايراني القديم (ستة قرون قبل الميلاد) بمرة واحدة كل تسعة أيام، وحددها الطبيب الهندي القديم سوسروشاها(ستمائة سنة قبل الميلاد) بست مرات شهرياً خلال الصيف ومرة واحدة شهرياً في الشتاء، وعينه مقنن أثينا سولون (٥٩٤ قبل الميلاد) بثلاث مرات شهرياً، وكان محمد يحدد هذه المواعيد بمرة واحدة أسبوعياً مع كل من زوجاته الأربع أي بمعدل أربع مرات أسبوعياً[2]، والملك داود[3] (ألف سنة قبل ولادة المسيح) بمرة واحدة

١ـ مجلة تايمز بتاريخ ٢٢ جولاي ١٩٦٨، ص ١٢٣.

٢ـ ذكرت قبل هذا أن كاتب المقال أخطأ فيما ذكره حول الإسلام.

أسبوعياً مع كل من زوجاته (الثمانية عشرة)، والدكتور مارتين لوثر بمرتين أسبوعياً و...».

قد يتساءل البعض هل من الممكن للإسلام أن يسلم مقاليد أمر خصه الجميع بقوانين معقدة ومعينة ويعتبر من أهم شؤون الحياة، إلى مدى القدرة النفسية والظروف البيئية دون الإشارة إلى العدد المفضل لكرات ممارسة الجنس شهرياً.

ونرى الحق في ذلك، انه لم يترك في تعاليمه ثغرة على هذا الصعيد بل يحبذ المرتين في كل أسبوع، وقد ذكرت قبل هذا أن كثافة السائل المنوي وعدد الحيوانات فيه يعتريه التغيير بعد كل اقتران ويعود الوضع إلى ما كان عليه بعد (٣ـ٤) أيام أي يستعيد المني استعداده الأولي مرتين أسبوعياً لأداء دوره المنشود، ولكنه استحباب لا واجب لأنه يتعذر تعيين عدد المرات بشكل لايسبب إلحاق أي أذى بالإنسان وكل نشاط من النشاطات الحيوية في الجسم يستهلك منه (من الجسم) بمقدار ما يستلزم، فعمليات من قبيل: التنفس، التكلم، الجماع و... كلها تسوق الإنسان بالتدريج نحو الشيخوخة.

ولكن هذا لايعني أن بإمكاننا الكف عن تناول الطعام أو التنفس أو الجماع. أما عن حجم ما يفضل تناوله من طعام ونوعه فهذا ما لايمكن تعيينه بالضبط كما في الجماع. ويتضرر الإنسان بالإفراط والتفريط في الأكل فالقاعدة تنطبق على الجماع أيضاً.

٣ـ ويقصد النبي داود عليه السلام.

إن يدي العلم مبسوطتان في التحقيق حول التغذية والغذاء أكثر من البحث بشأن الجماع، لأن الجهاز الهضمي وعمليات الهضم في الحيوانات قد سارت سيراً تكاملياً منظماً طوال القرون والأعصار الطويلة حتى وصلت إلى ما نجد الحيوانات الثديية عليه ومع التباين الملحوظ بينها وبين الإنسان، فعلى سبيل المثال يفتقد البعير الصفراء وتكون أمعاء آكلات النباتات طويلة جداً بسبب حاجة السليلوز ـ المتوفر في طعامها بكثرة ـ إلى زمان أكبر وإفرازات ترشحية أكثر لهضم العلف أو قشرة الطماطا والتفاح و... وتتسم أمعاء آكلات اللحوم بالقصر وتتخذ الأمعاء في الإنسان نظراً لتناوله كلا النوعين من الطعام الحد الوسط من الطول وفوارق كثيرة أخرى، ولكن مع هذا تعتبر دراسة أوضاع الجهاز الهضمي لدى الثدييات وعمليات الهضم والتمثل والاستقلاب وطرح الفضلات فيه، خير ممهد لدرك وفهم الأعمال المماثلة لها لدى الإنسان.

والوضع في الجماع يختلف اختلافاً تاماً عما ذكرنا، فهناك من الثدييات ما لايفحل ذكورها إلا مرة واحدة سنوياً بشكل مفاجئ فيغشى أنثاه، ومن الثدييات ما لو توفرت له عيشة مريحة يمارس العملية يومياً وقد يأتي أنثاه عدة مرات في اليوم الواحد كما هو عليه في نوع من أنواع القردة.

وفي الوقت الذي نجد فيه طيوراً كالدواجن تمارس التناكح يومياً وبإفراط دون ملاحظة أن تكون أو لا تكون على مرأى حيوان آخر أو في مكان تهابه ـ فقد يهجم عدد من الدواجن والديكة على أفعى ميتة، وبينما المجموعة منهمكة في تقطيعها يواقع أحد الديكة دجاجة ما أثناء انشغالها

بما أقدمت عليه ـ نرى أن الغراب يجهد في أن يأتي بهذا الفعل بعيداً عن أنظار أي كائن كان.

وعلى أية حال فإن دراسة ما يخص جسم الإنسان أبسط من التحقيق بشأن روحه ومعنوياته لأسباب منها ثبات الجسم أكثر من الروح، والرسام مثلاً يرسم النموذج الثابت المأخوذ بعين الاعتبار بشكل أفضل وأسرع مما لو تغير وصفه، وهذه هي حال الذهن والفكر وغيرها من الأمور المعنوية التي تنساق كل لحظة نحو جانب ما في العالم وتتغير من حيث النوعية والكمية و.... .

إن حاجة الإنسان إلى ممارسة الجنس تماثل الفحولة الفصلية لدى بعض الحيوانات لا الفحولة الدائمية التي نرى الديكة عليها.

لقد أمر الله آدم وحواء أن ﴿.. ولا تقربا هذه الشجرة ...﴾ ولكنهما أتيا بما نهيا عنه فظهرت عورتاهما فأسرعا لتغطيتهما بأوراق أشجار الجنة﴿ **فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة...**﴾[1] وكانت الشجرة المذكورة حسب قول الأئمة عليهم السلام هي شجرة الخير والشر. ولهذا لايمكن حسب التعبير القرآني ستر العورة والحفاظ على نشاط الجهاز التناسلي إلا في ظل بعثة النبي (آدم) والتعاليم والقوانين التي تتضمنها الأديان، ولم يتيسر ذلك لآدم وحواء إلا بواسطة أوراق الجنة وبأمر إلهي.

أمعنوا التفكير في الآية، إن الله سبحانه وتعالى لم يذكر انهما غطيا

---

١ ـ سورة الأعراف، الآية ٢٢.

عورتيهما المكشوفة بأوراق الشجرة الممنوعة بل بأوراق من أشجار في الجنة غير شجرة الخير والشر التي اقترب نبي الله آدمعليه السلام وزوجته حواء منها وتناولا من ثمرها فظهرت سوآتهما وآل أمرهما بأمر من الله لتغطيتهما بأوراق من الجنة. نستنتج من هذا أن الجهاز التناسلي في الإنسان يرتبط على نحو خاص بالأرض.

وإن كانت التغذية منوطة بأن تنبت نباتات نتغذى منها أو تتغذى منها الحيوانات التي نتناول نحن بنو البشر لحومها وألبانها فالجماع كذلك يرتبط نوعاً ما بالأشجار والنباتات ارتباطاً طبيعياً نظراً لأهمية التغذية ودورها وتأثيرها في الجماع، إلا أنه يتيسر لنا التوصل إلى معرفة حسن التغذية أو سوئها أكثر من المعلومات التي يمكننا ان نكتسبها حول الجماع لأن موضوع الغذاء أقرب وأدنى إلى العلم البشري من نمط الجماع ومقدماته ومستلزماته وكل ما يتعلق بأسلوب وطريقة الامتناع عن تناول ثمار الشجرة الممنوعة والتغذي مما يستحسن من شجرة الخير والشر. فكيف يتم ذلك يا ترى؟ الجواب هو أن للإنسان بشكل عام جانبين: ملكوتياً وحيوانياً. إنه كائن طيب على كل حال ولابد من صقل البهيمية من هذه الشجرة الإنسانية أيضاً.

اما عن عدد المرات التي يمكن ممارسة الجماع بها في الليلة الواحدة فهذا ما يتدخل الإسلام بوضوح في أمره، إذ لايحق لأي من المسلمين الإتيان بعمل يترتب عليه أدنى ضرر سواء على جسمه أو روحه ومعنوياته أو على مجتمعه، دنياه أو آخرته. وبما أن الإنسان قد يبادر إلى التناكح لأكثر من مرة في الليلة الواحدة بعيداً عن الرأي العقلاني

والإسلامي، وضع الإسلام ضرباً من القيود القانونية بين الجماعين بوجوب الغسل بعد كل مواقعة. وتذكر الأحاديث والروايات كراهية الجماع بعد الاحتلام وقبل الغسل وليس بعد المواقعة، أي انه رغم وجوب الغسل بمحض دخول حشفة القضيب في المهبل إلا أن الغسل لايتوجب في الليلة الواحدة بين دخول الحشفة لمرتين بل الغسل المكرر خلال الليل يتوجب بشرط الاحتلام في المرتين أو أكثر.

كم هو ملفت للنظر هذا الأمر الإسلامي، فبتقدم العمر يشق على المسلم اتيان الغسل بين احتلامين (ونقصد به هنا القذف على وجه الخصوص) وبهذا يمتنع عن الاحتلام لأكثر من مرة خلال الليلة الواحدة رعاية للمنع القانوني وهذا ما يقلل من الاحتلام (القذف) لمرات متتالية خلال الليلة الواحدة.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **«يكره أن يغشى الرجل المرأة وقد احتلم حتى يغتسل من احتلامه الذي رأى فإن فعل فخرج الولد مجنوناً فلا يلومن إلا نفسه»**.

إن النبي صلى الله عليه وآله يكره للمرء بعد احتلامه غشيان زوجته ووطأها قبل الغسل ويؤكد على المسلم أن مسؤولية إنجاب طفل مجنون من مثل هذه المواقعة تلقى على عاتق الأبوين إذ لايمكنهما أن يلقيا الملامة إلا على نفسيهما.

وعن أبي الحسن الرضا عليه السلام أنه سئل عن الرجل تكون عنده المرأة الشابة فيمسك عنها الأشهر والسنة لا يقربها ليس يريد الإضرار، يكون لهم مصيبة أيكون في ذلك آثماً؟ قال عليه السلام: (إذا تركها أربعة أشهر كان آثماً

بعد ذلك).

وعن أبي ذر (ره) أنه قال لرسول الله ﷺ في مضاجعة الرجل أهله: أيلتذ يا رسول الله ويؤجر؟ قال: أرأيت لو وضعت في حرام، أكنت آثماً؟ قال: نعم. قال: فكذلك تؤجر في وضعك في الحلال.

إذن بناء على ما ذكر يجب على الرجل أن لايترك مجامعة زوجته لأكثر من أربعة أشهر إلا بموافقتها لأنه حق واجب والإغفال عنه إثم إلا بعذر مقبول مثل إضرار الجماع بأحد الزوجين أو لسفر واجب كالحج. وقد أثبت العلم حتى الآن حالات تسمم تنجم عن ترك الممارسة الجنسية لفترة طويلة وأنا على يقين أنه سيتم التوصل في المستقبل القريب إلى أن هذه الفترة تتحدد علمياً بما هو أكثر من أربعة أشهر.

لقد نوهت سابقاً إلى انخفاض عدد الحيوانات المنوية في المواقعات المتالية بشكل متزايد في كل مرة عن المرة السابقة ويقل احتمال حمل الزوجة في مثل هذه المواقعات، وإنه لمدهش ورائع جداً الأمر الإسلامي بشأن تحديد هذا البرنامج بمرتين في كل أسبوع.

ومما يتمتع ببالغ الأهمية في بحثنا هذا هو نمط الوشائج الجنسية بين الزوجين. إنها إما تتأثر بالألفة والمودة التي تشد أركان النواة الأسرية فتتطبع تبعاً لذلك بطابع الأخوة، أو تكون بدرجة من الفتور تدفع الزوج إلى انتخاب أحد إثنين: الاستمناء (في حالات نادرة) أو البحث عن إمرأة أخرى.

ومن أسباب فتور العلاقة بين الزوجين تصريح الزوجة للزوج بأنه يتمتع بذروة الشهوة والقوة الجنسية، أو امتعاضها منه مرددة القول أنه

«تزوجني لأنجز أعمال المنزل وأمتعه لاغير» أو بدرجة أقل من التـأثير قولها:«إنه لايفكر إلا بشهوته ولايقبل علي إلا عـندما تـثار مشـاعره»، «أنني متوعكة ولكنك لاترحم كالذئب». وإن كان زوجـها ذا تـوجهات دينية، تقول: «أنا لا أرضى بهذا الدين ما دام الإسلام يـدعو لمـثل هـذا السلوك مع المرأة» وما تشابهها من تعابير تخلق لدى الزوج التصور بان المرأة السمراء تمكن زوجها من نفسها بسهولة وتحبه وتتودد إليه فيما لو كانت زوجته بيضاء البشرة، وإن كانت على العكس يـتصور أن المـرأة الودودة هي المرأة البيضاء. على أية حـال، إن عـتاب الزوجـة ولومـها المتواصل هو الذي يؤول بالرجل في أكثر الحالات للبحث عن إمرأة غير زوجته.

الممنوع في الجماع

من الحالات التي منع الإسلام قبل ١٥ قرناً الجماع فيها والتي أثبت العلم صحة حكمه فيها المواقعة عند امتلاء المعدة. ها هو الإسلام الذي يمنع الأكل عند المشي أو القراءة والعمل، لايجيز المضاجعة بمعدة ممتلئة. والدافع في الحالات جميعها هو الحفاظ على صحة أتباعه وسلامتهم.

وجزئيات الحكم الإسلامي هذا هي أن المعدة تحتاج عند وصول الطعام إليها إلى مقادير من الدم في عمليتي الإفراز والهضم، والأقدام كذلك تحتاج أثناء المشي والدماغ أثناء المطالعة والقراءة إلى الدم الذي يدعمها بالطاقة اللازمة، ومعاناة هذه الأعضاء من زيادة أو نقصان الدم ولو بمقدار قطرة واحدة عن الحد الضروري تؤدي إلى اختلال أدائها لوظائفها. وامتلاء المعدة يدل على اندفاع مقدار كبير من دم الجسم نحو المعدة بينما الجماع يؤدي إلى انسيابه نحو الجهاز التناسلي وبتزامن هاتين العمليتين تفتقد بقية أعضاء الجسم للحجم الكافي من الدم مما

قد يخل ترويتها وهذا ما دعا لمنعها في الإسلام لأنها تأتي على الجهاز الهضمي في حالة حرمانه من الدم اللازم في العمليات الآنفة الذكر بتبعات سيئة تلحق الأذى بالإنسان.

ذكرت قبل هذا أن الاستدعاءات النفسية كرؤية منظر مثير للشهوة هي أحد عوامل الإنعاظ اللاإرادية، وأضيف هنا أن مقداراً كبيراً من الدم ينساب إلى اليد عند مسكها بالقلم وقبل البدء بالكتابة، والفرق بين العمليتين أن إحداهما تتم خلال مرحلتين من الاستجابة لاستدعاءات التكيف الإرادية والأخرى تؤدى خلال مرحلة واحدة ولكن كلاهما يسحبان الدم الفائض الذي تستقطبه المعدة أثناء امتلائها. إن الإسلام لم يكتف بمنع الجماع أو أي عمل آخر عند امتلاء المعدة بل أنه تمادى إلى عدم جواز الانصراف إلى أي عمل آخر أثناء تناول الطعام أو بعد التفرغ منه مباشرة.

إن ضغط الدم يرتفع عند ممارسة الجنس إلى الحد الأقصى (ويصل عند البعض إلى ٢٠سم رئبق) ثم يهبط فجأة ليصل إلى (٣) أو (٤) سانتيمترات دون الحد الطبيعي، ويبلغ عدد دقات القلب (وهي في حالة الاسترخاء ٧٠-٨٠ نبضة في الدقيقة) في بداية العملية الجنسية إلى ١٥٠ أو ١٧٠ نبضة، وتتسارع الأنفاس لتصل إلى ٧٠ مرة في الدقيقة وهي في الحالة الطبيعية ١٦-٢٠ مرة في الدقيقة، ولإستعادة النشاطات الحيوية إلى ما كانت عليه قبل الإنعاظ تستهلك الأعضاء المتأثرة كمية كبيرة من الاوكسجين المحلول في الدم وتطرح كميات أكبر من غاز ثاني أوكسيد الكربون.

والموت المفاجئ الذي يداهم البعض أثناء الجماع ينجم عن عجز عضلة القلب عن أداء وظيفتها مما يتسبب في بروز حالة السكتة القلبية التي نشهدها على هذا النحو في الشباب دون الأربعين في العمر بشكل عام وعمر ٢٥٪ منهم ما بين ٤٠–٥٠ سنة. وتحدث في غالبية الأحيان في المواقعات خارج البيت أو لدى المصابين بارتفاع نسبة السكر في الدم، البدينين والمتعرضين للذبحة الصدرية.

نلخص البحث بأن هضم الطعام يستلزم اندفاع القسم الأعظم من الدم نحو الجهاز الهضمي ويتوجب في الجماع انسياب مقدار آخر من الدم نحو الجهاز التناسلي فتختل عملية تروية عضلة القلب مما يسبب توقف القلب عن العمل (الجلطة القلبية)، ولهذا منع الجماع والمعدة ممتلئة بالطعام لاسيما في حالة وجود مشروبات كحولية في الجهاز الهضمي لدى المدمنين على الشراب، لأن هذه المشروبات وخلافاً للمعروف عنها تعمل على تقلص الأوعية الدموية للقلب مما يعرضه للأخطار. فهل فقهتم حكمة الإسلام من منع الجماع عند امتلاء المعدة؟

همسة وموعظة

كيف تتم الممارسة الجنسية؟ مع كل ما ذكرنا بالتفصيل والأخذ بالحسبان كثرة المؤلفات الخاصة بهذا الموضوع بسبب زيادة الطلب في هذا المضمار سنكتفي بذكر ما من شأنه ردع ضرر أو الإتيان بفائدة ونفع للمسلمين. وهنا نلفت انتباه الشباب المصابين بالسيلان ان مجامعتهم

للزوجة على هذه الحال تؤدي إلى سريان العدوى إليها وابتلائها بترشح الإفرازات القيحية بشكل دائمي من الأنسجة الملتهبة. ويرى طب المَثَل بالمَثل (طب معالجة الأمراض بأدوية تجانس الداء) أن السموم التي تسبب الإصابة بمرض السيلان هي أحد السموم الخمسة المعدية التي تنتقل إلى أجسام الأبناء أثناء الحمل وهي تتواجد لدى الأب وقد لاتظهر علائمها بإجراء التحليل الطبي ولكن يتيسر تشخيصها بسهولة من الأعراض البادية في المصاب.

جماع محرم

لقد تم تحريم الجماع أثناء الطمث ومنعه الإسلام والعلم أيضاً لما ينجم عنه من تبعات وخيمة تطرقت إليها بالتفصيل في المجلد الثاني ولاسيما في المجلد الحادي عشر، وهذا ما يستنبط من الآية ﴿يسألونك عن المحيض قل هو أذى ...﴾[1]. ومن أنواع المواقعات الأخرى المحرمة في الإسلام الجماع بين المحارم وجماع مع الرجل (اللواط) وجماع إمرأتين (السحاق).

الاقتران الممنوع

الإفضاء هو انفتاح القناة المهبلية على المجرى البولي إثر تمزق

---

١ ـ سورة البقرة، الآية ٢٢٢.

أنسجة أو إيجاد ثغرات تؤدي إلى بروز هذه الحالة. والإسلام لم يُجِز زواج الفتاة دون التاسعة أو بعد بلوغ هذا العمر فيما لو لم يكن كما يذكر في خطبة العقد «بالغة رشيدة» أو في حالة وجود احتمال افضائها وإلحاق الأذى بها.

التمادي في الجماع

أشرت قبل هذا باختصار إلى حالات الإنسمام أو التسمم البدني والتبعات النفسية السيئة التي تنجم عن ترك المجامعة، ومن البديهي أن كلا الإفراط والتفريط مضر في سائر الأمور والقضايا. وتنطبق القاعدة ذاتها في الجماع فالإفراط فيه بل في العلاقات الغرامية يسبب الإصابة بالأمراض ويعرض الإنسان إلى النكبات، لأن المدمنين عليه يفقدون بعد وهلة من تعودهم على هذا الوضع الشاذ، اللذة منه فينجرف أحدهم بالتالي نحو الانحرافات الجنسية والاستمناء والاستشهاء. ومن العوامل المساعدة على ظهور هذه الحالة انتشار الصور المستهجنة والأفلام الجنسية والحفلات الفاضحة.

ان هذا الإفراط ومع ما ذكرنا من الإرهاق الذي يسببه القذف في كل مرة يعرض الجسم لأضرار لايمكن تعويضها تتطرق إليها الكثير من المؤلفات. وقد سبقت لنا الإشارة إلى حديث من المعصومين عليهم السلام يؤكد على ضرورة التقليل من مجامعة النساء.

وفي الحقل الطبي يمكن إثارة المنطقة العصبية الخاصة بالايعازات

الجنسية في الكائن الحي بواسطة إبر مدببة (الكترود) متصلة بالحاسوب وقد يصل الفرد المستثار إلى الإشباع الجنسي أو الإنعاظ عن هذا الطريق. وقد أُجريت تجارب كثيرة في هذا السياق بغية إجراء التحقيقات والأبحاث الضرورية وتم خلال إحداها تهييج فأر ودفعه لمواقعة أنثاه أربعمائة مرة، انتهت بوفاته.

مواقعة المرأة الحامل

يمنع بعض الأطباء مواقعة المرأة الحامل منذ أواخر الشهر الثاني وأوائل الشهر الثالث من الحمل وحتى وضع الجنين، إلا أن أكثريتهم يؤمنون بضرورة الامتناع عن مجامعة الزوجة منذ الشهر الأول لاسيما النساء ممن تعرضن قبل ذلك لإجهاض الجنين أو شهدن ولادة مبكرة لأطفالهن السابقين، ومنهم من لايمنع الجماع أبداً حتى نهاية فترة الحمل شرط أن لاتنعظ المرأة.

ونظراً لتكرر السؤال حول هذا الموضوع أتطرق إليه باختصار: استقامة المرأة فوق الرجل في زاوية قائمة، الاستقرار خلف المرأة بنحو لايوجه ضغطاً على البطن، رفع المرأة لساقيها وجلوس المرأة على حافة السرير، أوضاع لاتضر الزوجة أو الجنين، ويمنع إنحناء الظهر بشكل كبير أو وضع وسادة تحت الفخذين أو الحوض، الإستناد على الركبتين واليدين والمضاجعة العكسية. وقد أكدت في البحث الخاص بهذا الموضوع ضرورة التنبه إلى انقباض الرحم عند مداعبة وإثارة حلمة

الثديين وما ينتج عنه من مضاعفات غير حميدة على الجنين.

وعلى أية حال فإن أحدث المعلومات العلمية تؤكد ضرورة منع الجماع منذ الشهر الأول بالنسبة للمرأة التي سبق لها وأن أجهضت جنيناً وكذلك عند اقتراب موعد وضع الحمل بسبب احتمال تمزق الكيس، إلا أن الجماع بالأساليب التي سبقت الإشارة إليها لا يضر المرأة أو الجنين في سائر الحالات الأخرى لأنها قد لاتلحق أي أذى حتى بعنق الرحم.

والحالة العامة لدى أغلبية الحيوانات الثديية هي أن تأبى الأنثى مواقعتها ما دامت حاملاً. وإلى جانب تباين الإنسان عن سائر الثدييات الأخرى في الوضع الزماني والمحلي لفحولته فإنه يتمايز عنها كذلك بهذا الفارق المهم وهو أن السلوك الجنسي لدى الإنسان في فترة الحمل لايختلف عن الأحوال الأخرى مع فارق أن المرأة تمر في هذه الفترة بثلاث مراحل هي:ـ الثلث الأول والثلث الثاني والثلث الثالث. وتشير الإحصائيات الجارية إلى أن الجماع في كل ثلث منها يقل عما كان عليه في الثلث السابق دون تأثر هذه القاعدة بالعمر أو بعدد المرات التي حملت بها المرأة قبل هذا. ونلاحظ تأثر الإنعاظ عكسياً بزيادة العمر عند الحمل. ويعود انحسار الرغبات الجنسية للمرأة أثناء فترة الحمل كما تدل الأبحاث إلى الأسباب التالية:

٤٦٪ منهن بسبب الآلام، ٢٧٪ منهن بسبب التخوف من إجهاض الجنين أو الإضرار به،٢٣٪ بسبب انخفاض اللبيدو (الميول الجنسية)، ١٧٪ منهن بسبب الاضطراب، ٨٪ منهن بسبب التوصيات الطبية و٤٪

منهن بسبب استحقار الذات.

يا ترى لماذا ينشدّ الرجل للمرأة وترغب المرأة الرجل؟ بل لماذا يقدم الإنسان على الزواج؟ وما هي النتائج المستحصلة من الزواج؟ الإجابتان مرتبطتان معاً لأن انشداد كل من الرجل والمرأة غريزياً نحو استقطاب الآخر إنما ينبثق في روح الإنسان بسبب ما يتأتى من الزواج من فوائد ومنافع.

ويكن الإسلام إحتراماً بالغاً نحو الاندفاع الجنسي وكأنه أساس ديمومة الحياة لأن الإنسان لاينال وطره من الزواج ولايستحصل منافعه إلا بامتلاك هذه الغريزة، وقد أكد رسول الله ﷺ أنه (يحب من الحياة المرأة والطّيب). ويرى الإسلام أن الرجل لايستقيم إلا بالمرأة لأنها توفر له مسستلزمات التنزه من التدنس بالآثام. إلا ان حال الرجل كحال المصلي، فالمصلي لايحتاج لاكتساب معلومات وافية عن الشكيات في الصلاة إلا عندما تتبلور لديه هذه الحاجة عند شكه في جانب ما من جوانب هذه الفريضة الإلهية، وهكذا الزواج لايعتبر واجباً على المسلم إلا إذا استشعر خطر التدنس بالإثم.

إن من يستغني عن المرأة يكون في غنى عن الإثارات الجنسية وعلى رأسها العطر وقد شرحت دور العطر، في الإثارة الجنسية في المجلد (٣٥) والذي يبين الحكمة من الحديث النبوي الشريف السابق ومن اعتبار الرسول ﷺ الطِّيب قرة عينه في الصلاة. ولو نمعن التفكير في هذه الأحاديث نجد أنها تتجاوز نطاق هدفية الجنس في الحياة، بل

تتضمن كلاً من الحياة الدنيا والآخرة، فقد قال ﷺ في حديث آخر أن «الدنيا مزرعة الآخرة». إن الصلاة مؤشر على الإتيان بالعبادة، وعلى طاعة المرء وعدم تمرده، وعلى كسر طوق الماديات والالتحاق بجنة عرضها السماوات وعلى الاهتمام بالحياة الأخروية.

إذن المرأة ذخيرة الإنسان في الحياة والعطور وسيلة لاستمرار الحياة لأنها أبسط المثيرات والمهيجات الجنسية، فالتطيب ليس رغبة فحسب بل إنه وسيلة للترغيب أيضاً يجب المحافظة عليه ولهذا حرم الإسلام تطيب المرأة عند تواجدها في محل اجتماع الغرباء من الرجال. وقد أجمل النبي الكريم ﷺ تعبيره عن ثمرتي الزواج (الحياة والنسل) في كلمتي (المرأة والطِّيب) وهما عاملا (الزواج والتزاوج)، الزواج بغية اصلاح الوضع الحياتي، والتزاوج ـ وهو المرحلة الفسيولوجية في الزواج ـ بهدف استمرار الحياة.

ومن أهم الفوارق البينة بين الإنسان والحيوان هو مبادرة الإنسان للزواج بهدف الحفاظ على بقاء النوع البشري لما يترتب عليه من الإنجاب بشكل حتمي لاريب فيه، وكذلك تحسين نمط الحياة تبعاً لإشباع الشهوة واستحصال الارتياح النفسي. وهذا ما توضحه رغبة كلا الزوجين في الجماع أثناء حمل الزوجة.

والوضع يختلف لدى الحيوانات عما هو عليه في الإنسان تماماً، فذكور الحيوانات تفحل في موسم معين وينجم عن ذلك مواقعات وإنجاب يؤدي بالتالي إلى بقاء نسله وتعيش ذكور الحيوانات إلى جانب

الإناث في بقية أوقات السنة وهي تقريباً السنة برمتها فيما عدا أياماً قلائل منها دون رغبتهما في ممارسة الجنس. ونستنتج من ذلك أنها تفحل بغرض الإنجاب لاغير، ولو تمت مقارنة هذه القضية مع انزعاج الإنسان أحياناً وتخوفه أثناء مضاجعاته مع الزوج من وقوع الحمل نجد أن الإنسان هو الكائن الوحيد الذي يرغب في الجماع نفسياً وجسمياً (فيزيولوجياً) بينما تتحدد الغاية من ممارسة الجنس في الحيوانات بالإنجاب.

ومن الفوارق الأخرى بين الإنسان والحيوان هو اندفاع الإنسان لبلورة روح الانسجام الجسمي والروحي والودي من أجل بناء أقوى المؤسسات البشرية ألا وهي الأسرة التي تضم الزوجين، فكل منهما كما يؤكد القرآن الكريم لباس للآخر ووجوده (كما تشير آية أخرى) من بواعث شعور الآخر بالهدوء والطمأنينة والسكينة. إن الآية ﴿... هن لباس لكم وانتم لباس لهن..﴾[1] إنما بذلت أعلى درجات الاهتمام بالانسجام الروحي والجسمي في البنية الأسرية لأن «اللباس» و«السكينة» هما أفضل ما يحمي الجسم والروح ويقيهما شر الظروف القاسية ويهيئ لهما مستلزمات الكمال الإنساني.

لقد عني الدين الإسلامي بهذا الجانب من حياة الإنسان إلى درجة إنه عند الإشارة إلى زوجات الأنبياء والرسل عليهم السلام ودروهن في حياتهم، يذعن بمشروعية زواج المشركين والكفرة وهذا ما توحي به

---

١ ـ سورة البقرة، الآية ١٨٧.

العبارات:﴿وامرأة فرعون﴾، ﴿وامرأته حمالة الحطب﴾، أي أنه يصادق بشكل خاص على شخصية هؤلاء النساء باعتبارهن زوجة فرعون أو أبي لهب أو .... .

والسؤال هنا هو: أي الثمرتين في الزواج تتقدم الأخرى في تمتعها بالأهمية في القاموس الإلهي (ذخيرة الحياة أم مواصلة الحياة)؟ إن التعبير القرآني ﴿لتسكنوا إليها﴾ أو ﴿هن لباس لكم وأنتم لباس لهن...﴾ يدل على أقدمية قضية الزواج على موضوع الإنجاب وهو بعبارة أخرى رمز استمرار الحياة عن طريق الحفاظ على بقاء النسل. ولكن مع هذا نجد أن الطبيعة تنظر إلى الحمل والإنجاب (بصفتهما من العوامل المساعدة على إنجاز هذه المهام) على أنهما كمال والعقم نقص.

بناء على هذا قد يمكننا القول أن المقصود من قول القرآن ﴿ما طاب لكم﴾ هو أن يكون كل من الزوجين لائقاً بالآخر وجديراً به. ويقوم ذلك على أساسين:

الأول: أن يعمل كل منهما للحفاظ على حياة الآخر ومنحه القدرة على مواصلة الحياة، أي أن يستشعر الجانبان الرغبة والاستعداد والقدرة الكافية على إرضاء الذات وكذلك الزوج وهذا ما يوضح لنا مدى كفاءة التعاليم الإسلامية لاستلام زمام القيادة في العالم، ففي هذا المجال تشجع الزوج لاستحصال رضا الزوجة والزوجة لتمكين الزوج وكسب ارتياحه لها، وقد ذكرت الأحاديث المروية عن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام حول هذا الأمر. والعبارة القرآنية ﴿ما طاب لكم﴾ تبتعد في مضمونها ابتعاداً

تاماً عن أن الغاية من الزواج تقتصر على المضاجعة والغشيان الشرعي الجائز بل تشمل إرضاء الروح والجسم معاً وتأسيس قاعدة الحياة الزوجية على أساس الود والعمل على تشكيل أسرة هانئة.

والثاني: أن يطيب كل منهما بوجود الآخر إلى جانبه ولا يستشعر سوء انتخابه واستحسانه كأن يتعرض أحدهما لعارضٍ ما بسبب الآخر أو يلحق به أذى نفسي أو عضوي بتأثير منه، وهنالك من الروايات ما تؤكد هذه القضية، ومن قبيل هذه الحالات الاقتران غير المتكافئ مع رجل مدمن على المشروبات الكحولية لما يترتب عليه من تورط الأبناء بعواقب هذا الإدمان.

إذن ﴿ما طاب لكم﴾ تعني في هذا السياق تناسب الزوجين من حيث القدرة على كسب رضا الزوج والتمتع بالرغبة في حياة لائقة وبخصائص فسيولوجية وبيولوجية متكافئة كفصيلة الدم التي يؤدي عدم تجانسها في الزوجين إلى عواقب وخيمة في الإنسال.

وفي نهاية هذا البحث أود أن أخص جل اهتمامي بتوضيح الفرق بين الإنسان والحيوان رغم ما يذهب إليه العلم العصري من أن القردة هم أجداد الإنسان حسب نظرية التطور. إن الإنسان يؤثر في زواجه ذخيرة الحياة على استمرارها بواسطة التناسل بينما تؤكد دراسة الحياة الجنسية لدى الحيوانات أنها لاتلتذ جسمياً من عملية المواقعة[١]. أي أن اهتمام الحيوان بذخيرة الحياة الجسمانية يكون حداً وسطاً بين تغذية النباتات

---

١ ـ علم نفس المودة، الدكتور اينياس لوپ، ص ٢٤.

المتطورة والإنسان المجرد عن الأحاسيس. إنه يستهدف من ممارسة الجنس استمرار الحياة لاغير إذ لاتظهر لديه اية مؤشرات نفسية بحتة أو غير بحتة في رغباته الجنسية، وقد شرحت ذلك عند تطرقي إلى موضوع اقتراب آدم وحواء من الشجرة الممنوعة ومضامين الآيات القرآنية التي تذكر هذه الأحداث.

جاء في ثمان من مجلداتي بحث مسهب حول نظرة القرآن إلى أهمية التغذية ونمطها وستجدون في بحثنا القادم أن هذه النظرة هي ذاتها التي تتحكم بتوجهات القرآن الكريم إلى قضية الجنس، أي أن القرآن وكما يولي بالغ الاهتمام بالتغذية الإنسانية ﴿... والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا...﴾[1] فإنه يعتني بنفس الدرجة والمستوى بالقضايا الجنسية. وقد أبدى ذلك منذ طليعة البعثة النبوية حيث عمل على تنظيم الشؤون الجنسية منذ البدء ﴿فبدت لهما سوآتهما..﴾ وسأذكر التفاصيل الوافية عنها في محله. على أية حال الزواج بحد ذاته يرجح على الإنجاب لدى الإنسان وهذا ما يدل عليه علمياً مواقعة الزوج لزوجته الحامل وهو ما لانشهده في عالم الحيوانات، وقد أيده الإسلام أيضاً.

تتقلص الشهوة الجنسية لدى غالبية النساء في فترة الحمل تدريجياً وبشكل مستمر حتى وضع الحمل حتى تصل إلى ٦٠٪ في الشهر الأخير لاسيما عند النساء ممن ذقن مرارة إجهاض الجنين قبل ذلك إذ أنهن يرغبن في معرفة هل للجماع دور في الإجهاض أم لا؟ ونجيب على

١ـ سورة الأعراف، الآية ٣٢.

استفسارهن هذا بأن الجماع وبالشكل الذي سبقت الإشارة إليه لايؤدي إلى الإجهاض ومع ذلك يحبذ ترك الجماع في الأشهر الأخيرة في مثل هذه الحالات وكل ما نذكره في هذا السياق يتعلق بأمور تكوينية تتماثل مسيرتها لدى المثقفين والأميين من الرجال والنساء على حد سواء.

أما عن الاحصائيات الجارية فإنها لاتؤيد وجود اختلاف في معدل النساء اللواتي أجهضن جنيناً رغم امتناعهن عن الجماع في فترة الحمل مع أولئك اللواتي شهدن هذه الحادثة ممن مارسن الجماع إبان الحمل.

وتزداد ضرورة امتناع الرجل عن وطء زوجته الحامل منذ الشهر السادس إذا ما ثبت حملها بأكثر من جنين واحد (توأمين أو أكثر) بينما يمنع مواقعتها عند اقتراب موعد الوضع منعاً باتاً نظراً لانفتاح عنق الرحم وازدياد احتمال إصابة الأم بالالتهابات.

وقد يتصور البعض أن انقباض الرحم إثر تهيج الأعضاء المتأثرة بالإثارة ولاسيما حلمة الثدي هو الذي يسبب إجهاض الجنين أو الولادة المبكرة، رأرى عدم صحة هذا الاستدلال رغم تأييدي للأذى الذي يلحق المرأة بهذا النحو ولكنه لايصل إلى هذه النتيجة.

مجامعة المرضى

يخشى الكثير من المرضى ممارسة الجماع وتتضمن هذه الحالة تقريباً كافة الأمراض الحادة والمزمنة المستفحلة أو ما يسبب الإنسمام (التسمم) منها لاسيما المصابين بالأمراض الحادة الذين يؤمل تحسنهم

إذ أنهم يطمأنون إلى أن حرمانهم من هذه اللذة مؤقت يزول بشفائهم.

ومن الأمراض التي يتم الاستفسار حولها في هذا السياق، الأمراض القلبية. إن المصابين بهذه الأمراض وإن كانت حالتهم تسمح لهم بالمضاجعة ويؤكد لهم الاطباء هذا الأمر إلا أنهم يسعون للتقليل من ممارستها بدافع اضطرابهم المستمر ومن خشية الموت. وقد يبادر بعضهم إلى الجماع ولكن سرعان ما يفقد نعوظه بعد الإيلاج وقبل القذف بسبب الهواجس التي تخطر على باله في هذه الأثناء.

وهنا يبرز دور النساء فإنهن وبسبب خشيتهن من وفاة أزواجهن يهدئن من روعهم ويقدمن لهم الوعود بممارسات متتالية وأكثر لذة عند استعادتهم الصحة والسلامة التامة. والمدهش أن اصابة النساء بأمراض القلب والعروق أقل ارتباطاً بهذا الموضوع بينما يتأثر الرجال من المصابين بهذه الأمراض سلبياً وبشكل واضح رغم أن التغيرات الكيميائية والفسيولوجية التي تطرأ على كل من الرجل والمرأة أثناء الجماع متماثلة تقريباً.

ولايمكن تقرير وضع المصابين بالأمراض القلبية بواسطة الكتابة عنهم لأن كلاً منهم يعاني من وضع خاص من حيث صعوبة الحالة أو بساطتها ويهدده خطر خاص مما يجعل عدم خطورة الجماع بالنسبة لفريق منهم من البديهيات الطبية بينما يمنع البعض الآخر من ممارسة الجنس نظراً للأخطار التي تتضمنها. وعلى المصابين بهذه الأمراض مراجعة طبيبهم الخاص لتقرير حالتهم الصحية في هذا الخصوص.

ويتبنى العلم في الوقت الحالي وصايا يفترض أخذها بالحسبان من قبل المرضى لردع تعرضهم للموت وهي أقرب ما تكون إلى التعاليم التي جاء بها الإسلام منذ قرون مديدة من قبيل منع المصاب بمرض قلبي من المجامعة قياماً أو عرياناً أو في الأماكن الحارة والمرطوبة كالحمام، عند امتلاء المعدة أو ... وكذلك في مواعيد أي ساعات وأيام معينة.

أدعو القراء الكرام لتذكر هذه القاعدة العامة دوماً وهي أن الإسلام انكب على سن قوانين الحلال والحرام بما يحفظ صحة الأسوياء وسلامتهم بينما ما زال العلم يراوح مكانه في تعيين ما يجوز وما لايجوز بغية عدم تعرض المرضى للموت ومنها الوصايا التي يخص بها المصابين بالأمراض القلبية للحيلولة دون موتهم ويوصي بها الإسلام الأسوياء لوقايتهم من الأمراض.

ويرى البعض ضرورة امتناع المصابين بالأمراض القلبية عن الجماع ليلاً بسبب إرهاقهم وأن يؤجلوا هذا العمل إلى الصباح. ونلفت انتباهكم ثانية إلى أن الإسلام يخص الممارسات المعنوية والنفسية الإلهية بموعد خاص هو بعد منتصف الليل في أغلب الأحيان.

ومع أن السمنة لاتعتبر مرضاً ولكنني أحسبه هكذا وأنصح الذين يتوارثون هذه الحالة بالتفكير باصلاح حال الأجيال القادمة قبل المبادرة إلى التزاوج وأُحذّر من يعاني من البدانة المفرطة (ويكثر أمثاله بين أقاربه) من الزواج أو الاقتران بالأقارب.

أما عن مجامعة مثل هؤلاء الأشخاص فالحالة هنا تختلف عن

الأمراض القلبية التي يتعرض إليها الرجال أكثر من النساء واللواتي تورطن بالسمنة منهن أكثر عرضة للأخطار (عند الجماع) من الرجال ويعرضن الرجال بشكل غير مباشر للأذى جراء ذلك، ولو تعاكس الوضع وكان الزوج بديناً فهذا ما يفرض أثقالاً لاتطاق على المرأة، وهناك طرق وأساليب خاصة للتخلص من هذه التبعات والحيلولة دون تألم وانزعاج أي من الزوجين.

إن البدانة لاتؤثر على الاعضاء التناسلية للرجل حيث لاتتجمع الدهنيات أبداً في القضيب ليسبب ضخامته المتمادى فيها خلافاً للمرأة حيث تتركز الدهنيات في شفري المهبل إلى حد قد يمنع القضيب من الإيلاج، ومن شأن الرجل التغلب على مشكلته الوحيدة هذه بطريقة خاصة إلا أن المشكلة العويصة هي ما تقبض بمخالب السمنة على نفسية المرأة حيث ينضوي البظر تحت اللحوم والدهنيات مما يصعب إثارته ويحرم المرأة من استشعار اللذة الجنسية.

والوضع الذي يفترض على المصابات بالسمنة من النساء إتخاذه هو ما سأشرحه بالنسبة للمرأة التي يجب ان تجهد للتقليل من طول قناة المهبل أي أن عليها ان تجلس على حافة السرير أو الرف فهو أفضل وضع بمقدورها اتخاذه عند ممارسة الجماع. أما إذا كان الرجل بديناً والمرأة نحيفة فعليها أن تتعهد بدور الغشيان فتعتلي الرجل أو أن يتخاصرا، وسيتم التطرق إلى هذه الأساليب جميعاً لاحقاً.

أما الذين يتعرضون لكسور في عظام الأعضاء السفلى من الجسم

فيمكنهم ممارسة العملية الجنسية بنحوها الطبيعي فيما لو لم يتم إنحراف فتحة المهبل عن موضعها في المرأة أو القضيب الرجالي عن استقامته.

لابد للمرأة الحامل أن تجنح للراحة أربعين يوماً بعد وضع حملها ليعود الرحم وبقية الأعضاء التناسلية السفلى إلى حالتها الأولية وتتخلص من وضعها الصحي الذي يهيئ الأرضية للإصابة بالالتهابات ويحتمل أن يكون عنق الرحم ما زال منفتحاً كما أن حالة ووضع هذه الأعضاء قد يسبب آلاماً أثناء الجماع ويؤدي بالتالي إلى البرود الجنسي.

ورغم أن الحيض ليس مرضاً إلا أنه كما جاء في القرآن أفضل تعبير عنه ﴿أذى﴾ وألم تترتب على الجماع خلاله آثار وخيمة تطرقت لها في المجلد الخاص بصحة الجسم، ولهذا يحرم الإسلام المجامعة في الطمث، والعلم كذلك لايستسيغه.

الجماع على مقربة من الأطفال

لايجيز العلم نوم الطفل بعد بلوغه الثانية من العمر (١/٥ـ٢/٥ سنة حسب رأي المبادئ المختلفة) في الغرفة التي يتجامع فيها أبواه والمدهش أن الإسلام كذلك منع مواقعة الزوجين في غرفة ينام فيها طفل.

وقد تم إثبات هذه الحقيقة وهي أن رؤية منظر الأبوين يتضاجعان يؤثر سلبياً على الطفل أكثر من رؤية منظر جماع زوجين آخرين غير أبويه.

عند استيقاظ الطفل على أصوات أبويه ورؤيتهما يتجامعان قد يتبادر

إلى ذهنه أنه سلوك مفاجئ فيتصور أن أباه وهو يعتلي أمه إنما هو منهمك في قمعها خاصة لو كان قد شهد مسبقاً تشاجرهما وتخاصمهما وضُربت الأم من قبل الأب أثناء نزاعهما فيولد عنده ضرب من سوء الظن إزاء أبيه، وإن لم ير من قبل نشوب الشجار بينهما ولم يبدر من الأب إلا الحنان في سلوكه مع الأم يتبلور لديه حب الاستطلاع فيمعن النظر والتفكير بغية التوصل إلى مغزى وكنه هذا التصرف الذي يرى أبويه عليه.

والأطفال من الصنف الأول ونظراً لاندفاعهم نحو البكاء عند تخاصم أبويهم مما يؤول إلى كفهما عن التنازع والشجار، يلجؤون إلى هذا الأسلوب في حالة رؤية الأبوين خلال ممارساتهما الجنسية أيضاً.

قد يستيقظ الطفل إثر سماع صوت أبويه لاسيما أبيه فينهض ويترك فراشه مضطرباً ويبدأ البكاء إذا رأى أبويه على تلك الحال ويشتد بكاؤه ليكف الأبوان حسب تصوره عن التنازع، خاصة وأن صوت الأب عند اقتراب إنعاظه يشبه الزمجرة وصوت الأم يكون تأوهاً وأنيناً فتترسخ فكرة ثابتة لديه عن شراسة الأب وعدوانيته.

والأطفال الذين يشاهدون منظر مضاجعة الأغنام والأبقار في القرى والأرياف تدفعهم غريزة الإنطباق نحو التفكير لمقارنة الحالات وقلما يعتريهم ما يعتري غيرهم من الأطفال في هذه الحالة.

ومن الطبيعي أن يترعرع الأبناء الذين يبيتون في غرفة مضاجعة الأبوين وطابع الفضول يتعشعش في نفوسهم فتسوء أخلاقهم وقد يأبون الاستحمام مع أبويهم لأن عريهما يذكرهم بالعنف (حسب تصورهم) وقد

يصابون بالتبول الليلي كما يحتمل تعرضهم في الكبر للإصابة بالسادية وتتطبع أنفسهم بروح العنف.ومن الاحتمالات الأخرى التي تـظهر لدى هؤلاء الأطفال: التأتأة عند الكلام، رفرفة العين، الوسواس، الاسـتمناء، انسياق عبارات بعيدة عن الحياء على اللسان، التحدث عن الوضع الذي شاهد أبويه عليه، تقليد ما شاهده مع طفل آخر، و.... .

ويفترض على الزوجين اللذين لايسعهما اختصاص غرفة بنوم الطفل غير التي يتضاجعان فيها أن يبادر أحدهما فور استيقاظ الطفل ومشاهدته إياهما يتناكحان، للجلوس إلى جانب فراش الطفل والترنم له وملاطفته حتى يغلب عليه النوم بدلاً من أن يأمراه بالعودة إلى السرير والنوم، كما يتوجب عليهما الامتناع بتاتاً عن الاستفسار منه ما إذا كان قد شاهد شيئاً أم لا، أو عما رآه.

محل الجماع

محل الجماع من المواضيع التي أهملها العلم حتى الآن بينما نجد التفاصيل الكاملة عنه في تعاليم الإسلام الذي لم يترك أمراً دون أن يرسخ مفاهيمه على أرضه ويزعم الآخرون أنه بمعزل عن السياسة.

إن الأقدمية في حق تعيين مواعيد المضاجعة تتعلق بالرجل ويجب على المرأة تمكينه ومطاوعته متى ما شاء، والإسلام يذم المرأة التي تتأبى على زوجها، أما عن حق تعيين محل ومكان المضاجعة فإن المرأة تحوز الأقدمية فيه وعلى الرجل أن يوافقها الرأي أينما ودت أن تتناكح معه لما يترتب على هذا الموضوع من نتائج نفسية مريحة.

إن المرأة التي ترغب في معرفة ما إذا كان زوجها يحبها أم لا وتلاحظ ردود فعله في جميع الظروف تستحصل جواباً وافياً على هذا الاستفسار عندما ترى زوجها يتبعها أينما تتجه وأن محل نومها يستقطبه وتسعى لتفسح له مجالاً كافياً إذا كان محل نومها ضيّقاً أو غير مناسب أو أن تدعوه لتغيير المكان وهي تستشعر الامتنان لزوجها لما يبذله لها من مودة.

إنه أمر ديني صغير في ظاهره، جليل في كنهه، إذ ترى الرجل يخلد إلى الفراش منتظراً زوجته والزوجة منهمكة بأمور البيت وقضايا أخرى وهذا ما يثير أعصاب الزوج، وقد يدفعه شعوره الممتعض هذا للتفكير بالانتقام ويؤدي بالتالي إلى خمود شهوته إثر تأخر الزوجة عنه، أما الرجل الذي لاينتظر زوجته فإنه سرعان ما يغلب عليه النعاس. بينما المرأة تبقى في انتظار زوجها حتى وإن لم تكن شهوتها قد اثيرت فتبقى مستيقظة تنتظر زوجها وعندما تتهيج شهوتها وترى أن زوجها منهمك بالقراءة أو بعمل آخر فإنها بدلاً من أن تثار عصبياً تسعى لإثارة شهوته وحين يلبي الزوج رغبتها ويستقر إلى جانبها، تكتفي بتوجيه عتاب صغير إليه وإن كانت ما تزال في ذروة شهوتها.

إن الإسلام لايجيز البيتوتة ليلاً تحت الأشجار وبهذا يتبين وضع الجماع الليلي في هذا المكان ويكره المضاجعة في الحمام والأماكن غير الصحية والجماع قياماً والتعري أثناء التناكح و... من الحالات التي سنذكرها لاحقاً.

تعليمات سبق التنويه إليها

ذكرت ما يلزم من معلومات وتعليمات حول التنوير والخضاب واستعمال الطلاء من قبل كلا الزوجين في المجلد الخاص بصحة الجسم كما نوهت إلى رأي الأديان والشعوب المختلفة في هذا المضمار.

رداء الزوجين عند التناكح

أشرنا إلى كراهية المجامعة في حال العري في الإسلام ولكن ما هو الرداء المناسب للارتداء عند المواقعة؟ إن هذا ما يـمكن تـعيينه حسب خبرة الرجل والمرأة المكتسبة خلال الجماع.

إن الرجل الذي سبق له استشعار أحاسيس جنسية مثلية يـرغب أن يتطلع إلى زوجته وهي ترتدي سروالاً إلى خصرها بحزام موثق وترغب الزوجة التي سبق لها ممارسة السحاق أن يتطبع زوجها بـطباع أنـثوية وتهيج إثر دعكه فخذيها بفخذيه أكثر من تجاوبها مع قضيبه. على أيـة حال يكره الزوج أن تبادر زوجته لخلع سرواله إلا إذا كان قد بدأ بخلعه فتقوم هي بإبعاده عنه خاصة لو حاولت إنجاز هذا العمل برجليها لأن هذا مايلذه. ويلتذ كلا الزوج والزوجة بخلع سروال أو أي من ملابس الزوجة من قبل الزوج، فالزوجة ترغب في ذلك لأنها تعتبره سلوكاً يوحي بحب الزوج لها.

التعري أثناء الجماع

عن النبي صلى الله عليه وآله : «إذا تجامع الرجل والمرأة فلا يتعريا فعل الحـمارين فإن الملائكة تخرج من بينهما إذا فعلا ذلك».

إن الملائكة تتدبر الأمور جميعاً وتتنزل مع كل قطرة مطر وكل لقمة

طعام ومع الرعد والبرق ومع قوة الجاذبية، وهنالك ملائكة تحافظ على ثبات المسافة بين الأرض والشمس فمنها من تتعهد بمسؤولية منع اقترابهما وفئة أخرى بمهام الحيلولة دون ابتعادهما عن بعض.

الملائكة كالمهندس توضع المواد الإنشائية تحت تصرفه ليتدبر أمر البناء بها لكنه يسير حسب القوانين والمعلومات التي يفترض عليه تطبيقها، والملائكة في أفضل تعبير عنها ﴿المدبرات أمراً﴾ ولكن حسب تعاليم إلهية تسيرها لا كما تشاء:

﴿تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر﴾[١].

إذن القرآن يرى أن الملائكة وكذلك الروح أمر إلهي يتدبر في الوقت نفسه أمر غيره من مخلوقات الله.

ويمكننا أن نمثل الملائكة بالمهندسين الذين يتابعون مسيرة العمل في المصانع والمعامل.

ولنعد إلى الحديث النبوي الشريف الذي يؤكد أن التعري أثناء المجامعة من فعل الحمير، والملائكة لا تتواجد بين الحمير أثناء ممارستها العملية الجنسية، وهذا ما يدعوها لتخرج من بين إنسانين يتجامعان كما يفعل الحمير.

إن مقارنة مواقعة بين إنسانين مع تزاوج الحمير تعيد إلى أذهاننا الآيات الشريفة: ﴿ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل..﴾[٢].

---

١ ـ سورة القدر، الآية ٤.

٢ ـ سورة الحجر، الآية ٣.

﴿..ويأكلون كما تأكل الأنعام..﴾[1].

إن هذه الآيات إنما تذكر القواسم المشتركة بين هذين المخلوقين فكلاهما يأكل الطعام ويلتذ من أبناء نوعه محققاً أملاً جبل عليه فطرياً. إلا أن الإنسان يختلف عن الحمير بأنه سيد نفسه يمتلك قوة رادعة تعينه وتمكنه من التغلب على أهوائه الجنسية، وهذه القوة الرادعة لايسعها إلا أن تكون ملائكة مقربة إلى الله سبحانه وتعالى.

النتيجة المستخلصة من هذا التوضيح أن خروج الملائكة من بين الناس يؤدي إلى انحرافهم جنسياً.

ومما يلفت الانتباه في النصوص الإسلامية التي تؤيد هذا الموضوع أن رجلاً سأل ابا عبد الله الصادق عليه السلام قائلاً: أأجامع وأنا عريان؟ فقال عليه السلام: لا. ثم أردف قائلاً: «ولا مستقبل القبلة ولا مستدبرها».

يستدل من هذا الحديث ان عدم التعري ليس القضية المهمة الوحيدة أثناء الجماع بل هنالك مسألة أخرى تضاهيها من حيث الأهمية وهي عدم استقبال القبلة أو استدبارها، أي أنه يقارن بين الوضع الذي يستقر فيه الإنسان أثناء الجماع وموقعه من القبلة من جهة، وعدم التعري من جهة أخرى، فما وجه الشبه بين هاتين الحالتين؟!

المقصود من هذه المقارنة أولاً ان ما يدل على تبادل الاحترام بين الزوجين أي احترام الزوج لزوجته واحتفائها به هو عدم مطالبة أي منهما بتعري الآخر. والمدلول الثاني هو أن التعاليم الإسلامية وكما تحرم

---

١ ـ سورة محمد، الآية ١٢.

استدبار القبلة أو استقبالها أثناء قضاء الحاجة أو التبول فإنها تحرمه أثناء الجماع أيضاً. وبالتالي نجمل من هذه المقارنة أن انتهاك حرمة قبلة المسلمين مذموم في الإسلام كما يذم انتهاك حرمة واحترام كل من الزوجين من قبل الآخر لأن أي انتهاك للحرمة أو إغفال وإهمال يؤول بالمتأثر به إلى الانحراف عن مسيرة الهدى.

قد يتصور البعض أن الغاية من هذا الحكم الإسلامي وكنهه هو أن رؤية الرجل جميع نواحي جسم المرأة وتطلع المرأة إلى جسم الرجل برمته، الأمر الذي تتوفر امكانيته في حالة العري، يخفف من حدة الرغبات وتوقعات كل من الزوجين من الآخر ويقلل كذلك من قدرة الإنعاظ. وهذا غير صحيح لأنه يباح لكل من الزوجين في الحالات الاخرى النظر حتى إلى عورة زوجه بل إلى جسمه العريان برمته. وأنّى يحق للمرء أن يتغاضى عن أمر النبي الكريم ﷺ بأن يقول ما دامت المشكلة تكمن في النظر فبمقدورنا إطباق جفنينا أثناء الممارسة، وهذا أيضاً غير صحيح لأن المأخذ وارد على أصل التعري أثناء الجماع لا على التطلع إلى الزوج عرياناً. وسبقت الإشارة والتنويه إلى أن التعري في هذه الحالة قد يؤدي إلى انحرافات مذمومة جداً كالجنسية المثلية وغيرها.

لنذكر جزئيات أكثر حول هذا الموضوع بغية ترسيخ الفكرة في أذهان المؤمنين: إن المرأة لاترغب في التطلع إلى جسم الزوج أو عورته خلافاً للرجل الذي يود التطلع إلى كافة أنحاء جسم زوجته وأن يمتّع نواظره كذلك برؤية جسمها، ولكن الإسلام يعتبر هذه الرؤية من أضرار الحاسة البصرية.

الوضع الجسماني أثناء الجماع

بمقدور الرجل أن يستلقي على ظهره أو وجهه أو على أحد جـانبيه وهكذا المرأة تستطيع أن تتخذ أحد الأوضاع الأربعة المذكورة وبـالتالي يتمكن الزوجان أن يتضاجعا بأربعة أنماط: (أن يعتلي الزوج زوجـته أو تعتليه هي أو أن يتخاصرا اي أن يستلقيا على جانبيهما مـتقابلين أو أن يحتضن الزوج زوجته من الخلف). أما عن النمطين الآخرين (أن يستدبرا أي أن يلتصق ظهراهما أو تحتضن الزوجة زوجها مـن الخـلف) فـإنهما لايمكنان الزوجين من التناكـح (إلا فـي حـالات اسـتثنائية سـأتطرق لشرحها في مواقع أخرى). وهنالك أنماط لايمكن اعتبارها استلقاءً.

إنني بصفتي طبيباً أجد أن التعاليم الإسلامية تحث الزوجين المنتقدين بنيران الشهوة في ليلة زفـافهما لإقـامة الصـلاة بـغية الاتـصال بـالعالم الملكوتي الأعلى وتنزيه الروح بالدنو من أعلى العليين والاندماج مـع عالم المعنويات السـامية الزاخرة بروح القدس، أرى أن واجبي يحتم عليّ إرشاد هذين الكائنين البشريين إلى السلوك الصائب فيما يخص الجانب الحيواني من وجودهما علماً أن الإنسان هو الكائن الوحيد الذي يتمكن من تفقه وضعه من هذه الناحية (إضافة إلى قدرته على الإتصال بالعالم

الملكوتي) خلافاً للحيوان الذي يلبي متطلبات حيوانيته دون تفقه منه وهذا ما يدعوني بل يضطرني للتطرق إلى كل ما أتطرق إليه.

نستنتج مما ذكر أن الزوجين بمقدورهما اتخاذ إحدى الوضعيات الثمان إلى جانب الوضعيات الثانوية المشابهة بناء على القانون الإلهي ﴿نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنّى شئتم...﴾[1]، أي أن تتم المواقعة أينما يثمر الحرث ويدر بمحصول مناسب، وعبارة ﴿أنّى شئتم﴾ إنما تعني أن تتم المجامعة كيفما يرغب المرء ولكن في القبل لا الدبر.

أما قولنا عن الاستلقاء فلا نعني به أن يتم مثلما يكون وضع الغريق أثناء عمليات انقاذه بعد انتشاله من الماء أو كوضع المريض الذي يتم تخديره في غرفة العمليات بل بمقدور الزوجين أن يتخذا أي وضع يريحهما ـ كما سأُوضح ـ لا ان يستلقيا كاملة كالحالتين الآنفتي الذكر شرط أن لايستقبلا القبلة أو يستدبراها لأسباب تأتي ضمناً.

لقد وعد الله عباده رجالاً ونساء بقوله تعالى: ﴿وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله..﴾[2] أن يغنيهم من فضله بعد تناكحهم أي يدر عليهم بفضل مادي إلى جانب ما يصيبهم من المتعة واللذة، ولكني أنبه هنا من يؤمن بآية ويغفل عن آيات أخرى في المضمار ذاته، تصوراً منه أنه أتى بما يكفي لحلّ ما يستعصي، أنه على خطأ فاضح لأن الله الذي يعتبر الرجل لباساً

---

١ ـ سورة البقرة، الآية ٢٢٣.

٢ ـ سورة النور، الآية ٣٢.

للمرأة والمرأة لباساً له ويرى أن المودة والرحمة هي ثمرة الزواج، يمنع فضله عن الزوجين عندما لايكونان لباساً لبعضهما أو لايسعى أحدهما لتخليص الآخر من الصعاب وانتشاله من المشاكل الناجمة عن الزواج أو أن تسلب الزوجة راحة الزوج بدلاً من أن تهيئ له أجواء مفعمة بالمودة والرحمة، أو أن يخلع الزوج عن زوجته لباس الرأفة والرحمة وفلسفة ذلك أن الرجل عندما يشعر بمسوؤليته في سياق تأمين مستلزمات العيش لزوجته وتوفير متطلبات الحياة الهانئة لأسرته يجهد لاستحصال الغنىٰ، بينما يصاب بالسأم والبرود إن لم تكن الزوجة لباسه ومأمن سكينته ومنال حبه إذ يفتقد بذلك دوافع العمل والتفكير بما يعمل ويتساءل مع نفسه ولماذا الغنىٰ؟ ولمن؟ و... .

إن المتعة من مقومات الزواج والمرأة التي تسبب حرمان الزوج من ﴿يغنهم الله من فضله﴾ بعدم مطاوعته وتمكينه تلقىالذم وتستحصل الإثم في الإسلام لمنعها تحقق الوعد الإلهي، وهذا هو سبب ذم المرأة الحرون التي تتأبى على زوجها. إن الذم في الدين الإسلامي لايقتصر على المرأة بل يشمل الرجل فيما لو ترك زوجته وعزل فراشه عنها.

والإسلام الذي يدعو الزوج ليكون لباساً لزوجته والزوجة أن تكون لباساً لزوجها ويأمر كل منهما بالحفاظ على حق الآخر لابد له دون ريب أن يوصيهما بإتيان الجماع بشكل خاص وبما يوفر ظروف الارتياح وتلذذ كل من الزوجين من ممارسته لاسيما التعاليم الإسلامية التي تؤكد على الزوج ضرورة إعداده الزوجة للتناكح قبل وطئها بمداعبتها كما سلف الذكر. إن الإسلام الذي يأمر الزوجة بتمكين زوجها والزوج بتهيئة

الظروف النفسية المواتية بغية نيل أعلى حد ممكن من اللـذة الجـنسية ينبغي له أن يرشدهما للوضع الجسماني المناسب والذي يفترض اتخاذه للتمكن من نيل أكبر لذة وأهنئها.

قد يتسم القضيب بضخامة القطر وقصر الطول أو بنحافته وزيادة طوله أو بضخامة القطر وزيادة الطول أو بالنحافة وقصر الطول إلا أن الحـالة العامة هي القصر والضخامة أو الطول والنحافة. والقناة المهبلية لدى المرأة إما تكون فسيحة وطويلة أو فسيحة وقصيرة أو ضيقة وطويلة أو ضيقة وقصيرة وتتمكن المرأة من التلاعب بوضع المهبل ليتلاءم مع وضع قضيب الزوج بما يمكنها من تمكينه ومساعدته على استحصال أكبر لذة ممكنة ويؤدي بالتالي إلى إنعاظ كليهما.

إن الرجل ذا القضيب النحيف والطويل لايتمتع دون شك بمجامعة إمرأة يكون مهبلها واسعاً وقصيراً لأنه لايمكنه من الإيلاج التام، والحل الذي يؤمنهما من مثل هذا الانزعاج والمتاعب النفسية المتأتية جراء ذلك هو استقرارها بوضع تأتي جزئياته بعد قليل،وكذلك الزوج ذا القضيب القصير الضخم تلحقه آلام نفسية عند مقاربة زوجة ذات مهبل ضيق وطويل القناة وفي هذه الحالة يكون على الزوجة ان تثني ساقيها وتقرب فخذيها من بطنها قليلاً ليقصر طول قناتها وهو أفضل وضع يساعد على التلاقح في جميع الحالات ويزيد من التلذذ في حالة القضيب القصير الضخم.

الجدير بالذكر أن الوضع السابق ننصح الزوجة باتخاذه عندما يـفتقد الزوج القدرة الكافية على إزالة بكارتها في أول مجامعة بـينهما، وهـذا مايكفيهما معاً مؤونة الكثير من المتاعب والمشاكل النفسية والاجتماعية

التالية.

ولا يجوز إتخاذ الوضع السابق للمرأة في فترة حملها أو المصابة بتقرح أو التهاب عنق الرحم أو هبوطه نسبياً عن موقعه في التجويف البطني أو للنساء اللواتي يرغبن في محاولة الرجل لإثارة بظرهن بحكه بالقضيب.

إما إذا أرادت المرأة التهيؤ للرجل ذي القضيب الطويل النحيف فلا بد لها أن تمد ساقيها وتبعدهما قليلاً عن بعض وأن ترفع الوسادة من تحت رأسها وتضعها تحت أسفل الظهر أو تستغني عن الوسادة بوضع يديها في هذه المنطقة ليضيق مهبلها ويزداد طولاً.

ويتناسب هذا الوضع مع النساء ممن خبرن آلام المخاض كراراً أو يعانين من البرود الجنسي أو يكون الزوج ممن مارس اللواط قبل هذا واعتاد قضيبه على الضغط الذي كانت فتحة الشرج تسلطه عليه.

وارتفاع الفخذين عن الأرض واقترابهما من البطن بغية تقصير المهبل في الحالة السابقة يؤدي الدور ذاته إذا استقر الفخذان على كتفي الرجل.

وقد يتعاكس دور الرجل والمرأة عما ذكر فتعتلي الزوجة ذات النشاط المفرط زوجها لاسيما عندما يكون الزوج طاعناً في السن والزوجة تصغره بكثير.

وفي هذه الحالة وخلافاً للوضع السابق الذي يقيد حركات المرأة وحريتها في اتخاذ الأوضاع الجسمانية المطلوبة فإن اعتلاء الزوجة لزوجها يمكنها من التحرك كيفما تشاء، واغلبية النساء ممن يعانين من البرود الجنسي يستشعرن الرضا من اتخاذ هذا الوضع بسبب حرية

تحركهن أثناء الجماع على هذا النحو، وكذلك اللواتي يصغرن أزواجهن بكثير كما سلف الذكر أو يتمتعن بشهوة جنسية فاعلة جداً إذ يطيب لهن اعتلاء الزوج وتلتذ به النساء المهيمنات على مقدرات الأزواج خلال الحياة الزوجية عامة لأنه أفضل وضع يلبي رغبتهن في التسلط على الرجل.

إن اعتلاء الزوجة زوجها يهيئ الظروف المناسبة لشعور الرجل بالارتياح إلى حد ما رغم عدم تعهده بدور الغشيان لما يوفره من فرصة كافية لبلوغ الإنعاظ ثم القذف لاسيما البدينين من الرجال، ويفترض اتخاذ الوضع السابق (اعتلاء الزوج) إذا كانت الزوجة ممن يعانين من السمنة.

وعلى هذا الوضع يبرز مأخذان، الأول أن السائل المنوي ينساب من أعلى المهبل منحدراً نحو الأسفل ليخرج بعدئذ من المهبل مما يقلص من احتمال وقوع الحمل ويخفف من حيوية المرأة ونضارتها كما سيأتي شرحه. والثاني أنه يعجل ابتلاء الرجل بالعجز الجنسي.

الجدير بالذكر أن وضع اليدين أو الوسادة تحت أسفل الظهر هو الوضع المفضل للفتيات الصغيرات.

ولاننسى الإشارة هنا إلى أن المخاصرة توفر إمكانية إستثارة بعض نواحي الجسم بشكل لاتساعد الأساليب الأخرى على إخباره وهو أفضل وضع يستقر فيه من يخص القبلة بأهمية خاصة.

إن المخاصرة أي استلقاء الزوجين على جانبيهما وهو ما أطلق عليه اصطلاح الوضع الجانبي نظراً لاستقرار أحد جانبي كلا المتواقعين على الأرض، تهيئ الظروف عادة لاستشعار لذة عارمة. وهنالك نمطان آخران

من المخاصرة هما احتضان الزوج لزوجته من الخلف أو أن تحتضنه هي من الخلف.

عندما يعتلي الرجل ظهر الزوجة ليغشاها من الخلف في القبل، يستحسن وضع وسادة تحت البطن أو أن تستند المرأة على ساعديها وركبتيها بما يشبه وضع السجدة.[1] ولكن التصاق أرداف المرأة بمنطقة العانة في الرجل يعجل قذفه إلا أنه أفضل طريقة للنساء اللواتي تسبب لهن بقية الأساليب آلاماً، كما يعتبر الطريقة الأكثر تلاؤماً مع حال تلك الثلة من النساء التي تعاني من التهابات في الجهاز التناسلي ولكن نحذر النساء الحوامل منها كما نلفت الانتباه هنا إلى كراهية الاستلقاء على البطن في الإسلام.

أما عن اعتلاء الزوجة زوجها بحيث يستلقي كلاهما على ظهره ويحتضنها من الخلف وهي تعتليه فإنها طريقة لايلجأ إليها إلا القليل من الأزواج حيث يصعب الإيلاج على هذا النحو ولكنه يوفر الفرصة للرجل ليعض بخفة شحمة أذني زوجته أو العضلة خلف الرقبة وباستطاعته تهييج شهوتها بدعك البظر.

وفي الأوضاع الأربعة الخاصة بالمخاصرة والتي سبق شرحها نعتبر استلقاء كلا الزوجين على جانبه الأيمن هو أبسط الطرق في المخاصرة

---

١ ـ يطلق على هذا الوضع في المؤلفات التي تتطرق للحياة الجنسية «الطريقة البهيمية» نظراً لتشابه الوضع الذي يتخذه الزوجان في هذه الحالة بوضع البهائم عند الجماع.

وأكثرها توفيراً للراحة.

وأشير هنا إلى موضوع قد يحسبه البعض خارجاً عن نطاق بحثنا هذا وهو ان النصف الأيمن من جسم الإنسان ونظراً لاحتوائه على الكبد وأدائه نشاطات حيوية أكثر من النصف الأيسر فإنه أثقل من الجانب الآخر (اليد اليمنى أثقل من اليسرى و...) ولهذا يسقط من يتعرض للاغتيال أو يغمى عليه على الوجه إن كان قدمه الأيمن هو المتقدم بينما يقع على الأرض ووجهه إلى الأعلى إن كان قدمه الأيسر يتقدم القدم الآخر، ولهذا يأمر الإسلام أن نتقدم بالرجل اليسرى عند دخول المرحاض وباليمنى عند دخول المساجد والبيوت.

وإن أمر مدرب رياضي أعضاء فريقه بشكل متواصل للتوجه نحو اليمين فإنه سرعان ما ينهك قوى اللاعبين بينما يكون الدوران حول مركز يقع إلى الجهة اليسرى أسهل من ذلك. كما لايسعنا ركوب الحيوانات أو الدراجات من الجهة اليمنى، وتسقط الناقة جنينها إذا ما أجبرت على الدوران حول حصار ما وكتفها الأيمن إلى جانب مركزه وهذا هو السبب الذي يدفع أصحاب الحيوانات لحملها على الدوران استناداً على النصف الأيسر من الجسم لا الأيمن لثقله.

لقد أوجب الدين الإسلامي على حجاج بيت الله الحرام أن يدوروا حول الكعبة وجانبهم الأيسر إليها. وهذه القاعدة هي التي تيسر المضاجعة عندما يكون كلا الزوجين مستلقياً على جانبه الأيمن.

وتتوسط ساقا الرجل في هذا النمط عادة ساقي المرأة وترفع المرأة جل جسمها عن الأرض ملتصقة بصدر الزوج وبطنه.

ويقل احتمال وقوع الحمل بهذه الطريقة التي تفضل ممارستها للمصابين بالقذف المبكر رغم أنها قد تشعر أحد المتواقعين أثناء العملية بالراحة والآخر بالانزعاج. على أية حال يتوقف أمر استحصال اللذة التامة على سمات القضيب ووضع المهبل واختبار سائر الأوضاع الأخرى والعمل على انتقاء النمط الأفضل.

والنمط المتقاطع كذلك من الأنماط التي يمكن ممارسة النكاح به بأن يستلقي الزوج على جانبه والزوجة على ظهرها على أن ترفع إحدى ساقيها واضعة إياها على ورك الرجل أو جانبه أما الساق الأخرى فتوضع بين ساقي الرجل. إن هذا الوضع يتلاءم وحال المرأة الحامل إذ لاينجم عنه أي أذى لها أو لجنينها.

وهنالك أساليب أخرى نضدها أحد الأطباء الإيرانيين في جدول سباعي أنقلها عنه دونما تغيير:

في الحالات الأربع التي يعتلي فيها الرجل زوجته اما تكون المرأة مستلقية كما تفعل في سائر الأوقات الأخرى وتتخذ ساقاها أحد الوضعين: الانثناء او المد، وإما أن تتكئ على ما يسند ظهرها وهي جالسة تقريباً. وفي الحالة العادية التي تبعد الزوجة فيها ساقيها عن بعضهما وتثني ركبتيها قليلاً ليتم الإيلاج بشكل كامل بينما لايستثار البظر أو عنق الرحم وهو نمط يتناسب مع حال الزوجين في ليلة الزفاف كما يساعد النساء ممن يعانين من القذف السريع على الإبطاء بغية مسايرة الزوج حتى بلوغهما الإنعاظ معاً.

وعند انحناء الساقين وثنيهما نحو بطن المرأة نفسها أو وضعهما على

كتفي الزوج أو تطويق ظهره بهما يقصر طول المهبل حوالي ٣ـ٤ سانتيمترات ويتهيج البظر وعنق الرحم ويتم الإيلاج بشكل واف مما يشعر الزوج بالارتياح الكامل والاشباع التام ويزيد من احتمال وقوع الحمل ولكنه يضر النساء الحوامل.

والساقان الممتدان أي أن يتم ضمهما إلى بعضهما ثم إبعادهما عن بعض بحيث يستقر الزوج بين الفخذين وضع يؤدي إلى تهيج البظر والشفرين الكبيرين دون عنق الرحم ويساعد على التلاقح ويتلاءم مع وضع المصابات بتورم الرحم كما يتناسب وحال ذوي القدرة الجنسية الناقصة خلافاً لمن يكون قضيبه طويلاً.

وهنالك الوضع الذي تتكئ فيه المرأة إلى ما يسند ظهرها وهي جالسة على حافة الفراش بينما ساقاها معلقان أو تسندهما بساعديها أو تلقي ببقية جسمها على السرير فيجامعها الرجل بسهولة وهو يستقر بين فخذيها، ويمكنها وضع عدة وسادات تحت الحوض. ويتم الإيلاج حسب مقدار تراجع المرأة إلى الخلف كما يتهيج البظر، وهو أفضل وضع يمكن اتخاذه عند إزالة البكارة في ليلة الزفاف نظراً لتيسيره عملية الإيلاج كما يتناسب وحال المصابين بالسمنة.

وأما الحالات التي يستلقي فيها الرجل على ظهره مطبقاً ساقيه وتعتليه الزوجة ملقية ساقيها على جانبيه أو تستقر ركبتاها على الأرض وتنحني قليلاً إلى الأمام مستندة على يديها وتبادر لايلاج القضيب في مهبلها فإنها من الحالات التي تتعهد فيها المرأة بالدور الأكثر نشاطاً، وبإثارة عنق الرحم تزداد سرعة الإنزال مما يسلب الزوجين الفرصة الكافية

للمداعبة ويقلل من احتمال وقوع الحمل لأسباب سبق ذكرها، وهي من الطرق المناسبة للمرهقين وذوي القضبان المنحرفة من الرجال.

ويمكن ممارسة الجماع في حالة الاستدبار بأن تدير الزوجة ظهرها على الزوج وهي تستند في جلستها على ركبتيها وتنحني قليلاً إلى الأمام فيتم الإيلاج بشكل جزئي حسب طول المهبل، وهذا ما يتلاءم ووضع المصابين بالسمنة أو النساء الحوامل. وفيها أسلوبان:

أ ـ أن تستدبر المرأة زوجها وهي جالسة بأن يجلس هو على الكرسي ويحتضن المرأة بشدة من الخلف حتى يتم الإيلاج دون إثارة البظر وعنق الرحم وهي طريقة سرعان ما تسبب الإرهاق.

ب ـ أن تقابل المرأة زوجها ويتم الإيلاج مع فسح المجال أمامهما للمداعبة التامة وملاطفة كل منهما الآخر.

اما عندما يجثو الرجل على ركبتيه والمرأة كذلك مع انحناء المرأة إلى الأمام ويتم الإيلاج في القبل من الخلف فإنه جماع سهل وتام إلا أنه لايتلاءم مع وضع المصابين بالبدانة.

وقد يولج الرجل قضيبه قياماً في المرأة وهي طريقة منعها الإسلام بتاتاً. وفي هذه الحالة قد يتم إثارة البظر والثديين والأرداف دون عنق الرحم كما شرحت قبل هذا. وتعانق المرأة في هذه الحالة وهي جالسة زوجها وتحيط خاصرته برجليها وهو ما لاتتمكن منه إلا المرأة القوية.

وقد تنحني الزوجة على الكرسي ويبادر الزوج لوطئها قياماً في القبل من الخلف. وأكثر الطرق تلاؤماً مع وضع المرأة الحامل هو استدبار المرأة لزوجها أو مقابلته وهما مستلقيان على جانبيهما.

من حوادث ليلة الزفاف

لم تبلغ أغلبية الحيوانات الكمال الحيواني وهي لا تتبع قاعدة انتقاء الزوج إذ لا يختار الذكر أنثاه ولا الأنثى ذكرها، فالذكر أينما وجد أنثى توافقه الرغبة ينكحها إلا السمكة والطيور والحيوانات الثديية فإنها تقوم باختيار الزوج وخاصة الإناث منها حيث تنتقي ما يناسبها من الذكور ولكن الملاحظة المهمة هي أن أياً من الحيوانات لا يختار زوجه عن تفقه وفهم.

وكل من الحيوانات يمر بأوضاع وأحداث عجيبة ومدهشة أثناء التزاوج، ففي عالم النحل يتبع نحو ٤٥٠ زنبوراً ملكتهم وينكحها من تقدمهم في الوصول إليها ولكن ينجم عن هذا التزاوج فقدان الذكر لعضوه التناسلي ولكافة أحشائه الباطنية وقد يهلك بعضهم بعد تفرغه من المجامعة كما يحتمل أن تموت الأنثى بعد مرحلة الإباضة. ويحدث أن تأكل الأنثى ذكرها بعد مجامعته لها وقد يتعهد الذكر في الحالات التي تموت فيها الأنثى بعد الإباضة بمسؤولية تنشئة الجيل التالي.

إلا أن أياً من هذه الحيوانات لا تواصل مسيرة غيرها من الحيوانات

وفق متطلبات مسيرة تكاملية تدريجية فيما عدا غشاء البكارة الذي يتكامل على هذا النحو حتى يبلغ الثدييات وصولاً إلى الإنسان حيث يغطي هذا الغشاء في الأنثى فتحة المهبل برمتها وهي من القضايا العجيبة أن يتكامل غشاء البكارة مع تكامل الحيوانات كما يكون حال المشاعر الودية بينهم. إذن غشاء البكارة يمكنه أن يعتبر مؤشراً على المودة والحب.

ومما يدعو الكاتب لينكب على أيدي الأنبياء والمرسلين مقبلاً إياها وكأنه القلم ينكب على الصفحات يسطر عليها مفاهيم بعثوا بها ونوروا درب البشرية بواسطتها هو أن الأنبياء كانوا أول من يؤمن بتعاليمهم المتطابقة مع الأسس الفطرية خلافاً لسائر الناس فأكثرهم عصرنة وتقدماً في العلم يأتون بخلاف ما توصلوا إلى ضرورته علمياً، ومثال على ذلك سلامة غشاء البكارة أو انعدامه وايلاؤه القيمة أو إهماله. إن الأنبياء والرسل كانوا يعيرون هذا الموضوع إهتماماً بالغاً باعتبار سلامة البكارة رمزاً لعفة المرأة.

لقد أثبتت الأبحاث والتحقيقات الجارية أن الدورة الشهرية لدى النساء المتزوجات والبنات النزيهات وكل من تتمتع بالفضائل الخلقية النسائية تتبع نظاماً أكثر ثباتاَ من غيرهن ومعدل عمر المتزوجين من النساء والرجال أكبر منه لدى غيرهم. وأن نسبة الإصابة بسرطان الرحم لدى النساء اللواتي مررن بخبرة الولادة أو رضعن أبناءهن من ثديهن أقل بكثير من نسبة الإصابات لدى تلك الفئة التي تمتنع عن رضاعة الأبناء محافظة على الثديين من الذبول، ويكون الأطفال ممن رضعوا الحليب

المترشح من صدر الأم بعد ولادتهم مباشرة أقل تأثراً بالسموم والمكروبات (الجراثيم)، وقد عني الإسلام بكل هذه الثوابت العلمية عند سن القوانين وتعيين الأوامر والنواهي التي يكتنز كل منها حكمة وفلسفة لم يتوصل إليها العلم إلا بعد قرون متمادية وما زال يجهل الكثير منها.

والمرأة الفاتنة تعلم أن نضارتها تزيد من حب الزوج لها ولهذا تعتني بأمر التجميل واستعمال الطلاءات والمزينات كي تكسب قلبه أكثر فأكثر.

أما ما يستقطب الزوجة من الزوج فهو صفاته وخصائصه التي تدفعها للتعلق به ولأن تعينه على تعزيز هذه السمات في شخصيته ومنها المؤهل العلمي، الشأن المعنوي، المروءة والفضيلة وبالدرجة التالية الفتوة والقوة الجسمانية التي تدل على كدحه في عمله وتحمله المشاق.

إن غشاء البكارة هو أعظم مؤشر يدل على خصائص المرأة ونمط شخصيتها. إن الباكر تعلن لزوجها أنها لم تمنحه بكارتها وصمام عفتها بصفته زوجها وشريك حياتها، طمعاً في ماله أو انبهاراً بمكانته ومقامه وفضائله بل لأنها تحبه. إنها لم تسمح لغيره من الرجال ممن يحوزون الخصائص التي ترغبها المرأة للتوغل في قلبها حتى عثرت على الرجل الذي يليق بها ويجدر بها انتقاؤه. والدليل على صحة وصفاء حبها له لا لثروته وشهرته وشأنه و... هو سلامة غشاء بكارتها.

وفي المجتمعات التي فقد فيها غشاء البكارة أهميته ودلالاته يؤكد جميع الخبراء والاخصائيون النفسانيون أن المضاجعة الأولى تحتفظ بذكريات لا تنسى ويأبون حياء وخجلاً عن ذكر تفاصيل وجزئيات أكثر من هذا ومنها أن ما يهم الرجل في هذه المضاجعة سلامة بكارة المرأة

وأن كنه نظرة المرأة إلى زوجها تختلف فيما لو كان غشاء بكارتها سليماً أم لا بالضبط كالأمواج الصوتية الناجمة عن اهتزاز الأوتار الصوتية في الحنجرة إذ أنها تتباين في الفتاة الباكر، عن غير الباكر، وكان القدماء يستعينون بهذه المسألة (بدلاً من الفحص الطبي) في معرفة إن كانت الفتاة ما تزال باكراً أم فقدت غشاء بكارتها، وقول البعض أن هيمنة الرجل على المرأة حرمها فرصة الكشف عن مواهبها في المجالات المختلفة نابع من تصور خاطئ لأن المرأة أثبتت جدارتها منذ ملايين الأعوام على صعيد الحمل والولادة وبينت قابليتها في مجال الطهي والخياطة و... منذ آلاف السنين، ورغم فسح المجال أمام المرأة ما زال الابداع في بعض الميادين خاصاً بالرجال.

والأهم من هذا تصورهم أن هيمنة الرجل على المرأة هي التي ألزمتها بضرورة التعفف ولو كان حالها على غير ما هو عليه لتركت العفة وشأنها، وكم تبهرنا براعة التعبير القرآني فيما يخص اتهام السيدة مريم عليها السلام والطعن في عفتها ﴿**يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا**﴾[1]، كأننا بالآية الشريفة تعني أن البغي يثمر سوءاً في جسم المرأة وينجم عنه بداية حياة سقيمة تشرع بجني ثمرة فاسدة.

إن الطفل لو لم يكن نتاج زواج إلهي فإنه يدل على الخطيئة ويؤدي إلى الفضيحة وإلا فإن وجود الطفل ذاته في غير هذه الحالة يدل على نزاهة المرأة وعفتها، فطفل مثل النبي عيسى عليه السلام نبه الناس بنطقه في

---

١ ـ سورة مريم، الآية ٢٨.

المهد إلى حقيقة عفة والدته وتدخل الحكمة الإلهية في أمر ولادته باعتباره رسول الله ومبعوثه إلى بني البشر.

وجه الناس العتاب للسيدة مريم العذراء النزيهة وهي سيدة النساء في زمانها بأن مثل هذا السلوك لم يبرز من أبيك كما لم يلحظه أحد عن أمك والنطفة التي ورثتها من الجانبين كانت طاهرة، فماذا دهاك وانت ابنة أناس لم يأتوا الإثم، وأنت وليدة الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة، لتلدي ولداً دون زواج ؟، فنطق الوليد الكريم بقدرة الهية حكيمة ليدفع الشبهة عن والدته ثم أردف بالقول ﴿..إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً﴾[1]، أجل إنه كان حقاً عبد الله وأحد رسله بل من رسله أولي العزم (حملة الكتب السماوية).

ان القرآن الكريم يؤكد على قضية عذارة السيدة مريم عليها السلام بل أنها ليست العذراء التي احتفظت بعفتها لعدم ممارسة جماع بل العذراء لغوياً هي الرمال التي لم تطأها قدم. إذن السيدة مريم عليها السلام لم تكن بعيدة عن هذا الاتهام الخاص فحسب بل أنها لم تقترف أدنى إثم في هذا السياق ولم تتدنس حتى بالمكروه على هذا الصعيد.

وكذلك النبي يحيى عليه السلام لم يقترب من المكروه وإن أثقل عليه مكوثه في الحصار وهو ثمرة دعاء زكريا عليه السلام ربه بأن يورثه ذرية صالحة. ودعاء أم مريم لله سبحانه وتعالى عندما نذرت ما في بطنها محرراً له أنتج ولادة السيد المسيح عليه السلام. فما هي الحكمة من تزامن الحالتين (ولادة

---

١ ـ سورة مريم، الآية ٣٠.

السيد المسيح والنبي يحيى بن زكريا عليهما السلام معاً في برهة زمنية واحدة؟ وما هي الخدمة التي تسديانها لدعم أصل التوحيد وهو الغاية من بعثة الأنبياء والرسل عليهم السلام ؟

ومثلما يلقب النبي يحيى عليه السلام بالحصور وهو من سماته البينة التي وضحها القرآن الكريم، يقترن اسم السيدة مريم عليها السلام بالعذراء، بينما نجد أتباع المسيح عليه السلام يتقدمون في العصر الحالي غيرهم من حيث عدم الاكتراث لوجود غشاء البكارة أو تمزقه.

الجدير بالذكر أن عفة المرأة وسلامة غشاء بكارتها عادت لتشغل مكانتها ثانية بين الشباب الغربي منذ عدة سنين.

لقد تطرقت في المجلدات السابقة لموضوع غشاء البكارة في الحيوانات والإنسان وشرحت باختصار هيئة هذا الغشاء في الثدييات وما يهمنا ذكره هنا هو ضراوة الانتظار ولهفة التوقعات والآمال والمودة التي تكتنزها الفتاة في قلبها وهي تجد نفسها في حضن زوجها إبان المضاجعة الأولى بينهما وتقدم له النزيف دليلاً على طهرها وبكارتها ولكن لابد للجميع أن يعلموا أن الفتاة قد تكون باكراً وعفيفة إلا أن تمزق غشاء بكارتها لايصاحبه نزيف، وقد ثبت أخيراً أن هنالك ألاعيب تفننية تتشبث بها غير البواكر كي يظهر عليهن من النزيف ما نراه لدى البواكر في ليلة الزفاف فتوحي إلى زوجها بأنها المرة الأولى التي تتضاجع فيها مع أول زوج (!) لها، وهو موضوع لايرتبط مع دراسات سلسلتنا هذه (سلسلة أول جامعة بشرية وآخر رسول إلهي). ويتطرق إليه الكثير من المؤلفات الجنسية بغية كسب القراء وزيادة الطلب على اقتنائها وجل ما

تحتويه مثل هذه المؤلفات سخافات وكلام لا طائل له.

أود هنا أن أسرد للقراء الكرام حادثة وقعت في فترة دراستي الجامعية:

توجهت جماعة غفيرة من سكنة إحدى المحافظات التي ما زال سكانها كسكنة سائر المحافظات الأخرى يعيرون قضية سلامة البكارة أهمية بالغة ويرونها أمراً يمس الغيرة والشرف، تقل عربتين كبيرتين وصلتا إلى عيادة طبيب أخصائي بالأمراض النسائية في العاصمة، مقلو العربة الأولى يعانون من إنفعال عصبي شديد وأصواتهم تتعالى هنا وهناك أما الجالسون في العربة الثانية فإنهم ثلة من الرجال والنساء غلب عليهم الصمت وغشيهم غبار الحزن وكأنهم في مأتم يحيون فيه ذكرى من ثكلوا به وبينهم فتاة شاحبة اللون نحيفة يبدو جلدها وكأنه ملتصق بعظام جسمها تحيطها النسوة. وبعد دخولهم عيادة الطبيب وقف الجميع يرهفون السمع لما يقضي به الطبيب وكأن على رؤوسهم الطير.

ويسرد الاستاذ الأخصائي أن الفتاة كانت قد زفت إلى بيت الزوجية قبل عدة ليالي إلا أن الزوج لم يشهد نزيفاً لها فأخبر والدته بالأمر وهي بدورها أطلعت أم الزوجة على ما حدث فبُدئ بقمع الفتاة وأثيرت الإنفعالات العصبية ولم يكن للمسكينة ما ترد به على الشبهات وتثبت عن طريقه نزاهتها مما الصق بها إلا التوسل والأيمان الغلاظ بكل ما أوتيت من قوة، فقرر الجانبان إستشارة استاذنا الطبيب الذي يذكر انه عند فحص الفتاة وجد غشاء بكارتها سالماً لم يلحقه أدنى أذى. فاستدعى الزوج وطلب إليه أن يسمح له بفحص قضيبه، وبعد ما أجرى ما يلزم

وصل به تأثره على الفتاة حداً لا يوصف، وأبلغ الجميع أن قضيب الفتى نحيف وصغير جداً بحيث تسمح له المنافذ الطبيعية في غشاء البكارة بالإيلاج دون تمزقه فسَرَّ حديثه أقارب العروس الذين تبين أنهم مقلو العربة الثانية وأقبل أقارب الزوج على الزوجة المنكوبة يعتذرون إليها ويقبلونها فرحاً وابتهاجاً. أما الزوج فلم يعد قادراً على الوقوف فلاذ بالجلوس والأسف يعتلج قلبه اعتلاجاً شديداً.

وهنالك ضرب من أغشية البكارة يكون عظمياً غضروفياً وأنواعاً أخرى أيضاً. أما النوع الأول فإنه لايُزال إلا بعملية جراحية بسيطة، ومن الأنواع الاخرى ما يحتوي عدة منافذ ضيقة وواسعة أو منفذاً واحداً واسعاً إلى الحد الذي يتمكن فيه القضيب النحيف من اجتيازه دون إلحاق أي أذى بالغشاء، أو غيرها من الحالات التي تمنع نزف الفتاة في ليلة زفافها خلافاً للتوقعات مما يدعو الشباب للتريث قبل توجيه تهمة الزنا إليها باعتبارها فتاة مسلمة يغضب إتهامها بغياً الله سبحانه وتعالى.

لو نمعن التفكير عند قراءة بعض الآيات القرآنية نجد أنها ترى أن مثل هؤلاء الأشخاص يستحقون العذاب بما أتوا من بهتان عظيم ﴿إن إلينا إيابهم. ثم إن علينا حسابهم﴾[1]، وقد نوهت فيما سبق أن من بين هؤلاء الأشخاص الجواسيس والعملاء وهم من أعداء الله الذين يزعزعون أركان المجتمع الإسلامي بإعانة أعدائه. والفريق الآخر هو المرابون الذين يشبه الله سبحانه وتعالى في قرآنه الكريم وصفهم بالمتربصين في

١ ـ سورة الغاشية، الآيتان ٢٥ و ٢٦.

الحروب.

إن بعضاً من مستحقي العذاب يؤجل إنزال العذاب بهم إلى يوم القيامة والفريق الآخر الذي تنتمي إليه الفئة التي نتحدث عنها تضرب عليهم الذلة والمسكنة في الحياة الدنيا كما ينالون نصيبهم من العذاب في الآخرة ﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة..﴾[١].

إذن يفترض على الشاب في ليلة الزفاف أن يتريث قليلاً إن لم يشهد نزف الفتاة لاسيما إن كان ممن يعير هذه القضية (سلامة البكارة) اهتماماً خاصاً وأن يركن لأحد الحلين الآتيين:

الأول: أن يمتنع عن إخبار أي شخص حول هذا الحدث ليبقى الموضوع سراً بينه وبين زوجته إيثاراً منه لوجه الله بغية الحفاظ على سمعة أسرة كبيرة.

الثاني: أن يستعيد حقه المهدور لأن خطبة العقد تشترط بكارة الفتاة عادة، بعد عرض الفتاة على قابلة أو طبيبة أخصائية في الأمراض النسائية تكون ملتزمة بالشريعة الإسلامية لتفحص الفتاة وتبت في وضعها لئلّا يهدر حق للزوجة، وبمقدوره التذرع بحجة أخرى لفسخ العقد إن كانت بكارتها ممزقة بالفعل حفاظاً على سمعة أقاربها وشرفهم.

وتتبين فتحة المهبل التي يغلقها غشاء البكارة تقريباً بإزاحة الشفرين الصغيرين. ويختلف وضع الغشاء المذكور من حيث الشكل والسمك من

---

١ ـ سورة النور، الآية ١٩.

فتاة لأخرى، فهو عند المواليد مطوي وأكثر سمكاً مما يحيط به، وعند الفتيات اللواتي أخبرن البلوغ الجنسي يغطي هذا الغشاء مدخل المهبل بشكل كامل تقريباً ويحتوي على منفذ أو منافذ يبلغ قطر كل منها ما يمكن إيلاج إبرة ذات رأس صغير أو أحياناً إصبع واحد أو أصبعين على أكثر تقدير فيه.

ويكون شكل هذه المنافذ نصف دائرية وقلما تكون مسننة أو ذات نتوءات إبرية أو بوقي الشكل أو غير منظم، وتتشابه الحالة الأخيرة مع التمزق وهي ليست كذلك وهذا ما يضفي عليها أهمية خاصة، وقد يفتقد غشاء البكارة المنافذ مما يسبب تجمع دماء الحيض خلفه ويؤول إلى مشاكل لا تدخل في نطاق هذا البحث. وإليكم الملاحظات التالية حول نمط تمزق غشاء البكارة:

- يتمزق غشاء البكارة إثر الجماع الأول، وقد يتمزق من عدة نواحي لا سيما الناحية الخلفية وتلتئم أطراف الجرح بسرعة كبيرة، ويمكن مشاهدة هذا الغشاء من بعد ذلك على هيئة عدة أقسام منفصلة تختلف مساحة كل منها حسب تكوين الغشاء الذي يزداد تمزقه إثر الايلاج كلما قل سمكه.

- لا يصحب التمزق في كافة الحالات نزيف، ففي بعض الحالات النادرة لاتشهد المرأة خروج حتى قطرة واحدة من الدم منها.

- قد يشتد النزيف في حالات استثنائية جداً ويبلغ الأمر ببروز الحاجة إلى عملية جراحية لوقف النزيف.

- يقل النزيف بزيادة العمر وقد يتمزق غشاء بكارة العوانس دونما

نزيف.

ـ في حالة خاصة يكون الغشاء من النوع الذي يقاوم التمزق ولا يمكن ذلك إلا بعملية جراحية بسيطة.

ـ قد ينفصل الغشاء عن محل اتصاله بفوهة المهبل بدلاً من التمزق.

ـ قد يتم الإيلاج في القناة البولية جهلاً من الرجل.

ـ قد يقع الحمل وتتكرر المضاجعات دون تمزق الغشاء في حالات نادرة جداً إلا أن الولادة الطبيعية كما هو بديهي لا تتم إلا بإزاحة غشاء البكارة.

ـ يصحب تمزق الغشاء آلام لدى ٥٠٪ من الزوجات، و٢٥٪ منهن لا يستشعرن أي ألم، بينما تعصف الآلام بالنسبة المتبقية منهن (٢٥٪). وتعود هذه الآلام لتخوف الفتاة ومقاومتها وبالتالي قوة الضربة والإصابة الناجمة عنها. وسمك الغشاء لا يلعب أي دور في هذا المضمار.

ـ يلتئم الجرح الناشئ عن تمزق الغشاء الذي لايتجاوز سانتيمتراً واحداً عادة، خلال عدة أيام.

ـ قد يتكرر النزيف ثانية أو عدة مرات فيما لو تتالت المضاجعات إلا أنه قلما نلاحظ هذه الحالة بعد مرور أسبوعين.

ـ إن تخويف الرجل زوجته وفق المثل الدارج «ذبح القطة في ليلة الزفاف» خاصة لو كانت الفتاة صغيرة في العمر، فكرة خاطئة جداً تبعث الاضطرابات النفسية لدى الفتاة كما يزيد من رهبتها الامتناع عن مضاجعتها لفترة من الزمن بعد ليلة الزفاف، بينما تدرك بوضوح أن الألم

والنــزيف يــقتصران عــلى الجــماع الأول فـيما لو يـبادر الزوج قـبل مضاجعتهما الأولى وتمزق بكارتها إلى مداعبتها والركون إلى التأني أثناء إزالة البكارة وعدم ترك مواقعتها طويلاً بعد الزفاف.

ـ نوصي الأزواج باعتماد أسلوب المداعبة والمـلاطفة مـع الفـتيات اللواتي يتمادين في عدم التمكين، فإن لم تجد نفعاً، أن يبادر لمجامعتها ورأسها إلى زاوية الغرفة لتقييد حركتها وتمكنه من التغلب على مقاومتها. ولكن نؤكد تأكيداً حازماً على الامتناع عن اللجوء إلى العنف.

ـ بمقدور العريس الذي يواجه بكارة صعبة التمزق أن يستند إلى ما نوهت إليه من سرعة تمزق الناحية الخلفية من الغشاء فيوجه ضغط رأس القضيب نحو الأسفل، وإن فشلت هذه الطريقة أيضاً ولقي تـجاوباً مـن العروس من الأفضل أن يطلب إليها تيسير الأمـر بـوضع سـاقيها عـلى كتفيه.

ـ على الفتاة أن تزيل الدماء عنها بالخرقة التي معها وتـضم سـاقيها بشدة إلى بعضهما.

ـ بوسع الفتاة إن استشعرت آلاماً شديدة مكررة في المضاجعة التالية أن تلجأ إلى التدهين بالمراهم المخدرة للتخلص من هذه المضايقات.

ـ يجب إعداد الغشاء القوي الذي يلحق الأذى بالزوج بـأن تـحاول الزوجة إدخال أحد أو إثنين من أصابعها بعد غسلها جيداً بالماء الفـاتر وتلطيخها بالصابون إلى حيث يستقر الغشاء وإعادة هذا العمل عدة مرات والاستمرار بها عساها تؤدي دوراً في تليين الغشاء مما يسهل تمزقه.

والقضية الأخرى التي ألفت انتباه الأخصائيين وذوي العلاقة إليها هي

حق الزوج في سلامة بكارة الزوجة وأنه لايحق لهم سلبه هذا الحق بأي نحو ولأية غاية وإلى أية درجة كانت لو جزم بعض الفحص أن الغشاء ممزق أو أن الفتاة مارست الجنس قبل هذا إذ لايفرق لدى الشريعة الإسلامية ان يتسلق المرء جدران بيت الرجل ليلاً لنهب ماله بما نسميه السرقة أو أن يخادع فتى ـ ابتاع من فتاة ذخيرتها في الحياة، المتمثلة بسلامة غشاء بكارتها أو بتعبير آخر، بعفتها وطهرها إزاء الوعود التي يقدمها لها والمسؤوليات التي يتحمل أعباءها من أجل إسعادها ليساهما معاً في بناء حياة زوجية سوية ـ يخادعه ويوهمه بأن ما استلمه من رأس مال سليم وهو يعلم أن البكارة ممزقة وأنه معرض للإنهيار في تجارته المعنوية هذه.

ويرى مشاهير علماء النفس المعاصرين أن لعب القمار هو ضرب من السرقة الضيافية المتسامية. ويقول صاحب كتاب «أسس التحليل النفسي:«يطلق على ضروب معينة من عمليات الاستبدال، التصعيد أو التسامي(Sublimation). وتشتمل العملية على استبدال رغبة أولية غير مقبولة للذات والارتقاء منها إلى ما هو مرموق اجتماعياً. فالنشاطات والالعاب الرياضية الفظة هي تسام أو تصعيد للنشاطات الخُبرية والتنافسية أو حتى لخبرة الانتحار فهي لا تستهدف إلحاق الأذى بجد بل تبتغي الإفصاح عن مواهب تفوق ما يتمتع بها المنافس واستقطاب أنظار وإعجاب المتفرجين الذين يسمحون له بتفريغ التوجهات العدوانية في التنافس عن طريق الانطباق الحر. ان ألعاباً كالملاكمة والمصارعة توحي باستشعار رغبات أساسية للإضرار بالمنافس أكثر من الألعاب الأخرى

كالتنس..».

«في حضارتنا القائمة على التنافس يعتبر لعب القمار تصعيداً أو تسام لدوافع السرقة خلال الضيافات أو المعاشرة الاجتماعية ولكن هذا التسامي يفقد قيمته الاجتماعية عندما تستجد الأوضاع وتبلغ مرحلة المعاملات الاقتصادية».

ولا فرق بين الربا الذي يعد سرقة لأموال المضطرين إليه والحكم الكاذب بشأن زوال غشاء البكارة أو سلامته وهو سرقة وغبن لحق من وضع ثقته في رأي الأخصائي، فالحالتان سواء بفارق أن لعب القمار والمراباة فعل علني يؤدي إلى غرق المتورط به في بحر الديون.

ومع أن الغربيين ولاسيما الأميركان قد عادوا للتمثل بالشرقيين في إيلاء البكارة أهميتها بعد تبلور رغباتهم في الزواج مع البواكر إلا أنه ما زالت هناك فئات تتبرك بزوال غشاء البكارة كطائفة من البانتويين التي تقدس الأمومة قبل الزواج لأنها ـحسب رأيهمـ تدخل السرور والغبطة إلى قلب الزوج وهو يقف على حقيقة تمكن الزوجة من الإنجاب وعدم عقمها، وترفع قبيلة «البوشنغو» الإفريقية القيود عن الفتاة بعد بلوغها لتتمكن من العثور على من يتناكح معها ولتلد طفلاً يتبناه الأب ثم تتزوج بعد ذلك.

وطائفة أخرى في الفلبين تؤمن بضرورة معرفة ما إذا كانت الزوجة ولوداً أم لا، بينما يحق للفتيان في إحدى الجزر النائية ـبعد بلوغ الحلم ـ أن يعود كل منهم إلى الدار بصحبة فتاة يقضي معها ليله وقد يصطحب في كل ليلة فتاة غير التي اصطحبها في الليلة السابقة على أن يخلي سبيلها

قبل بزوغ الفجر إلا إذا استساغ الزواج منها فبمقدوره الإبقاء عليها حتى بزوغ الفجر.

ويزداد تمسك الشعوب الاوربية الأكثر شرقية بحيازة غشاء البكارة ويصل هذا التعصب ذروته لدى الشعب اليوناني.

الجدير بالذكر أن هناك بعض الأقوام التي تبادر إلى إزالة البكارة بالإصبع أو بآلة ما والبعض الآخر يقوم بهذه المهام على مرأى أشخاص معينين أو يتعهد به شخص معين دوماً.

حدث آخر من أحداث ليلة الزفاف

تحول قابلية توسع المهبل دون تمزق غشاء البكارة منذ الجماع الأول إلا في الحالة التي يكون فيها فارق العمر كبيراً بين الزوجين كأن يتناكح رجل ذو قضيب كبير مع فتاة في مرحلة المراهقة، ولهذا أوصى الإسلام بضرورة مداعبة الزوجة وإعدادها بهذا النحو لممارسة النكاح، وقد أثبت العلم أخيراً أن المداعبة تؤدي إلى إفراز الترشحات التي ترطب المهبل وتمنع إلحاق الأذى بالفتاة خلال المضاجعة.

ولاننسى هنا الإشارة إلى احتمال إصابة المرأة بالتهابات الشفرين والفرج عندما يعتاد الزوج مضاجعتها عاجلاً وبشكل مفاجئ دون الإعداد والاستعداد لذلك.

ويؤدي الإفراط في الجماع إلى تخدش الحشفة لدى الرجل وتقيحها ويزداد عمق الجروح لو كان الشعر المتنامي على العضو التناسلي للمرأة

في بداية نموه واعتاد الزوج إثارة بظرها بحك القضيب به.

لايخفى أن التهتك لايقتصر على ما يصيب غشاء البكارة في ليلة الزفاف بل قد يستمر تمزق الأنسجة خلال المضاجعات التالية حتى يصل إلى الأمعاء أو القناة البولية (الإحليل)، وتدعى الحالة الأخيرة في الفقه (الإفضاء) وتسبب تحريم الزوجة على الزوج مدى الحياة.

وفي عالم الطب يندر تعرض الطاعنات في السن من النساء المصابات بتصلب بعض شرايينهن أو حتى عضلاتهن لتهتك الأنسجة مقارنة مع المصابات بسرطان أو قروح أو اضطرابات خلقية في الجهاز التناسلي.

وقد يتعرض قضيب الرجل إثر الإصابة بمرض معين إلى الإنفجار وأكثر الحالات التي تواجه الرجل خطورة إنكسار القضيب المنتصب، ويحدث ذلك عادة في المواخير عندما تقفز الغواني على قضيب الرجل.

وقد تختل فاعلية الأوعية الدموية وعملها في الجهاز التناسلي للرجل أو تتعرض هذه الأوعية للتصلب أو الأكياس المنوية للالتهاب أو تتقيح قناة القضيب إثر الإفراط في التناكح والجماع.

وقد تقمط عضلات المهبل على القضيب بحيث يستحيل خروجه دون تناول الأدوية أو أن يدخل إصبعه في شرج المرأة ويطلب إليها أن تحاول دفع القضيب خارجاً بما أوتيت من قوة.

ومن الطوارئ المرضية التي تحدث بعد الجماع الجلطة القلبية، الإسهال، التقيؤ، المغص،النوبة الصرعية، نزف الأنف، النزيف الدماغي

و.... وقد تفاجأ المرأة بتبولها لا إرادياً ولهذا ذكرت في محله استحباب تفريغ المثانة قبل الجماع.

وقد تصاب المرأة السليمة بآلام أثناء أو بعد الجماع إثر احتقان كافة أعضاء جهازها التناسلي دون بلوغها الإنعاظ الذي يزيل حالة الاحتقان فيسبّب تجمع الدماء في هذه الأنسجة إصابتها بآلام في الظهر، إلا أن هذه الآلام قد تنجم عن حالة البواسير أو النواسير (التشقق)، تصلب عضلات، نشفان جلد، انتفاخ أو التهاب المهبل أو أي ناحية أخرى من الجهاز التناسلي و.... .

وتتأبى المرأة على الزوج الذي تعلم أنه يناكح إمرأة غيرها ـ سواء أكان بأسلوب شرعي أو غير شرعي ـ خشية الإصابة بالأمراض الجنسية المسرية وتتذرع بالشعور بالألم أثناء الجماع إن اضطرت إليه.

كما تشير بعض التقارير بندرة إلى حالات الإصابة بالجنون وإلى انتحار الرجال بعد ممارسة الجنس ولكنها بشكل عام تطرأ لدى أشخاص سبق لهم الإصابة بالأمراض النفسية وتتكون لديهم إثر ذلك أرضية الإصابة بمثل هذه الحالات. وقد يبادر الرجل المصاب بالسادية إلى قتل المرأة التي يرفثها.

لقد أثبتت الأبحاث الطبية أن سبب العنة الفجائية أو التدريجية لدى الرجال يعود إلى الحالات النفسية الخاصة التي يعانون منها لاسيما في العنة الفجائية. ويحتمل مبادرة المرضى النفسيين في هذه الظروف

للانتحار.

(حد ثان آخران)

عندما يخلع الزوجان ثيابهما في ليلة الزفاف وينكشف جسم كل منهما أمام الآخر بما فيه من عاهات أو عيوب أو حتى نقص جزئي، نجد أن الرجل يحاول عادة في مثل هذه الظروف، التحدث عن عيبه كأن يكون أحد أصابع قدميه أكبر من الحجم الطبيعي وبه انحناءة تجعله يستقر على إصبع آخر على أنه بمثابة وسام يزينه فيخبر زوجته بأن ذلك طرأ له إبان الحرب عندما كان يجاهد العدو أو أثناء ممارسته نشاطاً خيرياً، خلافاً للفتاة التي تصر على إخبار أهله بحالتها هذه قبل الزواج وقد تتحدث عنها في غاية التأثر والدموع تنهمر من عينيها وتقضي عمرها آسفة لتورطها بهذه المشكلة وتود في ليلة زفافها أن تختلي بوالدتها لتسألها عما تفعل بحال إصبعها هذا وتنتظر زفافها بمنتهى القلق وكذلك يكون حال الأم.

ولكن نعود إلى العريس لنتمعن في سلوكه إزاء عيب زوجته. تسعى العروس في البداية لإخفاء إصبعها عن نظره، وما أن تشعر بانتباه الزوج إليها حتى تتطلع إليه متوسلة خاشعة. وهنا يفترض على العريس ان يتبنى سلوكاً يتجنب به قمع الإنشداد الجنسي بينهما وليعلم أن أدنى سهو منه في استفساره عن عيوبها الجسمية يؤدي بها للإصابة بحالات نفسية وروحية لاحقة، وبوسعه التغاضي عن ذكر هذه الأمور في سبيل الله وبغية

استحصال حياة أفضل تتأتى من شعورها الدائمي بالامتنان له لما بذله من لطف ومسامحة في تلك الأثناء.

والحدث الآخر نلفت إنتباه الزوجة إليه لما يكون لها من دور حتمي في حسمه وهو عجز الزوج عن غشيان زوجته والذي يكون سببه في كافة الحالات تقريباً نفسياً لا غير.

ويبتلى بمثل هذا العجز الفتيان ممن لم يسبق لهم ممارسة الجنس فيعتريهم الأذى والانزعاج الشديد لعدة أيام جراء ذلك ولكن سرعان ما تعود المياه لمجاريها. ويتطبع سلوكهم بالفظاظة بشكل متتالي بين فينة وأخرى إثر الصدمة النفسية التي ألمّت بهم ليلة زفافهم.

وقد يصاب الفتى بمثل هذا العجز لطول انتظاره في فترة الخطوبة حتى نيل موافقة الفتاة وأهلها بينما يكون قد فقد الأمل في موافقتهم على اقترانه بابنتهم، وتكون عنته عندئذ آنية يتم معالجتها كما سيأتي ذكره في بحث العنة الجنسية في المجلد القادم.

وربما يعود السبب في بروز هذه الحالة إلى الفارق الطبقي أو تباعد القرابة أو التباين الشاسع بين الزوجين من حيث الشأن الاجتماعي أو المؤهل العلمي.

معلومات أخرى

يتوجب على الرجل أن يعلم أن المراحل الفسيولوجية للجماع تنقسم إلى: التعرّي، المداعبة والملاطفة، الإيلاج، الإشباع الشهوي،

التنوع،والإنعاظ. وسأتطرق لكل من هذه المراحل باختصار:

تتابع المرأة السلوكيات في مرحلة الإشباع بمشاعر مرهفة لتتعرف على ما يرغب فيه الزوج، وفي المرحلة الأولى (مرحلة التعرّي) تتفهم الزوجة تدريجياً نوع الملابس التي يحب الزوج أن ترتديها. فالزوج الذي سبق له ممارسة الجنسية المثلية يرغب أن ترتدي زوجته ثياب الذكور كالسروال مثلاً، ويود سواهم أن يرى عليها ملابس داخلية نسائية وثياباً تقليدية.

أما عن خلع الملابس فإن الشباب يرغبون أن تسمح لهم زوجاتهم بخلع ثيابهن ولكن يأبون أن تبادر النساء لخلع ثيابهم وبذلك يتعهدون بخلع ثيابهم بأنفسهم. وتفطن الزوجة تدريجياً لما يلذ للزوج وتتصرف كما تملي عليها رغباته القلبية، حتى اللواتي يهيمن على الرجال ومقدراتهم، يعرن هذه المسألة اهتمامهن.

يستحصل الرجال الإشباع الشهوي التام بعد الإنعاظ والقذف مباشرة خلافاً للنساء إذ لاتستحصل الكثير منهن هذا الإشباع رغم إنعاظهن، وقد يكون الوضع على العكس من هذا أي ان يستحصلن الإشباع التام دون الإنعاظ، ولكن ما يمكن الجزم به هو أن المرأة تستشعر الرضا عندما ترى زوجها يلتذ من مضاجعتها.

المرحلة الثانية: هي مرحلة المداعبة وإعداد الزوجة، الأمر الذي شدد الإسلام في التأكيد عليه. وبما أن المرأة لاتستثار بالاستدعاءات النفسية بدرجة الرجل وقلما تخبر الإنعاظ لولا الاستدعاءات الفسيولوجية الحسية، لذا ينبغي على الرجل مداعبتها بإحدى يديه وإثارة النواحي

الشهوية الحساسة في جسمها باليد الأخرى كما سيأتي شرحه.

أما المرأة فعليها أن تضع إحدى يديها على الأعضاء التناسلية لزوجها وأن تمسح بيديها الأخرى على وسط ظهره على امتداد العمود الفقري حتى أسفل الظهر. ويشرع الزوج بمواقعة زوجته بتقبيلها ثم يواصل نشاطه بمداعبتها وإثارة مناطقها الشهوية الحساسة والتحدث بعبارات غرامية ودية، وعندما يبادر الزوج لتهييج زوجته بقضيبه المنتصب ينتهي الأمر بإحدى الحالات الثلاث التالية:

- يواصل الرجل إثارة زوجته حسياً حتى تبلغ الإنعاظ وتقترب من القذف وهكذا هو حال الزوج أيضاً فيتم الإيلاج ضمن أنسب الأوضاع التي يمكن توفرها في الجماع.

- تنعظ الزوجة والزوج بعيد عن الإنعاظ وفيها حالتان، الأولى أن الزوج لم يبلغ النعوظ بعد وتتمكن الزوجة في هذه الحالة من إثارته وتفعيل نشاطه الجنسي لتعجل إنعاظه فيتزامن إشباعهما وقذفهما. والثانية أن يكون الزوج أتم إنعاظه دون استحصاله الإشباع التام.

- ينعظ الزوج دون الزوجة وهو أسوأ أنواع المضاجعات لأنه يشعر الزوجة بخيبة الأمل والفشل وتستبدل المتاعب النفسية بالثورة العصبية وتصاب بأوجاع الظهر إثر الاحتقان المحتبس في الجهاز التناسلي.

يجدر الذكر هنا أن بعض الرجال أو النساء قد ينعظ عدة مرات خلال العملية الجنسية الواحدة.

زمان الجماع

ونحن على أعتاب التطرق لنوع العلاقة والارتباط الملحوظ بين زمان ومكان وأوضاع وأحوال الزوجين أثناء الجماع نعود للتنويه إلى ما يذهب إليه علم الأحياء الزمني (Crono_Bilogy) الذي أشرت إلى بعض أبحاثه في المجلد (١٩) حول ارتباط مدى تجاوب الجسم مع ما يتناوله من أغذية وأدوية بوقت أو مكان تناوله لها. ويسر الغربيين ما توصل العلم إليه حديثاً غافلين عن أن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام قد وضح ارتباط علم التغذية بموسم البرد أو الحر وبمقدار الضوء و... قبل قرون مضت، ونحن على يقين أن ما سأشرحه من الصلة الوثيقة التي يأخذها الإسلام بنظر الاعتبار بين الجماع والظروف الزمنية أو المكانية التي يمارس فيها النكاح، سيتم التوصل لإثباته علمياً في المستقبل القريب مما يثير دهشة عظيمة لدى أرباب العلم.

الجدير بالذكر أنه يمكن بالاستناد إلى معطيات هذا العلم الجديد وأصل تأثر كل شيء بجميع الأشياء المحيطة به، أن نستنتج ان انعقاد النطفة يتم في محل تقاطع خطوط لا متناهية. خطوط يعبر كل منها عن

تأثير شيء ما على هذا الموضوع كخطوط جاذبية الشمس، القمر، الأرض و.... خط الحرارة، خط البرودة، خط النور، خط الظلام، الصوت والصمت، الحركة و... وبناء على هذا يستحيل تماثل كائنين تماثلاً تاماً من حيث مدى الخصائص التي يتمتعان بها ونمطها (الكمية والنوعية) ولهذا تتباين أخلاق من عقدت نطفته صباح اليوم الفلاني عمن عقدت نطفته في عصر ذات اليوم لأن كل نقطة لاتظهر إلى الوجود أكثر من مرة واحدة أبداً.

الجدير بالذكر أن هذه الخطوط ليست خطوطاً أساسية بل تتسم إما بالضعف أو القوة. وإليكم بعض التعاليم الإسلامية في هذا المجال:

إن المرأة التي تؤمن بمبادئ الحياء والخجل وتتمسك بنبذ النواهي أكثر من الرجل تفضل الجماع في الظلام وتجنح إلى التبجح بحجج واهية مختلفة لممارسة الجماع ليلاً، من قبيل: لا يلتفت أحد إلينا في الليل، الأطفال نيام، النهار أوان العمل، الخياطة، الطهي، غسل الملابس، غسل الأواني، تنظيف الدار و.... الجماع في النهار يهدل شعري، في الليل تتوفر الفرصة الكافية للاستحمام والغسل، في سكون الليل يعمّ الهدوء وتُستحصل اللذة أكثر من أي وقت آخر، وغيرها من الدواعي التي تدفعها لتحبذ المضاجعات الليلية، لكن الرجل لا يأبه لهذه الحجج ويغشى زوجته متى ما شاء لأنه يعتبر الوقت المناسب هو الوقت الذي تتهيج فيه شهوته لاسيما وأنه يحب النظر إلى جسم زوجته برمته والذي يعتبره الإسلام من أعلى الرأس وحتى أخمص القدمين عورة ومحل الإشباع أو التلذذ الجنسي (المرأة عورة).

وهناك من الرجال من اعتاد الإستمناء أو يرغب في الإتيان بما يحبذ عدم انتباه الزوجة إليه ولهذا يفضلون الرفث الليلي. وأما عن الحكم الإسلامي الطبي فإنه ينص على أن الجسم أكثر استعداداً للإنعاظ بعد غفوة بداية الليل خاصة لأنها توفر الفرصة أيضاً للركون إلى النوم وأخذ قسط من الراحة بعد المجامعة التي تؤدي إلى إنهاك قوى الإنسان. وهنالك من يفضل الجماع الصباحي وينظم برنامج جماعه ليمارسه صباحاً.

لاريب ان ظلام الليل يوفر مستلزمات الراحة واستعادة القوى الجسمانية والروحانية المنهكة خلال النهار كما يلعب دوراً في كبح جماح الهيمنة الدماغية على فاعلية الغرائز البشرية من ناحية، وفي التحرر من القيود الاجتماعية من ناحية أخرى. وتشير الأبحاث والتحقيقات إلى استغلال بعض أصحاب الوجاهة الاجتماعية لظلام الليل بغية الإتيان بأعمال لا يمكن تصور مبادرة أمثالهم إليها.

أمعنوا التفكير في براعة التعاليم الإسلامية التي اخترقت جميع جوانب الحياة وأشبعتها بما يضفي عليها النظام ولم تترك منها حتى شؤون النوم، بينما يجهد أعداؤه لاثبات شبهة إنعزاله عن السياسة عليه، وقد يكون الإسلام بعيداً عن السياسة ولا ينفع أو يهتم إلا في شؤون الحيض والنفاس ولكن ليس من منظار العقل والحقيقة بل في نواظرهم التي عميت عن رؤية كل هذه الثوابت والمدلولات.

إن الإسلام يولي الدرجة الأولى من الأهمية لشهوة الرجل من جهة

ويلعن الزوجة التي تأبى التجاوب مع ميوله الجنسية ويأمر الرجل بالقول ﴿فاهجروهن في المضاجع﴾ أي استدبروهن أثناء النوم وأنتم في فراشكم في ظروف معينة بينما لم يأمر المرأة بمثل هذا السلوك أبداً. ولكنه من جهة أخرى يعتبر امتناع الزوج عن مضاجعة زوجته وهي في فراشه أو تركه فراشها بشكل عام تعسفاً لها لأنه عندما يجاورها في الفراش يتجاوب لامحالة مع عواطفها النسائية. وقد أثبتت الأبحاث الاجتماعية أن الظروف النفسية التي تعاني منها الزوجة ذات العلاقات الطيبة مع زوجها وهو يهجر فراشها أسوأ بكثير من تلك التي تعتزل زوجها ولكن تنام في فراشه.

ويمنع الإسلام الجماع بمعدة ممتلئة بالطعام او بمعدة خاوية تماماً، وكذلك أينما يصل صوت الزوجين إلى مسامع طفل ما. ويكره الجماع في المحل الذي ينام فيه الطفل وإن كان قد خلد إلى النوم، وذكرت في المجلد (٣٣) أن من يقود الزوج بسبب ايجاد صوت فجائي لإخراج قضيبه من مهبل زوجته مما يؤدي إلى إهدار سائله المنوي (أي ان يكون عاملاً لعزل الزوج) يتوجب معاقبة ويفرض على ذمته دفع الدية للزوج للسبب الذي ذكرته في حينه.

إن الرجل وبسبب تثاقل جسمه والضغط الناجم عن ذلك على الشعيرات الدموية والاعصاب المتشعبة من أطراف العمود الفقري يزداد إستعداده لممارسة العملية الجنسية بعد خلوده إلى النوم بفترة عدة ساعات نظراً لانخفاض استهلاك غاز ثاني أوكسيد الكربون مما يعمل على إثارة مركز الإنعاظ. ولو نمعن التفكير في هذا الموضوع نجد أن

الإسلام وبعد أن يستثني أياماً وليالي خاصة من الشهر وساعات معينة وأوضاعاً تطرقنا إليها كالمعدة الممتلئة و... يرى أن زمان الجماع منوط بالدرجة الأولى برغبات وميول الزوجين وتحبذ ممارسته بالدرجة التالية بعد منتصف الليل لمن يتوخى إتباع التعاليم الإسلامية في هذا المجال من مجالات الحياة أيضاً.

إن الإسلام يطالب كذلك بأداء الكثير من العبادات والمستحبات في منتصف الليل أو بعده وبهذا النحو نستدل على أن الإسلام يؤيد تأثير ساعات الليل أو النهار فيما يستحصل من الجماع ويأخذ مبادئ علم كرونولوجي (علم الأحياء الزمني) بالحسبان أثناء تحديد العبادات وما يطيب للمسلم من حلال ما يأتي به أثناء الجماع المسموح به.

وأشرت آنئذ إلى التجارب التي أثبتت تباين أثر حقن مريضين متشابهي الحالة بنوع مماثل من العقاقير فيما لو تمت هذه العملية عند انتشار الضياء صباحاً أو عصراً أو بعد حلول ظلام الليل أو تمت والمريض منزعج من شده الضوضاء أو متنعم بالهدوء والسكينة. وهنا أنوه إلى ما من شأنه اضفاء القناعة عليكم فيما يخص أثر الساعات، الأيام، الأشهر، السنين، القرون، ومواضع الشمس والقمر والأرض والنجوم على عملية الممارسة الجنسية وثمرتها (النسل)، الأمر الذي وضحه الإسلام لأتباعه قبل خمسة عشر قرناً بينما العلم ما زال يبحث في المراحل الأولية من هذا العلم. لقد تطرقت في المجلد الثاني، الحادي عشر والمجلد السابق إلى الكثير من هذه التأثيرات والفاعليات وأعيد الكرة هنا لأذكر لكم بعض هذه الحالات:

ـ أثبتت الأبحاث تباين نتائج التحاليل الطبية والتجارب الكيميائية والبايولوجية إذا أجريت عندما يكون القمر هلالاً، بدراً أو في المحاق أو..

ـ يتغير الوضع الجسماني للإنسان في الظلام عنه في الضياء، وقد أشرت في المجلد (١٧) إلى تغير الوضع الأيضي للدم في الليل عما يكون عليه في النهار.

ـ إن تأثر وضع البحيرات بما يجري من مد وجزر في البحار واضح للعيان ويمكن قياسه بوسائل دقيقة في المسابح الكبرى. ويمكن أن نستشعر هذا الأثر في الأحواض أيضاً ولا يستثنى من ذلك حتى الماء في كأس ما أو الماء الموجود في أبداننا إذ تتأثر بحالات المد والجزر في أقرب بحر إلى ذلك المكان.

إن العلم قد توصل إلى إثبات وجود ميدانين مغناطيسيين، أحدهما يتكون من دوائر تجتمع مراكزها في مدينة مكة المكرمة ولهذا نجد أن الإسلام أكد على مراعاة هذه القضية عند الجلوس والنوم (مثل استقرار الموتى بشكل عمودي على اتجاه القبلة،استحباب استقبال القبلة عند تناول الطعام أو عند الجلوس و...).

أذكر هنا حالة خاصة قد تكون خارجة عن نطاق هذا البحث وهي أن نوم واستلقاء الإنسان في الفترة التي تسبق ثبوت طوله (قبل سن ٢١ أو ٢٤ من العمر) بشكل عمودي على اتجاه القبلة يؤدي إلى بقائه على قصر القامة. كما أن موازاة الخطوط المغناطيسية في هذا الميدان المغناطيسي المتمركز في مكة المكرمة عند الإستلقاء تعمل على توازن تقسيم

الآيونات الحديدية الضرورية لصنع الهموكلوبين في الدم وبشكل متساوي في كافة أنحاء الجسم. وقد ثبت أنه إثر دفن مغناطيس قوي تحت الأتربة نشاهد تغيراً في الحركات التي تؤديها الحيوانات تأثراً بالخطوط المغناطيسية المتجهة من الشمال نحو الجنوب.

ويستدل من مقارنة بعض الإحصائيات على أن معدل الطلاق أو حوادث السيارات أو ... في بعض الأشهر يزداد عن الأشهر الأخرى، كما أثبت فرويد أن نكوص الأهواء يختلف في الليل عن النهار إذ يكون النكوص الليلي أفضل من النهاري ولكنه لم يذهب إلى أكثر مما جاء في دعاء الصباح المروي عن الإمام علي عليه السلام منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً: «**واجعل مسائي جُنة من كيد العدى ووقاية من مرديات الهوى**». أي أن تأثير الزمان على زيادة هم أو حقد الأعداء يزداد عند المساء، وسننقل في الصفحات التالية رواية عن الإمام الباقر عليه السلام يوصي فيها بضرورة إقامة مراسيم العرس والزفاف ليلاً.

وتأكيد الإسلام على ضرورة الإسراع إلى تلبية حاجة صديق أو مستعطٍ يدق الباب ليلاً إنما يقوم على أساس الاهتمام بنكوص الأهواء في الليل.

والقضية الأخرى هي الدورة الزمنية التي تتضمن (٢٨) يوماً. إن هذه الدورة لاتختص بالدورة الشهرية لدى النساء بل هنالك أمور أخرى يدور رحاها على دورات ذات (٢٨) يوماً أيضاً[١].

---

١ ـ يشير كتاب الصحة في الزواج للدكتور صفدر صانعي إلى الكثير من هذه الأمور.

وهنالك حالات أخرى تدل على أثر الزمان في أوضاعها من قبيل:

ـ نكوص حالة بعض المصابين بالصرع في أوقات معينة.

ـ إحساس البعض بزيادة قواهم في بعض الأيام أو الأشهر خلال السنة.

ـ إتخاذ النباتات حالات خاصة في أوقات معينة ومواساتها أصحابها عند نزول المصائب بهم ومشاركتها إياهم في أتراحهم وأفراحهم.

ـ اختلاف تركيب الحليب الذي يتم حلبه في الساعات المختلفة من اليوم.

ـ اكتساب التفاح اللون الأحمر عند بزوغ النجم الفلاني وتأثر لون الأزهار والورود بطلوع كل من الكواكب السماوية كما ذكرت في المجلد الخامس.

ـ زيادة الذرات السالبة في الجو. لقد سبق لي أن أثبت أن الجو مليء بالذرات الموجبة والسالبة ويؤدي ازدياد نسبة الذرات السالبة منها إلى إضفاء الصحة والحيوية على بني البشر خلافاً للحالة التي تزداد فيها نسبة آيونات الفلزات ولاسيما الفضة في الجو وتقل فيها الآيونات السالبة وبهذا يكون مدلول الآية ﴿... لبيوتهم سقفاً من فضة...﴾[1] أن الله سبحانه وتعالى شاء أن تكون الحياة الدنيوية للكفرة أيضاً جهنمية بعيدة عن الصحة والحيوية.

إن الأنسام الربيعية تعمل على زيادة الآيونات السالبة وبالتالي على

---

١ ـ سورة الزخرف، الآية ٣٣.

زيادة حيوية المرء وميوله الجنسية مثلما يكون لها دور فاعل في زيادة نمو النباتات. وبحلول فصل الخريف تذبل أوراق الأشجار إثر هبوب الرياح المميتة.

وتبلغ الفتيات في المناطق الشمالية الباردة من البلاد سن البلوغ متأخرات عن الفتيات اللواتي يقطنّ في مناطق حارة وهذا ما يثبت أثر دورة الكواكب على القضايا الجنسية وهي عديدة. لقد توصل العلم إلى صحة الرأي الذي يقضي بتأثير الزمن على كافة شؤون الحياة بما لايمكن تجاهله ولكنه ما زال يعجز عن تحديد الوقت المفضل لإنجاز الاعمال أو القيام بالنشاطات، والأوقات التي يجب الامتناع فيها عن مثل هذه المبادرات، وما زالت دفة الحكم في هذه الأمور بيد الإسلام.

أجل إننا لا نجافي الحق لو قلنا أن العلم ما زال يخطو خطواته الأولى في هذا المجال وأنه ما زال في طور تعلم وتوضيح مبادئه وأن هذه الليلة تختلف في خصائصها التأثيرية عن تلك الأخرى إلا أنه لم يتقدم بعد إلى الحد الذي يضطلع فيه بمسؤولية تحديد ضرورة الامتناع عن القيام بأية أعمال في الليلة الفلانية أو أقدمية أداء أية نشاطات فيها. إلا أن الإسلام لم يترك أمراً ما مهما بلغ في بساطته أو تعقيده إلا وسبر أعماقه في أجواء بصيرة أتباعه، ونلاحظ أن العلم يكشف النقاب عن كنه هذه التعاليم أحدها تلو الآخر مما يدخل الغبطة إلى قلوب المسلمين.

أما عن مكان الجماع المفضل أو المكان الذي يحبذ عدم المجامعة فيه لإنجاب طفل سوي وسليم عضوياً ونفسياً فهذا ما سنشرحه فيما يلي:

نظراً لما نوهنا إليه من اهتمام الإسلام منذ خمسة عشر قرناً بتأثير الأشعة، الأوضاع العامة، الأحوال البيئية ووضعية النجوم، الشمس والقمر في السماء على الشؤون الحياتية في الأرض بينما العلم ما زال يراوح في مراحله البدائية في هذا السياق، وعندما يعلن العلم عن اكتشاف ضرورة ترك المجامعة والقمر في ذاك البرج أو هذا أو فيما لو كانت زاوية الشمس تبلغ هذه الدرجة أو تلك فإن الجميع سيصفقون بحرارة لهذا الاكتشاف العلمي الحديث ولن يتهمه أحد بالرجعية والتخلف كما واجهوا الإسلام وهو يحدد تعاليمه للمسلمين، تلك التعاليم الذي يجهد العلم حثيثاً في الوقت الحالي ليصل إلى مستواها العلمي الذي تتسم به منذ قرون خمسة عشر، فإننا نجد أنه من الضرورة رغم ما ذكرنا من تفاصيل حول الزمان المناسب لعقد الزواج أو الزفاف، أن نعود لنتطرق باختصار إلى تأثير الزمان في هذا الموضوع وهو حقيقة ناشئة عن وضع القمر، الشمس والنجوم في مداراتها:

إنكب أحد الخبراء البايولوجيين على حلق ذقنه يومياً ووزن الشعر المحلوق أي الشعر المتنامي خلال اليوم السابق لمدة من الزمن فخلص في نهاية المطاف إلى هذه النتيجة وهي أنه عندما يعقد العزم على ممارسة الجماع يزداد نمو شعر ذقنه وكذلك في حالة التحدث إلى النساء.

إن هذه النتيجة تلفت إنتباهنا إلى عدة قضايا إسلامية إحداها سلف ذكرها في مجلد الحجاب (المجلد ١٩) عند الإشارة إلى الحكمة القرآنية من منع تكلم النساء مع الرجال بميوعة:﴿فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي

في قلبه مرض...﴾[1] حيث تضاهي ميوعة النساء الجماع في تـأثيرها على الرجل ووضعه الفسيولوجي، وتـلاحظون أن الخـبير البـايولوجي المذكور قد أثبت علمياً وتجريبياً تأثر نمو الشعر بهذا العمل كـما يـتأثر بالجماع.

والموضوع الأكثر إثارة للدهشة هو نصيحة النبي الكريم ﷺ الشاب الذي سأله عن اسلوب مكافحة وسواس الإستمناء، بأن يلجأ إلى الصوم وترك الشعر المتنامي دون حلقه كعلاج لهذا الوسواس. أليس هذا مثالاً آخر على إبداع الإسلام الذي يعتبره الأعداء بمعزل عن السياسة؟ فكيف يكون هكذا وقد توغل في أعماق المسائل الدقيقة في حياة الإنســان؟ والمثال السابق خير دليل على ما نقول.

الأمر الذي يهمنا في بحثنا هذا هو أثر الزمان على النشاط الجنسي فالدورة الشهرية للنساء كما هو بيّن، قائمة على أساس النظام الشـهري وهو ما يعادل ٢٩،٥ يوماً بالضبط.

وقد لجأ اليابانيون إلى وضع أغشية أو نـظارات مـلونة عـلى أعـين الدواجن لتزداد قدرة إباضتها وسلطوا الأضواء عـلى البـيوض لتـفقس سريعاً وتفسح المجال أمام الفراخ للنمو كاسلوب مـن أسـاليب وطـرق زيادة إنتاج الدواجن.

ومن عجائب عالم الخلق تأثير نور القمر في إثارة المشاعر الجنسية لدى الإنسان حيث تستلم أعصاب العين الايعازات التي تصل فيما بـعد

---

١ ـ سورة الأحزاب، الآية ٣٢.

إلى الدماغ فيستجيب لها الدماغ بإرسال إيعازات أخرى إلى مركز ترشح الهرمونات الجنسية، وقد لوحظ أن تسليط ضوء الشمس بما يكافئ ضوء القمر على فتيات ولدن مكفوفات أدى إلى دنو سن بلوغهن والإسراع في رؤيتهن دم الحيض، وانحسرت الدورة الشهرية لدى فتيات أسهمن في إجراء تجارب علمية ببقائهن فترة عدة أشهر في غارات مظلمة عن ٢٩.٥ يوماً لتبلغ دون ذلك. وكانت نتيجة هذه التجارب وغيرها من التجارب والتحاليل أن تم التوصل إلى أسلوب تسليط الأضواء الخافتة على الفتيان والفتيات بغية إثارة عواطفهم الشهوية ولهذا عمت الإستفادة من مصابيح النوم الخافتة.

الجدير بالذكر أن تأثير الضوء على الوضع الجنسي الإنساني لا يماثل تأثيره على بقية الحيوانات لأن بعضها قد آل أمره بعد الاحتفاظ به في أماكن مظلمة إلى صغر ومن ثم إلى انحلال الغدد الجنسية لديهم. وهنالك من يزعم وجود صلة بين ساعات الجماع وموعد ميلاد الطفل المولود إثر تلك المواقعة، فإن تم الوطء في بداية الليل مثلاً يولد الطفل في الفترة بين الظهيرة ومنتصف الليلِ، وإن رفث الزوج زوجته منذ منتصف الليل وحتى الصباح يولد المولود في النصف الأول من اليوم (١٢ ليلاً ـ ١٢ ظهراً).

وألفت انتباه القراء الأعزاء ثانية إلى موضوعين مهمين:

الأول: أن الأحاديث الإسلامية الشريفة تذكر حسن المجامعة في أوقات ما وضرورة تركها في أحيان أخرى فهي تتعهد بمهام تحديد الحسن والسيئ منها أما بقية الأوقات فإن الجماع فيها مسموح به ومنوط

برغبة الإنسان. ولمراعاة الساعات المحددة قيمة كبيرة. ونرى أن العلم حتى لو خالف الإسلام في أحد تعاليمه فإنه سرعان ما يعود لنسخ ما أثبته وتأييد ما يذهب إليه الإسلام في ذلك المضمار. ونحن إذ ننطق بمثل هذه العبارة لاننسى أن نشير إلى أن مثل هذه المواقف المضادة بين العلم والإسلام نادرة جداً تنتهي باستسلام العلم إزاء ديننا الإسلامي العظيم.

والثاني: هو دقة الإسلام في تنظيم كافة شؤون الحياة من أكثرها تعقيداً إلى أبسطها مثل الساعات والأيام المناسبة للقيام بالنشاطات الجنسية. فكيف يهنأ أعداؤه بتوجيه شبهة اعتزال السياسة إليه وهم يدركون حقيقته وكنه تعاليمه جيداً؟!

إن بعض النشاطات الحيوية في الجسم كأعمال الكليتين والجهاز الهضمي تصل إلى حدها الأدنى في الليل بغية التقليل من الحاجة إلى التبرز أو التبول، أما عن وضع الإنعاظ الليلي فقد سبقت الإشارة اليه في هذا المجلد. والعمليات الأيضية كذلك تتفاوت في النهار عنها في الليل وأشرت في مجلد النوم إلى أن النوم بمقدار ثلاث ساعات أكثر مما اعتاد عليه الجسم يسبب بروز مضايقات للإنسان ويخل في توازن العناصر والإفرازات الغددية ومنها الهرمونات الرجالية التي يصل إفرازها حده الأقصى في الساعة الثامنة أو التاسعة صباحاً ثم يبدأ بالانخفاض حتى الساعة الثانية عشر ظهراً. ولهذا يوصي الأطباء بتناول بعض الأقراص الهرمونية في الساعة الثامنة من صباح كل يوم.

وللسبب نفسه تعود زيادة نوبات الربو وما يشابهه أثناء الليل لاسيما

خلال ثلثه الأول أي بسبب انـخفاض النسب والكـميات. ولهـذا يـؤكد الإسلام على قراءة القرآن وأداء النوافل في الليل بغية تحسين المستوى النوعي إبان هبوط المستوى الكمي. إن هذا الموضوع هو ما يخطأ فـي فهمه الزهاد ممن يمارسون الرياضة الروحـية إذ يـتصورون إن إعـلال الجسم وتضعيف قواه يؤدي إلى تسامي الروح وهذا ما يحرمه الإسـلام ولا يجيز لأي كان أن يعمد إلى تغيير وضعه التكويني كأن يكبح جماح قواه الروحية والنفسية بغاية دعم القوى الجسمانية أو أن يحط من قابلياته الجسمية بهدف تسامي روحه،بل يرى الإسلام ضرورة دعـم الجـوانب الروحية في تكوين الإنسان متى ما أصاب جوانبه الجسـمية ضـعف أو وهن.

وهنا أدعو القراء لعدم تناسي ما ذكرته في بـحث (أثـر الألوان فـي النشاطات الجنسية) الذي جاء في المجلد الخامس حيث نوهت إلى أثر اللون الأصفر الفاقع في إثارة الشعور بالسرور كما توحي الآية الشريفة:

﴿صفراء فاقع لونها تسر الناظرين﴾[1].

إن هذا اللون يثير المشاعر الجنسية خلافاً للون الأخضر الذي يوحي بالشعور بالارتياح والهدوء ويضفي على الإنسان إحسـاساً يـماثل مـا يستشعره بعد التفرغ من ممارسة الجنس، وينبغي للنساء الالتـفات إلى هذا الموضوع ليكون بإمكانهن إنتقاء اللون المناسب لإثـارة أزواجـهن واستقطابهم.

---

١ ـ سورة البقرة، الآية ٦٩.

ما ينبغي تعلمه

ينقسم المقبلون على مطالعة الكتب الإسلامية إلى عدة فئات، هي:

ـ المؤمنون الذين يبتغون زيادة إيمانهم لأنهم أدركوا جيداً أن الإسلام يوجه مصباح هدايته نحو شتى نواحي الحياة ويهيئ للإنسان كل ما من شأنه المحافظة على صحته وسلامته ليتم حجته على بني البشر من كافة الجوانب.

ـ المرتابون في إيمانهم، الذين تعمل المطالعة على زيادة مستواهم الإيماني.

ـ أهل الكتاب ممن يرغبون في التيقن من صحة وعود كتبهم السماوية فيما يخص الإسلام.

ـ الذين في قلوبهم مرض، كلما اطلعوا على أمر إسلامي يوحي بجدارة هذا الدين القيم قالوا: ماذا أريد بهذا الشيء وما المقصود منه؟

وما أتى البحث عليه إما يكون قد زاد المؤمنين إيماناً أو أوثق إيمان مرتاب أو أثبت حقيقة علمية لفئة قد تتصورها بعيدة عن الإسلام أو أنه وضح على أقل تقدير الجانب الحيواني في قضية الجماع والأسلوب

الأفضل لممارسته.

ولكنني في هذا الفصل الذي اخترت له هذا العنوان متعمداً بعد تعرف القارئ على الكثير من جوانب الممارسة الجنسية، سأشير إلى غيض من فيض الآيات القرآنية والروايات والأحاديث التي تتطرق إلى موضوعنا الذي نبحث فيه، بذكر عدة روايات منقولة عن نبينا الكريم صلى الله عليه وآله والأئمة الأطهار عليهم السلام.

كما سأذكر في هذا الجانب من البحث قضايا مدهشة جداً يتصورها البعض بعيدة كل البعد عن المنطق العلمي مثل عدم جواز المجامعة قياماً لأنها تؤدي إلى إصابة الطفل المولود إثر انعقاد نطفة جراء ذلك بالتبول الليلي و.... .

وينبغي الالتفات إلى حالات ذكر البعض منها في المجلد السابق وكذلك في هذا المجلد، كانت محط سخرية واستهزاء الآخرين حتى عقود خلت بينما نجدهم يخرون لعظمتها سجداً بعد إثبات صحتها علمياً وسيكون هذا المصير الحتمي لكل ما جاء في الروايات التي تم التوثق من صحة روايتها عن النبي أو الأئمة المعصومين عليهم السلام.

لاتغفلوا قط عن شعارنا الأساسي وهو أن العلم ينطق دوماً بأحاديث الأنبياء على لسان الناس، وقد توصل العلم كما قلت مسبقاً إلى صحة معطيات الكثير من الروايات التي ذكرت وسأذكر عدداً منها. ونحن باعتبارنا مسلمين نؤمن بالعلم الذي تؤيده تعاليم الأنبياء ولايقتصر إيماننا بالأحاديث النبوية التي يثبت العلم صحتها لأننا على يقين إن هذه

الأحاديث جميعاً إنما تنطق بلسان الوحي وتدل على الحقيقة والواقع وتتطابق مع متطلبات الفطرة.

وأود أن ألفت انتباهكم قبل ذكر الأحاديث والروايات الخاصة بهذا البحث، إلى القضايا التالية:

ـ استحباب الولائم في يوم الزفاف، والزفاف ليلاً لما يوحي به الليل من السكينة والهدوء إلى المرأة.

ـ كراهية إحياء الليل إلا في حالات ثلاث هي الزفاف وقراءة القرآن وتحصيل العلوم.

ـ كراهية الرقاد كالموتى بشكل عمودي على اتجاه القبلة أثناء المجامعة لأن خطوط الميدان المغناطيسي الذي يقع مركزه في مدينة مكة المكرمة تمنع تبادل الايعازات بين نصفي كرتي الدماغ في الحالات العادية وتعرقل مثل هذا التبادل بين أدمغة الزوجين أثناء الجماع أيضاً.

ـ كراهية الجماع عندما يكون القمر هلالاً، بدراً أو في المحاق، وقد بين الإسلام فلسفة هذه الكراهية بينما التزم العلم الصمت بشأنها واكتفى بالتنويه إلى تأثير انعقاد النطفة في مثل هذه الأزمنة على الوضع العصبي للجيل الناشئ عن مثل هذه المواقعات.

ـ كراهية الجماع تحت أشعة الشمس نظراً لتأثير هذه الأشعة على بعض مكونات الجلد كما لا يمكن الإغفال عن تأثر الأبناء بأشعة الشمس.

ـ كراهية التعري أثناء المجامعة وكذلك الجماع قياماً.

وإليكم بعض الروايات التي تخص موضوعنا الحالي:

ـ سأل أحدهم ابا عبد الله الصادق عليه السلام: أأجامع وأنا عريان؟ فقال عليه السلام: «لا ولا مستقبل القبلة ولا مستدبرها».

ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله[1]: يا علي، لا تجامع إمرأتك في أول الشهر ووسطه وآخره فإن الجنون والجذام والخَبَل يسرع إليها وإلى ولدها.

ـ يا علي: لا تجامع إمرأتك بشهوة إمرأة غيرك فإني أخشى إن قضى بينكما ولد أن يكون مخنثاً، مؤنثاً، مخبلاً.

ـ يا علي: لا تجامع إمرأتك بعد الظهر فإنه إن قضى بينكما ولد في ذلك الوقت يكون أحول والشيطان يفرح بالحَوَل في الإنسان.

ـ يا علي: لا تتكلم عند الجماع فإنه إن قضى بينكما ولد لايؤمن أن يكون أخرس، ولاينظرن أحد في فرج إمرأته وليغض بصره عند الجماع، فإن النظر إلى الفرج يورث العمى (يعني في الولد).

ـ يا علي: من كان جنباً في الفراش مع إمراته فلا يقرأ القرآن فإني أخشى عليهما أن تنزل نار من السماء فتحرقهما.

ـ يا علي:لا تجامع إمرأتك إلا ومعك خرقة ومع أهلك خرقة ولاتمسحا بخرقة واحدة فتقع الشهوة على الشهوة فإن ذلك يعقب العداوة بينكما ثم يؤديكما إلى الفرقة والطلاق.

يا علي: لاتجامع إمرأتك من قيام فإن ذلك من فعل الحمير وإن قضى بينكما ولد كان بوالاً في الفراش كالحمير تبول في كل مكان.

---

١ ـ مكارم الأخلاق، ص ٢٠٩-٢١١.

ـ يا علي: لا تجامع في ليلة الفطر فإنه إن قضى بينكما ولد لم يكن ذلك الولد إلّا كثير الشر.

ـ يا علي: لا تجامع إمرأتك في ليلة الأضحى فإنه إن قضى بينكما ولد، يكون ذا ستة أصابع أو أربعة.

ـ يا علي: لا تجامع إمرأتك تحت شجرة مثمرة فإنه إن قضى بينكما ولد يكون جلاداً أو قتالاً أو عرّيفاً...

ـ يا علي: لا تجامع إمرأتك في وجه الشمس وشعاعها إلا إن يرخى سترٌ فيستركما فإنه إن قضى بينكما ولد لايزال في بؤس وفقر حتى يموت.

ـ يا علي: لا تجامع إمرأتك بين الأذان والإقامة فإنه إن قضى بينكما ولد يكون حريصاً على إهراق الدماء.

ـ يا علي: إذا حملت إمرأتك فلا تجامعها إلا وأنت على وضوء فإنه إن قضى بينكما ولد يكون أعمى القلب، بخيل اليد.

ـ يا علي: لا تجامع أهلك في ليلة النصف من شعبان فإنه إن قضى بينكما ولد يكون مشوهاً ذا شامة في شعره ووجهه...

ـ يا علي: لا تجامع أهلك في آخر الشهر إذا بقي منه يومان فإنه إن قضى بينكما ولد يكون عشّاراً أو عوناً للظالم ويكون هلاك فئام[1] من الناس على يديه.

ـ يا علي: لا تجامع أهلك على سقوف البنيان فإنه إن قضى بينكما ولد

---

١ ـ الفئام: جماعة من الناس.

يكون منافقاً، مرائياً، مبتدعاً.

ـ يا علي: إذا خرجت في سفر فلا تجامع أهلك تلك الليلة فإنه إن قضى بينكما ولد ينفق ماله في غير حق، وقرأ رسول الله ﷺ: ﴿إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين﴾[1].

ـ يا علي: لا تجامع إمرأتك إذا خرجت إلى سفر مسيره ثلاثة أيام ولياليهن، فإنه إن قضى بينكما ولد يكون عوناً لكل ظالم.

ـ يا علي: وعليك بالجماع ليلة الإثنين، فإنه إن قضى بينكما ولد يكون حافظاً لكتاب الله، راضياً بما قسّم الله عز وجل له.

ـ يا علي: إن جامعت أهلك في ليلة الثلاثاء فقضى بينكما ولد فإنه يرزق الشهادة بعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ولا يعذبه الله مع المشركين ويكون طيب النكهة من الفم، رحيم القلب، سخي اليد، طاهر اللسان من الغيبة والكذب والبهتان.

ـ يا علي: وإن جامعت أهلك ليلة الخميس فقضي بينكما ولد يكون حاكماً من الحكام أو عالماً من العلماء.

ـ يا علي: وإن جامعتها يوم الخميس عند زوال الشمس عن كبد السماء فقضى بينكما ولد فإن الشيطان لا يقربه حتى يشيب ويكون فهماً ويرزقه الله عز وجل السلامة في الدين والدنيا.

ـ يا علي: وإن جامعتها ليلة الجمعة وكان بينكما ولد فإنه يكون خطيباً (قوالاً) مفوهاً. وإن جامعتها يوم الجمعة بعد العصر فقضي بينكما ولد فإنه

---

١ ـ سورة الإسراء، الآية ٢٧.

يكون معروفاً مشهوراً عالماً، وإن جامعتها في ليلة الجمعة بعد العشاء الآخرة فإنه يرتجى أن يكون لك ولد من الأبدال[1] إن شاء الله تعالى.

ـ يا علي: لا تجامع أهلك في أول ساعة من الليل فإنه إن قضى بينكما ولد لا يؤمن أن يكون ساحراً مؤثراً للدنيا على الآخرة.

ـ عن الصادق عليه السلام أنه قال: «لا تجامع في أول الشهر ولا في وسطه ولا في آخره فإنه من فعل ذلك فليستعد لسقط الولد إن تم، أوشك أن يكون مجنوناً، ألا ترى أن المجنون أكثر ما يصرع في أول الشهر ووسطه وآخره».

ـ وعنه عليه السلام، قال: «تكره الجنابة حين تصفر الشمس وحين تطلع وهي صفراء».

ـ وعنه عليه السلام: «لا تجامع في السفينة، لا مستقبل القبلة ولا مستدبرها».

ـ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يكره أن يغشى الرجل المرأة وقد احتلم حتى يغتسل من احتلامه الذي رأى، فإن فعل ذلك فخرج الولد مجنوناً فلا يلومن إلا نفسه».

ـ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من جامع إمرأته وهي حائض فخرج الولد مجذوماً أو أبرص فلا يلومن إلا نفسه».

ـ من كتاب طب الأئمة: قال رجل لأبي جعفر عليه السلام: أيكره الجماع في

---

١ ـ البدل (كما جاء في قاموس لاروس): الكريم الشريف، ج: أبدال أي الأولياء سموا بذلك لأنهم كلما مات منهم واحد أبدل به آخر لكي لاتخلو منهم الأرض، وقد يكون المقصود بهم هنا الأئمة الأطهار(ع).

الوقت من الأوقات وإن كان حلالاً؟ قال: نعم، من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ومن مغيب الشمس إلى مغيب الشفق، وفي اليوم الذي تنكسف فيه الشمس، وفي الليلة التي ينخسف فيها القمر، وفي اليوم والليلة التي تكون فيها الريح السوداء أو الريح الحمراء، واليوم والليلة التي تكون فيها الزلزلة، وقد بات رسول الله ﷺ ليلة الخسف عند بعض نسائه فلم يكن منه فيها ما كان منه في غيرها فقالت له حين أصبح: يا رسول الله، أبغض كان منك في هذه الليلة؟ قال: لا،ولكن هذه الآية ظهرت في هذه الليلة فكرهت أن أتلذذ بالهوى فيها وقد غيّر الله تعالى أقواماً بما فعلوا في كتابه، فقال: ﴿وإن يروا كسفاً من السماء ساقطاً يقولوا سحاب مركوم فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون﴾[١].

ـ وقال ﷺ : «من أتى أهله في محاق الشهر فليسلم سقط الولد..»[٢]

ـ وقال ﷺ : «أكره لأمتي أن يغشى الرجل أهله في النصف من الشهر أو في غرة الشهر فإن مردة الجن والشياطين تغشى بني آدم فيجنون أو يخبلون ...»[٣].

ـ عن الإمام علي عليه السلام : «إذا أراد أحدكم أن يأتي أهله فليسق أول الأهلة وأنصاف الشهور، فإن الشيطان يطلب الولد في هذين الوقتين

---

١ ـ سورة الطور، الآيتان ٤٤ و ٤٥.

٢ ـ مكارم الأخلاق للشيخ الطبرسي باب ٦٣، باب مقدمات النكاح.

٣ ـ مكارم الأخلاق، باب ٦٤.

والشياطين يطلبون الشرك فيها..يجسون ويخبلون»[1].

ـ عن علي عليه السلام، قال: «يستحب للرجل أن يأتي أهله أول ليلة من شهر رمضان لقول الله عز وجل ﴿أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم...﴾[2].

ـ قال أبو عبد الله عليه السلام: «ليس لرجل أن يدخل بامرأة ليلة الأربعاء».

ـ عن أبي عبد الله عليه السلام: «من تزوج والقمر في العقرب لم ير الحسنى». وروي أنه يكره التزويج في محاق الشهر.

ـ عن أبي عبد الله عليه السلام: «لا تجامع المختضب».

ـ عن الصادق عليه السلام: «لا يجامع الرجل إمرأته ولاجاريته وفي البيت صبي فإن ذلك مما يورث الزنا».

ـ قال الصادق عليه السلام: «تعلموا من الغراب ثلاث خصال استتاره بالسفادة وبكوره في طلب الرزق وحذره».

وهنالك أحاديث أخرى تتناول هذا الموضوع ومستحباته ونواهيه يمكن الاطلاع على بعض منها بمراجعة كتابي وسائل الشيعة ومستدرك الأحكام. وتؤكد هذه الروايات كراهية مجامعة البدو وتفضيل الحضر وتشرح كذلك الكثير من قوانين التمدن وسننه دون التطرق إلى موضوع السكنى في الخيام رغم ما أثاره من جدل ومناقشات لا حصر لها في صدر الإسلام.

---

١ ـ مكارم الأخلاق للشيخ الطبرسي، باب ٦٤.

٢ ـ سورة البقرة، الآية ١٨٧.

أما عن الغذاء فإن الروايات أولته اهتماماً وحددت ما ينبغي تناوله منه وما يفترض الامتناع عن تناوله.

وكذلك الجماع اختصت به الكثير من الأحاديث والروايات التي استهدفت شرح ما يمنع ويكره فيه والزمان المناسب لممارسته و... فممارسة النكاح مع الزوج إلى جانب إشباعه غرائزهما الجنسية وإضفاء السكينة والهدوء النفسي عليهما فإنها في الوقت نفسه عمل يستحق الثواب كما نستلهمه في جواب النبي صلى الله عليه وآله على استفسار أبي ذر (ره) عندما سأله: أيلتذ يا رسول الله ويؤجر؟ قال: أرأيت لو وضعت في حرام، أكنت آثماً؟ قال: نعم. قال: فكذلك تؤجر في وضعك في الحلال.

وقد سبق لنا التنويه إلى رواية تروى عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام عندما استفسر منه عن حال رجل له زوجة شابة تركها منذ أمد بعيد لمصيبة ألمّت به، إذ أجاب: «إذا تركها أربعة أشهر كان آثماً بعد ذلك».

وعن الإمام الباقر عليه السلام: يا ميسر تزوج بالليل فإن الله جعله سكناً ولا تطلب حاجة بالليل فإن الليل مظلم. ثم قال: إن للطارق لحقاً عظيماً وإن للصاحب لحقاً عظيماً.

وقال الصادق عليه السلام: «زفوا عرائسكم ليلاً وأطعموا ضحى».

وقال الرضا عليه السلام: «من السنة التزويج بالليل لأن الله جعل الليل سكناً والنساء إنما هن سكن».

وقال النبي صلى الله عليه وآله: «لا سهر إلا في ثلاث متهجد بالقرآن وطالب العلم أو

عروس تهدى إلى زوجها».

وعن الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام: «إذا طلبتم الحوائج فاطلبوها بالنهار فإن الله جعل الحياء في العينين، وإذا تزوجتم فتزوجوا بالليل فإن الله جعل الليل سكناً».

وعن علي بن موسى الرضا عليه السلام: «إن الله جعل الليل سكناً وجعل النساء سكناً، ومن السنة التزويج بالليل وإطعام النهار».

وقال جابر بن عبد الله الأنصاري: لما كانت الليلة التي أهدى (رسول الله صلى الله عليه وآله فيها) فاطمة إلى علي عليه السلام دعا بعلي عليه السلام فأجلسه عن يمينه ودعا بها فأجلسها عن شماله ثم جمع رأسيهما ثم قام وقاما وهو بينهما يريد منزل علي عليه السلام فكبر جبرئيل في الملائكة، فسمع النبي صلى الله عليه وآله فكبر وكبر المسلمون وهو أول تكبير كان في زفاف فصارت سنة.

وعن النبي صلى الله عليه وآله، إنه أمر بنات عبد المطلب ونساء المهاجرين والأنصار أن يمضين في صحبة فاطمة عليها السلام وأن يفرحن ويرجزن ويكبرن ويحمدن ولايقولن ما لايرضي الله.

نستلهم مما سلف من أحاديث وروايات أن الإسلام يحبذ الزفاف ليلاً وإقامة الولائم بهذه المناسبة ضحى. وفلسفة ذلك تعود إلى أمرين: السكينة وحرمة الليل.

لقد أشارت الأحاديث المروية عن الأئمة عليهم السلام إلى تأثر مجريات الأحداث بأوضاع وأحوال البيئة عندما نوهوا إلى هدوء الليل واستحسان وقوع الزفاف فيه لما يضفيه من سكينة على القلوب. والأمر الآخر هو

حرمة الليل وملاءمة أجوائه لمجابهة الشعور بالخجل وإن كان باعث الخجل زفافاً لايتم فيه إلا ما أحل الله وأطاب لعباده. وقد استرعت هذه القضية انتباه جميع الأقوام والشرائح الاجتماعية القديمة والحديثة ومنها الأقوام البدائية الوحشية رغم بعدهم عن الدين، إذ اكتسبوا هذا الفهم خبرياً وبهذا توارثت الأجيال فكرة لذة الزفاف في الليل نظراً لعظمة اللذة المستحصلة من ممارسة النشاط الجنسي بعيداً عن الأصوات والأضواء الصارخة.

ومما يلفت الانتباه دعوة النبي العظيم صلى الله عليه وآله أقاربه وأصدقاءه جميعاً لحضور وليمة العرس ومرافقة العريسين بغية إبعاد الطابع الفردي عن هذه الوشيجة التي تنتمي إلى علاقات القربى ﴿...وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا...﴾[1]، فإن تم الزفاف خفية دون الإعلان عنه وثبت تاريخه في المكاتب الخاصة بهذا الأمر فسينتشر نبأه بين الأقارب والأصدقاء تدريجياً ويتصور كل منهم وقوعه في زمان اطلاعه عليه مما يثير سوء تفاهم قد تنجم عنه صعاب ومشاكل اجتماعية كثيرة. لقد وجه نبينا صلى الله عليه وآله الدعوة إلى الجميع لاكتساب قلوبهم وتطييب خواطرهم مما يدفعهم لطلب الخير والدعاء بالحسنى والمسرة والسعادة للزوجين، فإن دعاء الأقارب والأصدقاء من الضرورات وله أثر كبير في الحياة.

ها قد وطئت قدما العروس بيت الزوج وقد سن الإسلام قاعدة مبادرة الزوج للإعلان عن حبه ومودته للزوجة منذ باكورة الحياة الزوجية

---

١ ـ سورة الحجرات، الآية ١٣.

وحتى النهاية. كما أكد رسول الله صلى الله عليه وآله هذه الحقيقة بقوله:

«قول الرجل للمرأة إني أحبك لايذهب من قلبها».

والمدهش في الأمر أن الرجل مسموح له بالكذب في مواضع ثلاثة: بهدف إصلاح ذات البين، الخدعة في الحرب، والكذب في إخبار الزوجة بأنه يحبها. وإليكم التحليل النفسي الذي تم التوصل إليه أخيراً في حقل علم النفس حول هذا الموضوع:

لقد أثبتت التحقيقات أن اكتشاف الزوج حقيقة كذب الزوجة عليه في إخبارها إياه أنها تحبه يبعث على سوء الظن لديه مما يؤدي إلى تدهور حياتهما الزوجية. أما تعرف الزوجة على كنه مشاعر الزوج وكذبه في قوله لها أنه يحبها فإنه لايؤثر على ما تستشعره من أحاسيس طيبة جراء سماعها هذه العبارة.

قال النبي صلى الله عليه وآله:

«ثلاث يحسن فيهن الكذب: المكيدة في الحرب وعدتك زوجتك والإصلاح بين الناس».

وقال:

«ثلاث يقبح فيهن الصدق: النميمة وإخبارك الرجل عن أهله بما يكرهه وتكذيبك الرجل»[1].

وقال الصادق عليه السلام:

١ ـ سفينة البحار، المجلد الثاني، ١–١٨.

«العبد كلما ازداد للنساء حباً، إزداد في الإيمان فضلاً».

لقد تطرقت في بحث ﴿الرجال قوامون على النساء...﴾[1] الذي جاء في المجلد (١٩) إلى دور إعراب الرجل عن حبه لزوجته في إنقاذ الحياة الزوجية من الجمود والبرود لتغدو الأسرة منهل الدفء والصفاء.

لقد استهدفت الروايتان السابقتان تنبيه الرجال إلى فاعلية إشعار النساء بالحنان وشحنهن بالآمال وتوفير مستلزمات الراحة والرفاه لهن لا أن يسرفوا في ذلك حتى يصلوا إلى ما ذمه النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام من الخنوع أمام زوجاتهم وكأنهم عبد يتزلف لسيده. وأشهر ما جاء في هذا السياق من أحاديث، الحديث النبوي الشريف الذي تضمن عبارة «...قبلتهم نساؤهم ...».

---

١ ـ سورة النساء، الآية ٣٤.

الشهوة الجنسية والشيخوخة

إن سجل العمر الذي تطوى منه صفحة جديدة مع مـرور كـل عـام لايجدي نفعاً فيما عدا دوره في الحفاظ على النـظام الاجـتماعي فـي المجتمع. والعمر الذي ينسب إلى الإنسان يتم تحديده في القرآن الكريم حسب وحدتين زمنيتين سأتطرق لشرحهما:

ـ التقسيم الذي يأخذ العام والشهر واليوم بالحسبان. والملفت للنظر أن القرآن الكريم يطلق على الدورة السنوية التي يـجتازها الإنسـان الآلي والحيوان والنبات والجماد اصطلاح «سنة» والتي يمر بها الإنسان الواقعي وهو من يلتزم بجميع التعاليم الإلهية في كافة جوانب حياته، «العام» لا السنة التي يقاس بها عمر من لايحيا حياة إنسانية طبيعية بل يتطبع بما لا يتلاءم وعالم الخلق أو بما يتنافر مع متطلبات الفطرة.

ـ التقسيم الذي يأخذ دورة حياة الإنسان في المرحلة الجنينية بـنظر الإعتبار أي منذ انعقاد النطفة ومن ثم التحولات التي تطرأ عـليها حـتى تتحول إلى إنسان صغير متكامل. وهـذا مـا يـعتبر إعـجازاً عـلمياً مـن

معجزات القرآن، وتسمى هذه الدورة «الحول» كما في الآية ﴿... حولين كاملين﴾.

إن هذا التقسيم هو المتبع إبان تعيين موعد الصيام في شهر رمضان المبارك أو موسم الحج و... أما التقسيم الإلهي للزمان باستخدام كلمات من قبيل: آن، لحظة، لمح البصر، حين، دهر، الساعة والفجر فهي تقسيمات وصفية، فالحين يقصد به الفترة منذ خلق البشر وحتى نهاية خلقه. والساعة هي الزمن الذي يجهد كل امرئ في استغلاله بشكل مثمر، والفجر هو زمان انبثاق الحسنى في حياة الإنسان مثل توبة شخص ما أو اندلاع ثورة من قبل مجتمع خاص.

إن التقسيم الزمني وفق اليوم والسنة والشهر يفقد فاعليته عندما نركز اهتمامنا بجانب فسيولوجي من حياة الشخص ونسعى لايجاد صلة بينه وبين الجانب النفسي في وجوده، لأن مثل هذا التقسيم الزمني يرتبط بصلة الجانب الفسيولوجي في الجسم مع الضوابط الاجتماعية أو الفسيولوجية المتحكمة فيه. أما التقسيم الإلهي فإنه لايجدي اتخاذه بنظر الاعتبار إلا في حقل المعنويات ولايتناسب إلا معها.

إن الشعار الذي رفعه الإسلام مع بزوغ فجره ـ وهو الدين الذي ركعت له في نهاية المطاف أعظم إمبراطوريتين أمسكت بزمام مقدرات العالم آنذاك وهما الإمبراطورية الفارسية والإمبراطورية الرومانية ـ تلخص في عبارتين وتوجهين هما:

أ ـ علاقات المسلمين فيما بينهم.

ب ـ علاقة المسلمين بالله عز وجل.

أما الاتجاه الأول فهذا ما حدده الشعار الإسلامي المبدئي ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾،وصيغة المذكر هنا كما هو بيّن تدل على عموم المسلمين إناثاً وذكوراً، أي أن كل مسلم أخ إيماني لأخيه المسلم وكذلك لأخته المسلمة، والمسلمة بدروها أخت لأخيها المسلم وأختها المسلمة أيضاً.

أما الشعار أو الاتجاه الثاني فإنه يعزل الذكور عن الإناث ويهب لكل منهم قيمة تتناسب مع درجة ونمط صلته بالله سبحانه وتعالى. والآية الشريفة ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ إنما تدعو المؤمنين ليحسبوا أنفسهم أعضاء أسرة واحدة يتكافأ أعضاؤها في مستواهم ولاتتباين مستوياتهم إلا من حيث أقدمية إيمانهم بالله ورقي درجة ارتباطهم به لأنه عز وجل ﴿سريع الحساب﴾ يعجل في تفحص ملف عباده فإنه ﴿كل يوم هو في شأن﴾ وسرعان ما تنكشف تقواهم أمام صاحب أمرهم وهو من يبغون استحصال رضاه في مسيرة عبادتهم.

﴿واتقوا الله ويعلمكم الله﴾.

﴿إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً﴾ أي ما ييسر على عباده استحصال المعرفة.

أجل إن الله يعد عباده في الآية:

﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً﴾ بأن يفتح عليهم أبواب الفرج كلما تصوروا أن الفشل يتربص بهم في مجال من المجالات.

وجميع ما سلف وعود إلهية لاغفلة عنها. والتقية من التقوى الخفية ويسرّني أن أصف هذه الحالة إلا أنه يبدو أن القلم بيدي قد أبعد البحث كثيراً عن الموضوع الأساس وينبغي لي أن أعود إلى موضوع العمر. مثلما تدل الآيات الآنفة الذكر أن العلم والمعرفة وهداية السبيل أمور مجازية لولا التقوى فإن العمر كذلك يعتبر مجازياً، لاتتعدى أهميته ما يؤخذ بنظر الاعتبار في السجلات والوثائق، لولا التقوى.

تجد أحدنا قضى عمراً يناهز السبعين عاماً يكسب الرزق من محل يبادر صباح كل يوم إلى افتتاحه وإعداد مستلزمات العمل فيه حتى المساء وهكذا دواليك في الأيام التالية. إن عمره الواقعي لايتعدى اليوم الواحد. وآخر يعمل في دائرته ثمان ساعات بشكل مكثف ويحضر في كل يوم مؤتمراً في مجال تخصصه ثم ينهمك عند العصر بإدارة محله، عيادته أو ... ويسارع ليلياً للحضور في اجتماع هام ثم نراه يؤلف نحو أربعين كتاباً خلال أقل من عقد ونصف العقد من الزمن إلى جانب تحمل أعبائه الأسرية الثقيلة كأن تكون له عائلة مكونة من زوجة وخمسة أطفال. إن هذا الشخص يعترف أنه يبلغ من العمر خمسة أضعاف ما تثبته وثائقه إلا أنه يأسف على ما كان نصيبه من الحياة فيما لو لم يأت خلالها بما يكسب به رضا الله ويكتفي بلحظة واحدة منها إن قضاها في رضا الله وأنها تعتبر حياته برمتها لأنها تمثل حياة أزلية حسب القاعدة ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾.

نعود لبحثنا الأساسي لنقول أنه ما من لذة يقتصر استحصالها على عمر معين بل يتوقف التلذذ من أمر ما على نظرة المرء إليه فيكون للتصفيق

على سبيل المثال آثار سيئة على نفسيته إن كان يحسبها إثماً، ويتطبع أثره بطابع آخر إن اعتبرها مباحاً واللذة الوحيدة التي تتنامى ثمارها المرضية ولاتتحدد بحين استحصالها هي اللذة المتأتاة من عمل الخير.

وقد لاتخبر إمرأة ما طوال حياتها ذروة اللذائذ الغريزية التي يصطلح عليها القرآن الكريم اللذائذ السائغة كاللذة الجنسية إلا أن الرجال مستثنون من هذه الحالة التي تمثل أحد الفوارق المدهشة بين الرجال والنساء.

من جهة أخرى قد يخبر كل من الرجال والنساء بعد بلوغ السبعين أو الثمانين من العمر الإنعاظ عند ممارسة الجنس بينما تسلب النساء حتى سن الأربعين أو الخمسين من العمر هذه اللذة بسبب الاضطراب الناجم عن تخوفهن من وقوع الحمل أو رهبتهن من إلحاق الأذى بالجنين عند وقوع الحمل، وتبدأ مرحلة إخبار الإنعاظ لديهن بعد بلوغ سن اليأس إثر تخلصهن من مثل هذه الاضطرابات.

أو عن بلوغ الإنعاظ لدى الطاعنين في السن من الرجال فإنه يأخذ بالانحسار شيئاً فشيئاً لتخوفهم من انتباه الأبناء أو الآخرين إلى ميولهم الجنسية في مثل هذا العمر واعتباره عملاً صبيانياً يصدر عنهم مما يؤدي إلى امتعاضهم منه أو امتناعهم عنه رغماً عنهم.

يتصور بعض الطاعنين في السن لاسيما النساء منهم أن ممارسة النكاح عند تقدم العمر عمل مشين لأنه مما يخص الشباب فيؤول الأمر بهم للامتناع عنه. إلا أن أعظم الأسباب التي تدعو النساء إلى الامتعاض

من الجماع هو تصورهن أنهن فقدن دواعي الاستقطاب وأنهن لم يعدن محط مودة أحد والرجال إنما يبادرون إلى مجامعتهن باعتبارها من الأمور التي اعتادوا إتيانها، وقد يلجأن إلى الإفراط في الأكل والإصابة بالتالي بالسمنة للتخلص من هذه المشاعر.

وهنالك من النساء من تؤكد أن نظام الخلق قد منعها من ممارسة العملية الجنسية بعد بلوغ الخامسة والأربعين من العمر وإلا ما كان جهازها التناسلي يتوقف عن الإفراز بعد سن اليأس ولهذا ينظرن إلى الجماع والعملية الجنسية بصفتها من عبث الأمور، وهذا ما يمنعهن من بلوغ الانعاظ بعد سن اليأس لا بسبب عجز تكويني في هذا السياق.

ويكره في الإسلام مجامعة الطاعن في السن من الرجال مع إمرأة طاعنة في السن إن كان فارق العمر بينهما كبيراً، وإن لم يكن كذلك فإن جماعهما أمر طبيعي يتمتع بنفس الدرجة من الطابع الودي في مواقعة الشباب فإلى جانب ما يروى من أحاديث في هذا المضمار فإن القرآن الكريم كذلك يعد جماع النبي ابراهيمعليه السلام مع زوجته سارا بركة حلت بقومهما بما أثمر من إنجاب كما أنه علاقة طبيعية وسنة إلهية.

من جهة أخرى تنص الروايات على ضرورة امتناع الرجل الشاب عن مجامعة إمرأة متقدمة في العمر لأنها لاتتم في أجواء مفعمة بالاستثارة الودية والجنسية بل يختلج كليهما أفكار نائية عن بعضهما، فأحدهما يتصور أنه مجبر على هذه الممارسة والآخر يرى أنه تفضل على الأول بموافقته على الجماع.

إن حكم الإسلام فيما يخص مواقعة المتقدمين في العمر يتطابق بالضبط مع ما توصل إليه العلم في الآونة الأخيرة إذ يجيز مجامعة الرجل إمرأته في أي عمر كان شرط أن تكون علاقاتهما إنسانية طبيعية ولكنه حبذ ـ دون التحريم ـ عدم مجامعة الرجل الشاب مع العجائز.

والحيض ينقطع لدى المرأة مع بلوغها الخمسين من العمر تقريباً ـ ولكن هذا لا يعني انتهاء شهوتها ـ وقد تيأس في سن الخامسة والأربعين أو أقل من ذلك، والبديهي أن المبيضين يتوقفان عن الإباضة سنتين قبل سن اليأس. ويحدث أن تطمث المرأة ثانية أو تحمل أحياناً بعد بلوغ سن اليأس.

أما الوضع الجسماني العام فإن الشفرين الكبيرين المتعرجين يأخذان بالصغر ويفقد المهبل قدرته على التوسع والاستطالة ويترقق الغشاء المخاطي في المهبل ويصاب بالإحمرار مما يبعث آلاماً عند الجماع وتشعر المرأة بعد التفرغ منه مباشرة بحاجتها إلى التبول او قد يزداد تبولها بعد مضاجعة زوجها.

وتطاوع الزوجة اليائس زوجها لممارسة الجماع كما سبق لهما أو بكرات تزداد عما سلف كما يحتمل مبادرتها لحسر برنامج الجماع وعدد كراته الاسبوعية. إلا أنه من المسلم به أن استجابة النساء للاستدعاءات التي تثير الفتيات تقل بتقدم العمر.

التغيرات النسبية والنوعية لدى الزوجين بعد الجماع

نعني يالتغيرات النسبية تلك التغيرات التي تنجم عنها زيادة أو نقصان نسبة أو كثافة العناصر والمواد في جسم كل من الزوجين.

إن الجماع سواء انتهى بالإنعاظ أو بدونه يؤدي إلى بروز تغيرات في نسبة العناصر الموجودة في جسم الزوجين إلا أنني لم أتمكن من التوصل إلى نمط هذه التغيرات ومداها بالضبط، ولكن الصلة الحتمية القائمة بين القذف والغدد الداخلية وقشر المخ تشير إلى حدوث تغيرات في نسبة هذه العناصر والمكونات دون أدنى ريب، وقد أكدت في المجلد السابع عشر أن التأخر في اللجوء إلى النوم ثلاث ساعات عن المعتاد يؤدي إلى اختلال العمليات الأيضية في دم الإنسان. ومثل هذه التغيرات مؤكدة لاتثير أي تردد بعد العملية الجنسية لاسيما إن توجت بالإنعاظ حيث يتم تفريغ الأكياس المنوية للرجل وتبدأ القنوات المنوية في البيضة عملية إفراز لمني من جديد.

ومن ناحية أخرى فإن ما يفقده الرجل أثناء الجماع يلج مهبل المرأة

وكما نجد أن الأمعاء لاتهدر ما يضخ إليها بل تحاول الاستفادة منها في صنع فيتامين (k) فإن الغشاء المخاطي في المهبل كذلك يعمل على امتصاص الكثير من العناصر والمواد من مكونات المني وما يحتويها من حيوانات منوية مما يزيد من نضارة المرأة وحيويتها.

ذكرت قبل هذا أن مناخير أنف الرجل تتسع إبان القذف ويزداد إفراز الادرنالين لديه وتستحث عملية صنع الكليكوجين وتتسارع الأنفاس لتعوض المقدار المستهلك من الأوكسجين. وقد أثبت العلم أخيراً أن الأوكسجين المستهلك خلال القذف لاسيما في الاستمناء إنما يكون من حصة الأكثر حساسية في الجسم (القلب والدماغ والكليتين) ولهذا يشكو المدمنون على الاستمناء من شعورهم بحرقة في الدماغ أو زيادة ضربان القلب بعد القذف مباشرة أو أنهم يفصحون عن معاناتهم من آلام في الظهر أو شعورهم بالبرد الشديد في هذه الناحية. هذا ما كشف العلم النقاب عنه حتى الآن دون التوصل إلى النسب الواقعية في هذه التغيرات التي تتأتى من الجماع.

أما التغيرات النوعية فإنها تجمل في الحالات النفسية المصاحبة لهذه العملية، وعلى رأسها دور الإنعاظ (بلوغ ذروة اللذة والشهوة الجنسية) في تهدئة الأعصاب والخلود إلى سبات عميق، وهذا ما أكده القرآن الكريم عندما اعتبر المرأة سكناً للرجل وكليهما لباساً للآخر. فالإنسان يقضي نحو ثلث عمره في النوم ولهذا يترتب على النوم الهانئ أهمية فائقة ومثل هذا النوم يكون من نصيب الرجال بعد ممارسة الجنس خاصة وإن أخبر الإنعاظ خلالها واستحصل الشعور بالارتياح تلوها. ولابد لنا من الإشارة

هنا إلى أن مثل هذا النوم الهادئ لا تنعم به المرأة إثر الجماع فقد يزداد نشاطها على نحو خاص، وينبغي للنساء أن يعلمن أن من واجبهن تهيئة الأوضاع المناسبة لخلود أزواجهن إلى النوم بعد وطئهن لكـي لاتـتثبت لديهم الرغبات وتعود للظهور في الكرات التالية.

ومن الطبيعي أن تعتاد الزوجة هذه الوضعية بعد وهلة لتترك زوجـها وشأنه وتسنح له الفرصة بغية استعارة قواه المنهكة وعودة جسمه إلى ما كان عليه قبل الجماع. وهنا نلفت انتباه الفتيات والفـتيان مـمن يكـون بوسعهم الاستجابة لشهوة بعضهم البعض إلى هذه القضية التي من شأنها استئصال ريعان الشباب وعنفوان النشاط الجنسي لدى الفتيان بأسرع ما يمكن.

وتزداد فاعلية ونشاط الرجل في اليوم الذي يلي مـمارسته الجـماع وبلوغه الإنعاظ ثم خلوده إلى نوم هانئ هادئ كما يزداد طول باعه في تعامله مع الآخرين.

الجدير بالذكر أن المرأة تعتاد بعد فترة من الزمن الخلود إلى النوم بعد الإنزال، ومما يثير الدهشة هو استحباب الغسل في الإسلام بعد كل كرة من كرات الجماع. وقد تطرقت في المجلدات السابقة إلى دور الإستحمام في اكتساب الهدوء النفسي والعصبي.

وسأستعرض باختصار التغيرات الجسمية الناجمة عن الجماع:

أـ الإنعاظ والقذف المصحوبان بانتصاب اعـضاء الجـهاز التـناسلي وباستحصال اللذة الجنسية.

ب ـ ردود الفعل الهيجانية التي تؤدي إلى:

ـ زيادة ضربان القلب.

ـ ازدياد النبض.

ـ ارتفاع ضغط الدم الاستا.

ـ اتساع العروق في الأطراف وزيادة فاعلية الدورة الدموية فيها.

ـ إفراز الأدرنالين.

ـ انخفاض فاعلية إدراك الحواس.

ـ تقلص جميع عضلات الجسم إرادياً أو لا إرادياً لاسيما الأرداف وما بينها.

ـ إزدياد ترشح السائل المخاطي من الأنف والدموع وكذلك إفرازات الغدد الجنسية.

ـ توقف عمليات الهضم.

ـ انتصاب الشعر.

ـ توسع البؤبؤ.

ـ صدور أصوات غير مألوفة من الحنجرة.

ـ الغضب والانفعال وحتى بروز النوبات الصرعية أو شبه الصرعية.

وينتهي الإنعاظ بتقلص كافة عضلات الجسم وأخيراً بالقذف الذي يليه ارتخاء العضلات ومن ثم بروز هزة الجماع وقمطة بعض العضلات لاسيما عضلات الجهاز التناسلي (المهبل والرحم في المرأة والقضيب والخصيتين في الرجل). لايخفى أن الإنسان قد يشهد انقباض العضلات

والهزة دون القذف قبل ظهور مؤشرات البلوغ الجنسي عليه.

ويفقد كلا الرجل والمرأة شعورهما الشهوي الهائج بعد إخبار الإنعاظ فيستعيدان سكونهما وتسترخي عضلاتهما ويبلغان ذروة الاحساس بالإرتياح والهدوء النفسي.

وقد يشعر المرء بالنعاس أو يصاب بالإغماء بعدئذ وتبدأ عملية ترشح الإفرازات التي تعمل على تفعيل الغدد الدرقية والغدد الكظرية (الادرنال) والخصيتين والمبيضين والبنكرياس وينجم عن ذلك الشعور بالرغبة في العمل وبالتفاؤل وزيادة الشهية للطعام.... .

وتطرأ تغيرات على أمواج بيتا في الدماغ إبان المراحل الأولية التي تسبق القذف (المداعبة والإنعاظ) بينما تتطبع هذه الأمواج في مرحلة القذف وهي المرحلة النهائية التي يستحصل منها الشعور بالارتياح، بطابع التأني والقوة. كما يلاحظ في التخطيط الدماغي وجود أمواج مدببة كثيرة طوال فترة ممارسة الجنس تعود لدائرة المنعكس العصبي في العضلات.

فهرس المجلدات المطبوعة من هذه السلسلة

المجلد الأول: ما روي من أحاديث حول الجراثيم ونبذة عن البيولوجية الحيوانية وعلم الأجنة في الإسلام.

المجلد الثاني: نظافة المدن وصحة المجتمع بإيجاز.

المجلد الثالث حتى الحادي عشر: الصحة الغذائية والتغذية في الإسلام. (المجلد الثالث: الصوم، الرابع: تعريف الغذاء والتغذية وأسلوبها الصحيح، الخامس وحتى الثامن: أغذية تطرق القرآن إلى شرح خصائصها وقيمها الغذائية، التاسع: أغذية ذكرت أسماؤها في القرآن، العاشر: أغذية ذكرت أسماؤها في الأحاديث والروايات، الحادي عشر: متمم للمجلدات السابقة).

المجلد ١٢-١٧: صحة الجسم ونظافته منذ طلوع الصباح وحتى غشية الليل (المجلد ١٤ خاص بالرياضة والإسلام، المجلد السابع عشر حول النوم).

المجلد ١٨-٢٠: نظافة الهندام (١٩و٢٠ حول الحجاب).

المجلد ٢١: صحة النسل (تعريف النسل، الفرق بين زواج المتعة

والبغاء، ما هو الأفضل الزواج بين الأقارب أم من الأجانب و...).

المجلد ٢٢-٢٤: إجابات على الإستفسارات الدينية العصرية.

المجلد٢٥-٣٢: معرفة السلوكيات (الأقوال والأفعال)، وشرح الأحداث التي شهدتها الأيام الثلاثة التي تلت وفاة الرسول الكريم صلى الله عليه وآله، (المجلد ٣٢ تحت عنوان: تكالب واتحاد اليهود والمشركين ضد الإسلام).

المجلد ٣٣: صحة النسل (إجهاض الجنين).

المجلد ٣٤: صحة النسل (الصحة وبرامج تنظيم الاسرة).

المجلد ٣٥: ما ينبغي معرفته للعريسين (الخطوبة، تعدد الزوجات، مواضيع خاصة بمراسيم الزواج حتى الزفاف).

المجلد ٣٦: (وهو المجلد الذي بين يديكم قراءنا الكرام): ما ينبغي معرفته للعريسين (مقدمات الزواج والأعمال المفترض أداؤها في ليلة الزفاف، أنواع الجماع وما يتوجب سبقه أو تعقيبه به).

المجلد ٣٧: ما ينبغي معرفته للزوجين (القوة الجنسية، جنس الجنين، الحمل، الولادة و...).

الفهرست